توضيح بعض المصطلحات العلمية

في

شرح العقيدة الطحاوية

ومعه

«الأسئلة والأجوبة المرضية»

على شرح الطحاوية

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس



دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

توضيح بعض المصطلحات العلمية

في

شرح العقيدة الطحاوية

ومعه

«الأسئلة والأجوبة المرضية»

على شرح الطحاوية

الطَّبعَة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

دار إيلاف الدوليّة للنّشر والتّوزيع

المركز الرئيسي: الكويت - الجهراء - مجمع كاظمة التجاري
ص.ب: ١٥١٣ - الرمز البريدي 01017
هاتف: ٤٥٥٧٥٥٩ - فاكس: ٤٥٥٧٥٥٨
فرع حولي: شارع حسن البصري، ق٣٧ قسيمة ١٠، محل رقم ٣
تلفاكس: ٢٦٤١٧٩٧
البريد الالكتروني: eLaFco@.com
الإنترنت: www:eLaFco.com

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدِّمَة

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

أما بعد

فإني قد كتبت رسالة في توضيح مقاصد المصطلحات العلمية في شرح العقيدة الطحاوية، بقصد التيسير على الدارسين وطلبة العلم، وتجلية غوامض بعض ألفاظ في الشرح، وذلك لعموم الحاجة إلى معرفة ذلك، ولم يتم طبعها بعد.

ثم دفع لي أحد الإخوة مذكرة فيها أسئلة وأجوبة على العقيدة الطحاوية، وجدتها ناقصة كثيرة الأخطاء بشكل كبير، فأكملت الناقص منها، وأصلحت الأخطاء وصوبتها، حتى يعم الانتفاع بها، رجاء أن

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧١ - ٧٢.

يجعلها الله تعالى في ميزان حسناتي، وجمعت كل ذلك ليصير كتاباً واحداً ينتفع به طلاب العلم.

والله أسأل الإخلاص والقبول، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلـــم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

توضيح بعض المصطلحات العلمية في شرح العقيدة الطحاوية

١ - قال ابن أبي العز (أصول الدين)[١]:

الأصول جمع أصل، وهو مايبني عليه غيره، حسيا كان، كالأساس للجدار أو عقلياً، كالدليل للدعوى.

والأصل يطلق على ما انغرَز في الأرض من شعوب الشجرة، ثم اصطلح على أن المراد بأصول الدين العقائد الإِسلامية ولكن هذا الاصطلاح فيه نوع دخن.

فالصواب أن أصول الدين ما كان ثبوته من الإِسلام بالضرورة مهماً في هذا الدين سواء أكان في باب العقائد أو باب الأحكام العملية كالصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها[٢].

٢ -(الفقه الأكبر)[٣]:

المراد به (علم العقائد ولاسيما علم التوحيد)، لأنه أكبر لأن شرف العلم بشرف المعلوم ثم المراد من ذلك رسالة منسوبة إلى أبي حنيفة ولها روايتان رواية أبي مطيع البلخي، وهي تسمى بالفقه الأبسط. ورواية حماد بن أبي حنيفة وهي تسمى بالفقه الأكبر.

فحماد أحسن حالاً من البلخي، وعلى كل حال فالرسالة غير ثابتة سنداً أو متناً عن أبي حنيفة.

أما السند: فظلمات بعضها فوق بعض وأما المتن ففيه مصطلحات أهل الكلام المتأخرة التي لم تشتهر في ذلك الزمن.

ثم هذه الرسالة فيها بعض دسائس الجهمية المعطلة الماتريدية.

كالغلو في الإِرجاء والقول بالكلام اللفظي.

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٥).

(٢) التلويح للتفتازاني ١/ ٢٩، وانظر أيضاً التعريفات ٤٥ وكليات أبي البقاء ١٢٢ - ١٢٥. والتوقيف للمناوي ٦٩.

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٥).

٣ - «الضرورة»[١]:

الضرورة - والعلم الضروري علم يحصل للإِنسان بدون اختياره كالعلم بالبرودة والحرارة والإِحساس بالألم والحزن والسرور.

بحيث لايستطيع الإِنسان أن يدفعه أو يشك فيه وقد يقال له: «العلم البديهي».

غير أن «العلم البدهي» قد يكون اكتسابياً حاصلاً من النظر والاستدلال[٢].

٤ - «الصفة»[٣]:

الصفة من الوصف، فالوصف بيان الواصف حال الموصوف سواء أكان ذلك الواصف صادقاً في بيان ذلك الحال أو كاذباً.

فالوصف قد يكون حقاً صدقاً، وقد يكون باطلا كذباً، لأن الوصف فعل الواصف، ففعل الواصف قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً.

أما «الصفة» فهي حالة الشيء على ماهو عليه، لأن الصفة حال الشيء كما هو[٤].

٥ - «المحال»[٥]:

المحال ما يمتنع وجوده كاجتماع الحركة والسكون في جزء واحد[٦].

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٦).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٦).

(٣) تعريفات الجرجاني ٥٨، ٦٣، ٣١٠، وشرح العقائد النسفية ٢٠ - ٢١، والنبراس ١٠١ ١٠٤، وكشاف الاصطلاحات للتهانوي ١/ ٢٢٦، والمستصفى للغزالي ١/ ٤٤ - ٤٥.

(٤) المفردات ٥٠٢، التعريفات ٣٢٦، لسان العرب ٩/ ٣٥٦، وتاج العروس ٦/ ٢٦٦.

(٥) شرح الطحاوية (١/ ٦).

(٦) التعريفات ٢٠٥.

٦ - «السلف»[١]:

السلف باعتبار الزمن هم أصحاب القرون المشهود لهم بالخير، والمراد من السلف هم الصحابة والتابعون وأتباعهم، ومن بعدهم من أئمة الدين والسنة كأحمد بن حنبل ومالك والشافعي والبخاري والثوري والأوزاعي وأمثالهم وهم أئمة الفرقة الناجية الطائفة المنصورة وهم رؤوس أصحاب الحديث وهم وأتباعهم أهل السنة المحضة[٢].

٧ - «البدع»[٣]:

جمع بدعة وهي لغة كل شيء عمل على غير مثال سابق واصطلاحا: كل فعل وقول - في الدين - لم يثبت عن النبي ﷺ وعن الصحابة[٤].

٨ -«التأويل»[٥]:

التأويل مصدر أوّل من باب التفعيل.

لغة بمعنى الرجوع، واصطلاحاً له أربعة معانٍ ثلاثة منها صحيحة:

الأول: العمل بالنص أي إتيان المأمور به واجتناب النواهي، هذا إذا كان النص إنشاءً: أمراً أو نهياً (نحو يتأول القرآن).

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ١٣).

(٢) الميزان ١/ ٤ واللسان ١/ ٨، درء التعارض ٤/ ٩٥، والعقائد السلفية لابن حجر.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٣).

(٤) شرح صحيح مسلم ٦/ ١٥٤ الاعتصام ١/ ٣٦ ١/ ٣٦ المفردات ٣٩ الصحاح ٣/ ١١٨٤ ولسان العرب ٨/ ٦.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٣).

والثاني: وقوع الخبر كما هو في الواقع ماضياً كان أو حالاً، أو مستقبلاً. نحو ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ﴾[1] أو ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾[2].

والثالث: التفسير والإيضاح والشرح للنص نحو قول السلف: تأويل قوله تعالى: كذا أي تفسيره كذا.

وأما المعنى الباطل:

فهو: صرف الكلام عن ظاهره المتبادر إلى الذهن إلى معنى آخر غير ظاهر.

وهذا في الحقيقة تحريف[3].

وقد صرح بذلك أئمة السنة.

٩ - «العقليات»[4]:

أي المسائل التي دل العقل عليها (في زعمهم) أو الأدلة العقلية (في زعمهم)[5].

١٠ - «النقليات»[6]:

أي المسائل أو الأدلة التي نقلت عن الله تعالى أو عن النبي ﷺ[7].

---

(١) سورة يوسف الآية (١٠٠).

(٢) سورة الأعراف الآية (٥٣).

(٣) تهذيب اللغة ١٥/ ٤٣٧ مجموع الفتاوى ٣/ ٥٥ - ٥٦، ٥/ ٣٥ - ٣٦ التعريفات ٥٠ وتحفة المريد ٩١.

(٤) شرح الطحاوية (١/ ١٥).

(٥) شرح المواقف (٢/ ٣٠٩).

(٦) شرح الطحاوية (١/ ١٥).

(٧) شرح المواقف (٢/ ٣٠٩).

١١ - «البحث التام»[١]:

أي التفتيش عن الحق.

١٢ - «النظر القوي»[٢]:

النظر هو الاستدلال.

وهو عندهم: ترتيب الأمور المعلومة لحصول الأمور المجهولة، والمراد من الترتيب.

ترتيب أجزاء القياس أي الصغرى والكبرى، والأمور المعلومة هي الأدلة.

والأمور المجهولة هي الدعاوى.

أي إقامة الحجج على الدعاوي هو النظر والاستدلال[٣].

١٣ - «الاجتهاد الكامل»[٤]:

أي بذل الوسع - إلى أبعد الحدود - للوصول إلى الحق.

١٤ - «زنديق»[٥]:

كلمة يونانية أو فارسية أصلها «زن دين» فزن: المرأة ودين: الدين أي دين المرأة، أي دين الحماقة.

والفعل: تزندق.

---

(١) (٢) شرح الطحاوية (١/ ١٦).
(٣) شرح التهذيب للتفتازاني (ص ١٩).
(٤) شرح الطحاوية (١/ ١٦).
(٥) شرح الطحاوية (١/ ١٧).

فالزندقة: لها معنيان:

الأول: هو استبطان الكفر وإظهار الإسلام للدسيسة، فالزنديق على هذا من دخل في الإسلام للشر والإفساد فهو أخص من المنافق وكلاهما كافر لأن المنافق قد يظهر الإسلام خوفاً فقط. ولايريد الإفساد والدسيسة للمسلمين، فكل زنديق منافق ولا عكس فقد يكون منافقاً ولا يكون زنديقاً.

وذلك إذا أظهر الإسلام خوفا فقط بدون إرادة الدسيسة.

الثاني: «ارتكاب البدعة»:

سواء كانت تلك البدعة مكفرة أم لا، فالزنديق على هذا مرادف للمبتدع والمبتدع: قد يكون كافراً، وقد يكون مسلماً فاسقاً وقد يكون مسلماً ضالاً فكذلك الزنديق على هذا المعنى وكثير من الجهمية زنادقة بهذا المعنى أي مبتدعة وذلك أن يكون الزنديق قد ارتكب البدعة مع حسن نيته ولكنه يكون مسلماً ضالاً.

وعلى هذا يقال من تعلم الكلام تزندق، من تمنطق تزندق[١].

١٥ - «الكلام»[٢]:

الكلام هو ما يتكلم به من الألفاظ والمعاني: ومنه كلام الله تعالى، وكلام كل متكلم ما يناسبه[٣].

وعلم الكلام: هو فن أهل الخصام من الجهمية والمعطلة وأذيالهم من الماتريدية والأشعرية، وسمى بعلم الكلام، لأن موضوعه هو البحث

---

(١) تهذيب اللغة ٩/ ٤٠٠، الصحاح ٤/ ١٤٨٩ ودرء التعارض ٥/ ٣٢٠ وشرح المقاصد ٢/ ٢٦٨.

(٢) شرح الطحاوية (١/ ١٧).

(٣) شرح العقائد النسفية ٢٧.

في كلام الله تعالى، فعلم الكلام المعتزلي والماتريدي والأشعري علم مبتدع مذموم[١].

١٦ - «الجوهر»[٢]:

الجوهر ضد العرض، فالجوهر هو ما كان قائماً بنفسه كالجسم مثلاً[٣].

١٧ - «العرض»[٤]:

العرض ضد الجوهر، فالعرض ما كان قائماً بالجوهر كاللون مثلاً[٥].

١٨ - «الجسم»[٦]:

ما كان فيه أبعاد ثلاثة:

وهي الطول والعرض والعمق[٧].

١٩ - «التوحيد»[٨]:

التوحيد مصدر من باب التفعيل من وحد يوحد توحيداً.

---

(١) راجع درء التعارض ٧/ ١٤٤ - ١٤٧، والصواعق المرسلة ٤/ ٢١٦١ - ١٢٧٤.
(٢) شرح الطحاوية ١/ ٢٠.
(٣) راجع تعريفات الجرجاني ١٠٨.
(٤) شرح الطحاوية (١/ ٢٠).
(٥) راجع التعريفات ١٩٢.
(٦) شرح الطحاوية ١/ ٢٠.
(٧) التعريفات ١٠٣.
(٨) شرح الطحاوية (٢٧١).

فالتوحيد: جعل الشيء واحداً، والحكم على الشيء بأنه واحد والاعتقاد في الشيء بأنه واحد منفرد متفرد وهو الاعتقاد بأن الله واحد في ملكه، وأفعاله لاشريك له وواحد في ذاته وصفاته لانظير له وواحد في إلهيته وعبادته لاندله[١].

* «**النظر**»[٢]:

تقدم ويقصد به ههنا أن المرء يجب عليه أن يستدل على وجود الله تعالى استدلالاً عقلياً.

٢٠ - «الشك»[٣]:

الشك هو استواء طرفي العلم نفياً أو إثباتاً[٤].

كقولك: هذا زيد أو عمر. والمراد ههنا أن يشك المرء في الله هل الله موجود أم لا؟

٢١ - «توحيد الأولوهية»[٥]:

هو اعتقاد استحقاق الله أن يعبد وحده لا شريك له[٦].

٢٢ - «توحيد الربوبية»[٧]:

هو اعتقاد أن الله تعالى وحده خالق كل شيء ومدبره[٨].

---

(١) راجع التعريفات ٩٦ وتيسير العزيز الحميد ٣٣.
(٢)(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٣).
(٤) راجع التعريفات للجرجاني ١٦٨.
(٥) شرح الطحاوية (١/ ٤).
(٦) انظر تيسر العزيز الحميد ٣٦.
(٧) شرح الطحاوية (١/ ٢٤).
(٨) تيسر العزيز الحميد ص ٣٣.

٢٣ - «توحيد الأسماء والصفات»[١]:

هو اعتقاد أن الله تعالى له أسماء حسنى وصفات عليا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وهو أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه أو وصف به رسوله ﷺ من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل[٢].

٢٤ - «الواجب»[٣]:

الواجب ما كان وجوده ضرورياً، وهو ضد الممتنع والممكن والمراد بالواجب ما كان ممتنع العدم وهو الله تعالى[٤].

٢٥ - «الممتنع»:

وهو ما كان عدمه ضرورياً[٥].

٢٦ - الممكن:

والممكن ما كان وجوده وعدمه غير ضروري[٦].

٢٧ - «الخارج»[٧]:

الخارج ضد الذهني، والمراد بالخارج الواقع أي خارج الأذهان.

فالموجود: موجودان.

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٦).
(٢) تيسر العزيز الحميد ص ٣٤.
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٥).
(٤) التعريفات للجرجاني ٣٢٢.
(٥) المصدر نفسه ٢٩٦.
(٦) المصدر السابق ٢٩٦.
(٧) شرح الطحاوية (١/ ٢٥).

٢٨ - «موجود ذهني»:

وهو الكلي العام، فإن الكليات لاوجود لها في الخارج[(١)].

٢٩ - «موجود خارجي»:

هو ما كان موجوداً في الواقع خارج الأذهان كأفراد الإنسان وأفراد الحجر وأفراد الشجر، وأفراد الألوان.

٣٠ - «التعطيل»:

التعطيل من العطل وهو الخلو والترك، وعدم الاستعمال، وهدر الشيء، والمراد تعطيل أسماء الله تعالى وصفاته، أي نفيها وعدم الإيمان بها، وإنكارها إما بتأويل نصوصها، وهو التحريف مع التعطيل، وإما بتفويضها كما سيأتي[(٢)].

٣١ - التفويض:

التفويض لغة تسليم الشيء لغيره والتوقف فيه وعدم الحكم عليه نفيا وإثباتا.

والمراد من التفويض تفويض معانيها وكيفيتها إلى الله تعالى فالتفويض مستلزم للتعطيل فالمفوض معطل.

وأما التأويل فهو مستلزم للتحريف والتعطيل، لأن المؤول يحرف معنى النص، ويبدل معناه بمعنى آخر كقول الجهمي في (استوى): استولى.

وأما التفويض فهو عدم الإيمان بمعنى النص وتوكيله إلى الله تعالى من غير إثباته ومن غير تحريفه.

فالمفوض معطل ولكنه غير محرف[(٣)].

---

(١) التعريفات ٢٣٩.

(٢) راجع شرح الواسطية لهراس ١٨.

(٣) راجع المرجع السابق.

٣٢ - «نفاة الصفات»[١]:

نفاة الصفات أصناف:

١- منهم من نفوا الأسماء والصفات جميعاً، وهم غلاة كالجهمية الأولى، والقرامطة الباطنية.

٢- ومنهم من نفوا الصفات دون الأسماء وهم الغلاة كالمعتزلة.

٣- ومنهم من نفوا بعض الصفات وهم دون الغلاة كالماتريدية والأشعرية. وسيأتي تعريف النافي للصفات في رقم (٦٩).

٤- وقسم غلاة الغلاة وهم الفلاسفة أو المتفلسفة وهم من نفوا الإثبات والنفي جميعاً فيقولون إن الله لاحي ولا ميت.

٣٣ - «الحلول[٢]»:

الحلول من حل يحل وهو النزول في الشيء والإقامة فيه.

والمراد ههنا سريان شيء في آخر، أو دخول شيء في آخر[٣].

٣٤ - الحلول الظرفي:

وهو كون المحل ظرفا للحال كحلول الماء في الكوز[٤].

٣٥ - الحلول السرياني:

وهو سريان الحال في جميع أجزاء المحل كسراية الماء في ورق الورد[٥] مثلا.

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٤).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٥).

(٣) التعريفات ٩٢ وكشاف التهانوي ٢/ ١٠٥ - ١٠٦.

(٤) انظر التعريفات ١٢٥، والمحيط للبستاني ١٨٩.

(٥) المرجع السابق.

ثم الحلول نوعان:

٣٦ - الحلول المقيد:

كعقيدة النصارى بأن الله تعالى حل في عيسى ومريم.

٣٧ - الحلول المطلق:

كعقيدة الصوفية الحلولية بأن الله تعالى حل في العالم، أو حلول الجهمية بأن الله في كل مكان فهؤلاء الصوفية الحلولية وهؤلاء الجهمية الحلولية أشد كفراً من النصارى، وعامة المشركين كما قال الإمام ابن القيم:

* والمشركون أقل كفراً منهم. * إذ خصصوا ذا الاسم بالأوثان *[١].

٣٨ - «الاتحاد»[٢]:

الاتحاد - عند الصوفية - عقيدة وحدة الوجود؛ وهي الاعتقاد بأن الله عين هذا الكون، وأن الخالق عين المخلوق، وأن الله تعالى عين الإنسان وعين الحيوان وعين الناكح وعين المنكوح. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً[٣].

ولذا قال ابن القيم:

* يا أمة معبودها موطوؤها * أين الإله وثغرة الطعان *

والصوفية الوجودية الاتحادية أعظم كفراً من الصوفية الحلولية، والحلولية أعظم كفراً من اليهود والنصارى.

---

(١) انظر النونية.

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٥).

(٣) انظر التعريفات ٢٢.

فالوجودية الاتحادية أعظم كفراً من جميع الكفرة على وجه الارض، فلا يتصور كفر أعظم من هذا[1].

٣٩ - «التمانع»[2]:

التمانع هو التفاعل من المنع، وهو محاولة كل واحد من الشيئين بضد مراد الآخر[3].

وتوضيحه أن زيداً أراد قتل عمر، فجاء بكر فمانعه فلم يتركه يقتله واستعمل أهل الكلام دليل التمانع على بطلان تعدد الآلهة، وهو دليل عقلي صحيح، ولكنهم أخطأوا في جعل الإله بمعنى الرب والخالق.

لأن الإله هو المعبود بحق أو باطل ففسروا قوله تعالى: ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾ بالتمانع مع أن الآية ليس فيها ذكر للتمانع لأن هذه الآية سيقت لبيان فساد تعدد الآلهة لا لبيان فساد تعدد الخالق، فإنه لو كان هذه الآية لبطلان التمانع فقال: «لم تخلقا»، ولم يقل: «لفسدتا» لأن الفساد لايتصور إلا بعد خلقهما.

ولكن دليل التمانع في قوله تعالى: ﴿**لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ**﴾(المؤمنون: ٩١) بخلاف الآية السابقة[4].

---

(١) انظر النونية ٥١.

(٢) شرح الطحاوية ١/ ٢٨.

(٣) راجع شرح العقائد النسفية على حاشية العصام ١٧٣ وانظر تحفة المريد للبيجوي ٦٠.

(٤) انظر التدمرية ١٧٩ - ٨٠، ١٨٥ - ١٨٦، ومجموع الفتاوى ٣/ ٩٨، ١٠١، وتلبيس الجهمية ١/ ٤٨٠.
ومنهاج السنة ٢/ ٦٥ - ٦٨، الطبعة القديمة و ٣/ ٣٠٤ - ٣٠٥، ٣١٤ - ٣١٣، الطبعة المحققة ٣١٢ - ٣١٣ الطحاوية ٧٩، ٨٦ - ٨٧.

٤٠ - «الضدان»[١]:

الضدان هما الوجوديان اللذان «يجتمعان في محل ولكن يجوز أن يرتفعا».

كالحجر والشجر.

فلا يكون شيء واحد حجراً أو شجراً.

ولكن يجوز أن لايكون حجراً ولاشجراً، بل يكون حديداً[٢]، ولكن أهل الكلام استخدموا هذا المصطلح الكلامي في النقيض فسموا النقيضين ضدين ثم أجازوا نفيهما حتى قالوا: إن الله لا داخل العالم ولاخارجه.

٤١ - «الأصنام»[٣]:

الصنم ما صور أو نحت على شكل شيء آخر ويعبد من دون الله[٤].

٤٢ - الوثن ما عبد من دون الله تعالى:

سواء كان قبراً أو حجراً أو شجراً أو مغارة أو إنسانا.

فالوثن أعم من الصنم.

لأن الصنم معبود مصور أو منحوت. والوثن أعم.

ولهذا ورد: «اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد». رواه أحمد. وهو صحيح.

ولم يقل «.. صنما يعبد».

---

(١) شرح الطحاوية (١/٢٨).

(٢) راجع التعريفات ١٧٩.

(٣) شرح الطحاوية (١/٢٩).

(٤) أوجز المسالك ٣/٣٠٠.

فكل صنم وثن ولاعكس[1].

٤٣ - «الله»[2]:

الله اسم علم لربنا الخالق لهذا الكون الرازق العالم القادر المريد المتصرف في هذا الكون والمدبر له، وهو الإله الحق والمعبود بالحق. ولايطلق على غيره تعالى بخلاف «الإله» فإنه يطلق على الإله الحق وهو الله سبحانه، كما يطلق على الإله الباطل كالألهة الباطلة التي عبدت من دون الله[3].

٤٤ - «الإله»[4]:

الإِله فعال من إلهه إذا عبده، فهو فعال بمعنى المفعول، كالإمام بمعنى المؤتم به، فالإِله هو المألوه أي المعبود والتأله التعبد.

قال العجاج: لله در الفانيات المده * سبحن واسترجعن من تألهي *

والإله: هو المعبود.

والمعبود قد يكون حقاً وهو الله تعالى، وقد يكون باطلا كآلهة المشركين[5] الباطلة.

والحاصل أن الإِله ليس معناه الرب والخالق والصانع، كما يزعمه المتكلمون.

وإنما الإِله هو المعبود، بحق كان أم بباطل، فالمعبود الحق هو الله تعالى الخالق لهذا الكون[6].

---

(١) المصدر المذكور.

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٣٦).

(٣) تاج العروس ٩/ ٣٧٥.

(٤) شرح الطحاوية (١/ ٣٧).

(٥) انظر تهذيب اللغة للأزهري ٦/ ٤٢٢ - ٤٢٤ والصحاح ٦/ ٢٢٢٣ - ٢٢٢٤، وديوان روبة العجاج ١٦٥.

(٦) راجع لسان العرب ٢/ ٤٦٧، والقاموس ١٦٣، وتاج العروس ٩/ ٣٧٥.

٤٥ - «التوحيد العلمي الخبري»[١]:

سمى بالعلمي لأنه من قبيل أفعال القلوب دون العملي الذي من قبيل أفعال الجوارح.

وسمى بالخبري لأنه إخبار عن الله تعالى: بأنه كذا أي بأنه موصوف بصفات كمالية وأن له أسماء حسنى وهو توحيد الأسماء والصفات، ويدخل فيه توحيد الربوبية[٢].

٤٦ - «التوحيد الإرادي الطلبي»[٣]:

سمي بالإِرادي لأنه يراد من العبد فعله بالجوارح واللسان.

لأن الإنسان مكلف بأن يعبد الله وحده لاغيره وسمي بالطلبي، لأنه في باب الأوامر والنواهي، ويسمى التوحيد العملي أيضاً لأنه في أفعال الجوارح وإن كان القلب أيضاً له دخل في العبادة.

ويسمى أيضا توحيد الألوهية، وتوحيد العبادة وتوحيد الإِلهية[٤].

ولهذين النوعين في التوحيد أسماء أخرى كثيرة متعددة[٥].

وهذان النوعان في التوحيد يشملان التوحيد بأنواعه الثلاثة.

فالنوع الأول هو: العلمي يشمل توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية.

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٤٣).

(٢) شرح الطحاوية ٨٨ وشرح الفقه الأكبر ١٥ وشرح النونية لهراس ٢/ ٥٢.

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٤٣).

(٤) انظر شرح الفقه الأكبر ١٥ وشرح النونية ٢/ ٥٢.

(٥) راجع على سبيل المثال بيان تلبيس الجهمية ١/ ٤٧٩، ومدارج السالكين ١/ ٣٣، والتوسل والوسيلة ١٧٧ وشرح الطحاوية ٨٨ والقصيدة النونية ١٤٥.

والنوع الثاني: وهو العملي هو توحيد العبادة.

٤٧ - «الحكم»[١]:

الأمر والنهي الصادران من الحاكم.

فإذا قيل قد حكم الأمير فهو خبر.

٤٨ - «القضاء»:

«القضاء» هو القول الفيصل الصادر من القاضي ليقضي به بين المتخاصمين.

فإذا قيل قد قضى القاضي، فهو خبر.

لأجل ذلك قال الإمام ابن أبي العز:

(وأيضاً فلفظ «الحكم» و «القضاء» يستعمل في الجملة الخبرية». انظر ص ١/ ٤٧.

٤٩ - «الجملة»:

هي اللفظ المركب المفيد، وقيل هي والكلام واحد، وقيل الكلام هو المركب المفيد المقصود والجملة هي اللفظ المركب المفيد سواء أكانت مقصودة أم لا.

نحو (زيد أبوه قائم).

فهذا كله كلام، ولكن (أبوه قائم) جملة، وليس بكلام.

لأن المقصود الإخبار عن زيد لا عن أبيه[٢].

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٤٧).

(٢) انظر الفوائد الضيائية ١٧٦ للجامي وهو شرح للكافية لابن الحاجب.

٥٠ - «الجملة الخبرية» ص ١/ ٤٧ :

هي الجملة التي تحتمل الصدق أو الكذب هذا عند النحاة[١].

وعند المناطقة تسمى «القضية»[٢].

٥١ - «السنة تأتي مبينة أو مقررة لما دل عليه القرآن»[٣] : ١/ ٤٩

أقول هذه قاعدة شريفة مهمة ترد على أهل والأهواء والبدع. فإنهم يردون الأحاديث بحجة أنها مخصصة لعموم الكتاب أو مقيدة لمطلق الكتاب أو مثبتة لأمر زائد على ما في الكتاب.

ويقولون: إن خبر الواحد ظني ولايجوز تقييد الكتاب ولاتخصيصه ولا زيادة عليه بخبر الواحد، لأن القرآن قطعي وخبر الواحد ظني.

فالإِمام ابن أبي العز قد قطع حجة هؤلاء بهذه القاعدة الشريفة وحاصل هذه القاعدة:

أن السنة إما مبينة مفسرة للكتاب فتخصص عموم الكتاب أو تقيد مطلق الكتاب وهذا هو التفسير والبيان وإما مقررة لما دل عليه الكتاب.

أو مثبتة لأمر سكت عنه القرآن.

فلا تعارض بحمدالله بين السنة وبين القرآن بوجه من الوجوه[٤].

٥٢ - الآيات الأفقية والنفسية[٥]:

الآيات جمع آية وهي العلامة، وتطلق الآية على معجزات الأنبياء وأنها علامات على صدقهم.

---

(١) التعريفات ١٢٩.

(٢) التعريفات ٢٢٦.

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٤٩).

(٤) انظر أعلام الموقعين ٢/ ٣٠٧ - ٣٠٩.

(٥) شرح الطحاوية (١/ ٥١).

وتطلق الآيات على كل مادل على صدق شيء أو كذبه لأنه علامة.

٥٣ - «الآية الأفقية»:

هي الآيات الكونية في السماء والأرض والكون والجبال والسحاب والمطر والليل والنهار، فهي آيات أفقية في أفق السماء والأرض وهي دالة على توحيد الله تعالى وعلامة له.

٥٤ - «الآيات النفسية»:

هي الأدلة الموجودة في نفس الإِنسان كالسمع والبصر والعقل واللسان والدماغ والجهاز البصري، وجهاز البول، وجهاز الدم والقلب، والكبد والطحال والرئة وأحوال النفس، فهذه الأدلة آيات نفسية دالة على توحيد الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم**﴾. [فصلت: ٥٣].

٥٥ - «التشبيه»[١]:

وهو مشاركة أمر لآخر في معنى أي نحو زيد كالأسد أي في الشجاعة[٢].

والأولى أن يقال:

التشبيه: جعل شيء شريكا لشيء آخر في وصف من الأوصاف.

نحو: زيد كالأسد.

فقد جعل زيدا شريكا للأسد في الشجاعة.

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٥٢).

(٢) التعريفات ٨١.

ولكن أهل الكلام أخطأوا في مفهوم التشبيه، فأدخلوا فيه نفي كثير من الصفات فصاروا معطلة ومن العجب أن أهل الكلام من الماتريدية. والأشعرية النافين لبعض الصفات يقولون لأهل السنة أنتم مشبهة ولكن المعتزلة يقولون للماتريدية أنتم مشبهة والجهمية الغلاة يقولون للمعتزلة أنتم مشبهة وغلاة الغلاة يقولون لغلاة الجهمية أنتم مشبهة.

فاعتبروا يا أولي الأبصار فكل مُثْبِتٍ مُشَبِّهٌ عند النافي كلاً أو بعضا.

٥٦ - «التمثيل»[١]:

وهو جعل شيء مثل شيء آخر في معنى ما، أي في صفة ما[٢].

٥٧- «الأوضاع»[٣]:

جمع وضع، والوضع لغة، جعل اللفظ بإزاء المعنى.

واصطلاحاً: تخصيص شيء بشيء بحيث إن أطلق أو أحس الشيء الأول علم منه الشيء الثاني.

والمراد بالإطلاق استعمال اللفظ وإرادة المعنى[٤]. وهذا في الألفاظ. والمراد بالإحساس إدراكه بالحواس.

كرؤية الأنصاب التي وضعت للدلالة على الأميال، فهذه الأنصاب ليست ألفاظاً بل هي أمور حسية، وأجسام خارجية دالة على المسافة المعلومة المحدودة.

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٥٢).

(٢) التعريفات ٩١.

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٥٥).

(٤) راجع التعريفات ٢٢٦.

٥٨- مراتب التوحيد[١]: عند الصوفية مايلي:

٥٩- توحيد العامة:

وهو توحيد الأنبياء والمرسلين وهو قول «لا إله إلا الله».

٦٠- توحيد الخاصة:

وهو توحيد أصحاب الحقائق الصوفية وهي مرتبة من مراتب الولاية عندهم.

٦١- توحيد خاصة الخاصة:

وهو القول بالحلول أو الاتحاد.

٦٢- مراتب التوحيد عند أهل السنة:

ولكن مراتب التوحيد عند الأنبياء والمرسلين ومن يتبعهم ما يلي:

٦٣- توحيد العوام:

وهو توحيد عامة المسلمين من المذنبين وهو أضعف المراتب.

٦٤- توحيد الخواص:

من المؤمنين وهو توحيد أولياء الله المصطفين.

٦٥- توحيد خاصة الخاصة في المؤمنين أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

٦٦- توحيد عامة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٥٣).

٦٧- توحيد خواص الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو توحيد أولوا العزم من الرسل، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم.

٦٨- توحيد خاصة الخاصة من هؤلاء الرسل صلى الله عليهم وسلم وهو توحيد محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام وهو أكمل المراتب على الإطلاق.

٦٩- «النفاة»[١]

جمع نافٍ وهو من أنكر صفة من صفات الله تعالى، ولم يثبتها بل عطلها إما بتأويل نصوصها وتحريفها وإما بتفويض معانيها.

٧٠- فالنافي هو المعطل، والمعطل قد يكون مؤولا وقد يكون مفوضاً.

٧١- «التجسيم»[٢]

الاعتقاد في الشيء بأنه جسم وأخطأ أهل البدع في مفهوم الجسم حينما أدخلوا في مفهومه الصفات ولذلك نفوا بعضاً من الصفات بحجة أنها من لوازم الجسم، وكل من أثبت الصفات يقولون لهم: أنتم مجسمة وهذا مبني على قياس الغائب على الشاهد.

وهذه العقيدة فاسدة في حق الله تعالى، فالله تعالى منزه عن مشابهة خلقه.

٧٢- «القائم بنفسه»:

القائم بنفسه هو القائم بذاته، أي لم يكن قائماً بغيره فهو ضد العرض فالعرض قائم بغيره كالألوان فإنها قائمة بالأجسام.

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٥٧).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٦٠).

٧٣- «الحس»[١]:

الحس هو العلم الحاصل بالحواس كالسمع والبصر والذوق واللمس والشم.

٧٤- «المشترك المطلق»:

أمر كلي اتفق مع غيره في مسمى الوجود والقدرة والعلم نحو «العالم». فالعالم يطلق على الله وعلى زيد وعمر وبكر.

وهذا الأمر الكلي العام المطلق لا وجود له في الخارج وإنما يوجد في الذهن. أما الموجود في الخارج فهو أفراد ذلك الكلي[٢].

٧٥- «الاشتراك اللفظي»[٣]

هو شركة عدة معانٍ في لفظ واحد على التناوب كاشتراك الذات والشمس، والذهب، والماء الجاري النابع من الأرض في لفظ «العين».

فالعين مشترك لفظي اشترك فيه عدة معان متغائرة مختلفة.

وكلفظ «المشتري» لفظ مشترك يشترك في معناه المبتاع والكوكب المشتري[٤].

فلا يشترك معنى اللفظ المشترك بل تشترك المعاني في لفظة وقد أخطأ المعطلة قديما وحديثا حيث زعموا أن الاشتراك في اللفظ يقتضي المساواة في الحقائق والكنه، وهذا خلاف الحقيقة فإن كلمة (نعيم) يشترك

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٦٣).

(٢) انظر التعريفات مادة «الكلي» ٢٣٩.

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٦٣).

(٤) راجع التعريفات ٢٧٤.

في لفظه نعيم الدنيا مع نعيم الجنة وقد ورد في نعيم الجنة:

(أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[1].

الفرق بين المشترك والكلي: أن الكلي يصدق على أفراده دفعة واحدة كالعالم يصدق على زيد وعمر وبكر من العلماء.

المشترك لا يصدق على معانيه إلا على سبيل التناوب نحو العين[2].

٧٦- قوله: «المطلق الكلي»:

أقول: المطلق الكلي - هو الكلي على إطلاقه دون تقييده بأفراده نحو «العالم».

فالعالم كلي مطلق، ومطلق كلي أيضا.

فعالم كلي يطلق على كثير من الأفراد، ومطلق غير مقيد بفرد دون فرد.

فالكلي المطلق، والمطلق الكلي شيء واحد، وهو أمر ذهني لا يوجد في الخارج.

وإنما الموجود في الخارج: هو أفراد ذلك الكلي المطلق.

فزيد وعمرو وبكر أفراد «العالم» وأفراد «الإنسان» وأفراد «الكاتب»[3]

غير أن الجهمية ظنوا أن المطلق الكلي أو الكلي المطلق يوجد في الخارج فإذا قيل لهم: «الله عالم».

قالوا: هذا يستلزم التشبيه.

---

(١) البخاري (٣٢٣٣) ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) انظر شرح التهذيب للتفتازاني ٣٦ - ٣٩.

(٣) راجع تعريفات الجرجاني مادة «الكلي» ٢٣٩.

لأن زيداً أيضاً عالم.

فظنوا أن ذلك العالم بعينه هذا العالم.

مع أن المطلق الكلي أو الكلي المطلق لا يوجد في الخارج.

فـ «العالم» الكلي المطلق لا يوجد في الخارج بعينه بل الموجود في الخارج واحد معين مختص لا يطلق بهذا المعنى على غير ذلك المختص فلا يلزم التشبيه.

فإذا سمي العبد بالعالم كان مسمى العالم في الخارج واحدا بعينه مختصاً به لا يشترك معه آخر غيره، فما بالك بالله الخالق العالم الخبير لا يشترك معه غيره بالطريق الأولى وهكذا الوجود والحياة من الكليات العامة المطلقة فوجود الله وحياته وعلمه لا يشاركه فيها أحد فلا يلزم التشبيه.

٧٧- قوله: [١]

«المعاني الحسية والعقلية».

أقول: «المعاني الحسية» ما تدرك بالحواس كالمبصرات والمرئيات والمسموعات والملموسات والمشمومات ونحوها.

و«المعاني العقلية» ما تدرك بالعقل، كالعلوم، والصفات، والإيمان، واليقين والشك ونحوها.

٧٨- قوله: «الماهية» [٢]

أقول: الماهية: ما به الشيء هو هو، وهي نسبة إلى «ما هو؟» [٣].

والمراد حقيقة الشيء، أي هويته.

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٦٧).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٧٣).

(٣) انظر التعريفات (١٩٥).

٧٩- قوله:

(الإثبات المجرد)[1].

أقول: الإثبات المجرد - هو إثبات صفة لشخص بقطع النظر عن كمال تلك الصفة أو حصرها فيه.

كقولك «زيد عالم».

فإنه إثبات مجرد عن الحصر والكمال.

وأما إذا قلت: زيد هو العالم علما نافعاً.

فهو إثبات متضمن للحصر والكمال.

فإذا قلت: الله إله.

فهو إثبات مجرد.

وأما إذا قلت لا إله إلا الله.

فهو إثبات مفيد للحصر.

٨٠- قوله:

(واجب الوجود)[2].

أقول: الموجودات منها:

١- واجب الوجود: أي ممتنع العدم: وهو الذي وجوده ضروري، وعدمه ممتنع، وهو الله تعالى[3].

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٧٢).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٧٦).

(٣) التعريفات ٣٢٢.

٢- ومنها ممتنع الوجود: أي واجب عدمه. وهو الذي عدمه ضروري ووجوده ممتنع كشريك[١] البارىء. فهما طرفا نقيض.

٣- ومنها ممكن الوجود: وهو الذي وجوده غير ضروري كهذا العالم.

ومعنى كون وجوده غير ضروري:

أنه يجوز عدمه، فهذا العالم يجوز أن يفني[٢].

٨١ ـ قوله: (قطعاً للتسلسل)[٣]

أقول: «التسلسل» كما يقوله الجرجاني:

(ترتيب أمور غير متناهية)[٤]. وقد استعمله أهل الكلام في نفي التسلسل في جانب قطعا لتسلسل الحوادث أي الأمور الحادثة نحو تجدد الكلام والاستواء والنزول والغضب والرضى.

ولذلك لا يقولون: إذا لم يزل متكلما، ولأجل هذا قالوا بالكلام النفسي، ورد عليهم شيخ الإسلام، فقال يلزم من ذلك تعطيل الرب.

٨٢- قوله:

«نفس الأمر»[٥].

أقول: نفس الأمر هو الواقع أي وجود الأشياء في الخارج فإذا قلت: زيد قائم:

ثم رأيت زيدا على حالة القيام.

---

(١) المصدر نفسه ٢٩٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٧٦).

(٤) التعريفات ٨٠.

(٥) شرح الطحاوية (١/ ٨٣).

فهذا هو الواقع، ولذا يقال: صدق الخبر أن يكون الخبر مطابقاً للواقع والأمور الواقعية هي الحقائق الثابتة في نفس الأمر والخارج. أي خارج الذهن في عالم الكون.

٨٣- قوله:

«قياس تمثيل...، قياس شمول...، قياس الأولى»[١].

القياس عند المناطقة: هو قول مؤلف من القضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر[٢].

أي: إن القياس دليل مركب من مقدمات مسلمة عند الخصم بحيث يثبت به الدعوى.

فعلى هذا: يراد من القياس: الدليل للمدعى.

فكل دليل إذا كان سليما يثبت به المدعى.

ثم القياس ثلاثة أنواع: قياس منطقي، وقياس أصولي فقهي، وقياس فطري عقلي واقعي.

فالأول: يسمى قياساً شموليا، وهو قياس منطقي، وهو مركب من مقدمتين.

الأولى: تسمى صغرى، لأنها مشتملة على فرد من أفراد الكبرى. والأخرى تسمى كبرى لأنها مشتملة على أمر كلي شامل للصغرى وإنما يسمى هذا القياس قياس شمول لشمول كبراه صغراه نحو قولهم: (العالم حادث) وهي الدعوى (لأنه متغير) وهي المقدمة الأولى، وهي الصغرى

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٨٧).

(٢) راجع التعريفات ٢٣٢.

(وكل متغير حادث) وهي المقدمة الثانية وهي الكبرى شاملة للأولى[1].

(فالعالم حادث) وهذه نتيجة هذا القياس.

فقد رأيت ههنا أن قولهم: (وكل متغير حادث).

أمر كلي شامل لقولهم (لأنه متغير).

لذا يسمى هذا القياس قياساً شمولياً.

والثاني: يسمى قياساً تمثيلياً وهو قياس علماء أصول الفقه وهو إعطاء حكم جزئي - وهو الأصل - جزئياً آخر - وهو الفرع.

فيقاس الفرع على الأصل في الحكم لجامع بينهما وهو المماثلة والمشابهة.

فالأصل - نحو «الخمر» والحكم كونه حراما فيقاس عليه «نبيذ الخمر» مثلا في هذا الحكم وهو الحرمة لجامع بينهما وهو السكر.

فيقال: «النبيذ» أيضا حرام.

والثالث: يسمى قياس الأولى.

وهو قياس أحد الشيئين على الآخر في الحكم بحيث يكون المقيس أولى بالحكم من المقيس عليه.

نحو: الكلام صفة كمال في الإنسان.

فإن الإنسان المتكلم خير وأفضل من الإنسان الأخرس.

فالله تعالى أولى وأحرى بأن يكون متكلما.

---

(١) راجع شرح التهذيب للجلال ١٣٨-١٥٩.

٨٤- قوله:

(الامتناع الذاتي)[١].

أقول: هو ضرورة اقتضاء الذات عدم الوجود الخارجي[٢].

أي كون الشيء بحيث ذاته تقتضي عدم وجوده في الخارج بالضرورة والوجوب.

وإن كان موجوداً في الذهن. كشريك الباري.

فإن ذات شريك الباري، وإن كان موجوداً في الذهن ولكن وجوده في الخارج ممنوع بالضرورة، وهذا المنع من مقتضيات ذاته.

٨٥- قوله:

(الإمكان الذاتي)[٣]

هو كون الشيء بحيث لا يقتضي ذاته وجوداً أو عدماً.

٨٦- قوله: «التسلسل»[٤]:

التسلسل: هو ترتيب أمور غير متناهية[٥].

٨٧- العلم البديهي:

هو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب[٦].

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ١٠٣).

(٢) التعريفات ٣٦.

(٣) شرح الطحاوية (١/ ١٠٣).

(٤) شرح الطحاوية / ١/ ١٠٧،١٠٦ - ١٠٩).

(٥) التعريفات ٥٧.

(٦) التعريفات ٤٣.

أي: العلم البديهي هو الذي لا يحتاج المرء في حصوله إلى استدلال وترتيب مقدمات وتمهيد وكسب وعمل،

بل يحصل بدون تلك الأمور،

كالعلم بأن السماء فوقنا وأن الأرض تحتنا.

والعلم بأن الكل أكبر من الجزء.

٨٨- العلة التامة:

«ما يجب وجود المعلول عندها»[١].

أي: وهي العلة التي إذا وجدت وتوفرت، يوجد المعلول فوراً بدون التخلف، كالضوء لشعاع الشمس.

٨٩- «الذوق» في اصطلاح الصوفية:

(عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك عن كتاب أو غيره»[٢].

أقول: هذا منكر من القول وزور.

لأن هذا التسويف مبني على عقيدة الحلول، فالله تعالى لا يحل في قلب أحد، ولا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل إلا الوحي، فكيف يدعي هؤلاء أن الولي لا ينقل عن الكتاب أو غيره؟

ولذا يقول هؤلاء الصوفية المعطلة:

حدثني قلبي عن ربي.

---

(١) التعريفات ١٥٤.

(٢) التعريفات ١٠٧.

٩٠- الكشف:

في اصطلاح الصوفية الخرافية:

هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً أو عدمياً[١].

قلت: هذا باطل، لأن هذا يستلزم جواز الاطلاع على علم الغيب. وهذا كفر والله المستعان.

٩١- العقل:

هو جوهر مجرد يدرك به الغائبات بالوسائل والمحسوسات بالمشاهدة[٢].

٩٢- «المواجيد» الوجد:

هو ما يصادف القلب فيرد عليه بلا تكلف وتصنع، وقيل هو بروق تلمع ثم تخمد سريعاً: [٣]

أقول هذا من مصطلحات الصوفية، فهم يظنون أنهم نيام، يفيقوا فيصحون على مثل عواء الكلاب ويميل بعضهم على بعض ويسقطون يمنة ويسرة ويرقصون ويغنون مع الضرب بالمزامير والدفوف.

٩٣- «الخيال» كما قال الجرجاني:

«هو قوة تحفظ ما يدركه الحس في صور المحسوسات»[٤].

---

(١) التعريفات ١٨٤.
(٢) التعريفات ١٥٢.
(٣) التعريفات ٢٥٠.
(٤) التعريفات ١٠٢.

والخيال قد استعملته الصوفية الخرافية.

من حيث أنهم يتوهمون الأوهام التي لا حقيقة لها:

أنها أمور محسوسة فيظنونها أموراً واقعية وهي أوهام كحضور النبي صلى الله عليه وسلم المولد، أو رؤيتهم الله في الحديث أو سماع كلام الله من الله مباشرة.

ولذلك يقولون: إنكم تأخذون دينكم عن ميت ونحن نأخذ ديننا عن الحي الذي لا يموت.

٩٤- الجوهر الفرد:

معنى الجوهر الفرد عند المتكلمين: أن العالم يتكون من ذرات مادية صغيرة لا تقبل الانقسام على نفسها وهي الجواهر المفردة وأول من قال بهذه النظرية هو الفيلسوف اليوناني (ديمقوقريطس) وأول من تبناها من متكلمي الإسلام أبو الهذيل العلاف المعتزلي وتبعه معمر بن عباد وهشام الفوطي وهما معاصران له. انظر كتاب فكرة الجوهر ٣٩٦.

٩٥ - مبحث التسلسل[١]

فنقول: أولاً لا بد من شرح مصطلحات التسلسل والأزل والأبد.

١- **التسلسل**: وهو ترتيب أمور غير متناهية[٢].

٢- **الأزل**: هو استمرار الوجود في أزمنة غير متناهية ماضية[٣].

٣- **الأبد**: هو استمرار الوجود في أزمنة غير متناهية في المستقبل[٤].

والناس عندهم نزاع في جواز التسلسل وعدمه وها هنا أربع صور في هذه المسألة:

الأولى: جواز التسلسل في الماضي دون المستقبل. وهذه الصورة احتمال عقلي فقط ولم يقل بها أحد من المسلمين ولا من الكافرين.

الثانية: جواز التسلسل في الماضي والمستقبل. قال بها أئمة الحديث أصحاب العقيدة السلفية.

لأن في عقيدة أهل السنة أن الله لم يزل متكلما ولا يزال فاعلا مختارا ولم يزل خالقا قادرا مريدا لما يشاؤه ويختاره ويريده.

ولم يكن معطلا في آن من الآنات ولا يكون معطلا أبدا.

الثالثة: عدم جواز التسلسل لا في الماضي ولا في المستقبل وهذا قول جهم وأبي الهذيل العلاف ومن معهما من أئمة البدع والتعطيل والضلالة والاعتزال والاختلال وهو قول مخالف للنقل والعقل في آن واحد.

---

(١) الطحاوية ط بشير عون ص ٨٣.

(٢) تعريفات الجرجاني ٨٠.

(٣) المرجع نفسه ٣٢.

(٤) المصدر المذكور.

الرابعة: عدم جواز التسلسل في الماضي وجوازه في المستقبل. وهو قول الحنفية الماتريدية والأشعرية الكلابية وأكثر المعتزلة ومن وافقهم من كثير من الفقهاء والمفسرين بدون أن يشعروا مضرة هذا القول. وهذا القول متناقض فاسد. فإن القول بجواز التسلسل في المستقبل دون جوازه في الماضي تحكم بحت وترجيح بلا مرجح وتفريق بين المتماثلين ومتضمن لتعطيل كثير من صفات الله ومنها صفة الكلام.

٩٦- قول ابن أبي العز: (وهذا مثل لفظ المركب والجسم والمتحيز والجوهر والجهة والحيز والعرض)[١].

أقول: عند أهل الكلام المذموم عبارات ومصطلحات يرددونها على ألسنتهم جعلوها حواجز دون اتيان صفات الله تعالى وهذه الألفاظ كلمات مجملة تحتمل معاني مختلفة قد تكون فيها حق وصواب وباطل. فهم ينفون هذه الكلمات عن الله تعالى وعن صفاته فينفون من ضمنها صفات الله تعالى.

فيقولون إن الله تعالى ليس فوق العالم ولا له يد ولا كلام ولا رحمة ولا غضب ولا ينزل إلى السماء الدنيا ولا يجيء يوم القيامة لأنه يلزم في ذلك كونه مركبا متحيزا وجوهرا وجسما ويلزم له جهة. والحيز ما لغير ذلك من الألفاظ. فرد عليهم أهل السنة أن هذه الألفاظ لم ترد في حق الله تعالى إثباته ولا نفيه بل هي كلمات لأهل الكلام وهي ألفاظ عملية مستحدثة. والقاعدة فيها أن تفسر ويبين معناها فإن كان معناها حقا قبل وإن كان معناها باطلا يتضمن التعطيل رد مثال ذلك المركب فله عدة معان:

الأول: ما ركب في متباينين وهو تركيب مزج كتركيب الحيوان في

(١) شرح الطحاوية ص ١٨٩ ص بشير عون.

الأعضاء. فهذا المعنى منفي عن الله تعالى ولكن لا يلزم في إثبات القدم واليد والعين أن يكون الله مركبا لأن هذه الأشياء أعضاء لله تعالى.

الثاني: المركب بتركيب الجوار كتركيب الباب من المصراعين. ولا يلزم في إثبات الله تعالى أيضا هذا التركيب فلا حاجة إلى نفيها.

الثالث: المركب من الأجزاء المتماثلة التي يسمونها جواهر مفردة. فالله تعالى أيضا ليس مركب بهذا المعنى فلا حاجة إلى نفي صفاته خوفا من التركيب.

الرابع: المركب من الهيولى والصورة. كالخاتم مثلا فهيولاه الفضة (وهي مادته) وصورته هي وضع الخاتم وضعا مستديرا فيه حلقة. والله تعالى ليس بمركب بهذا المعنى أيضا فلا يلزم من إثبات صفاته كونه مركبا بهذا المعنى الباطل.

الخامس: المركب من الذات والصفات. وهذا النوع من التركيب وإن سموه تركيبا تمهيدا لنفي الصفات وهذا اصطلاح خاص لأهل الكلام. ومعنى المركب بهذا الاصطلاح وهذا المعنى غير معروف في اللغة ولا في الشرع. فنحن لا نوافقه على تسليم هذا المصطلح لأن المركب بهذا المعنى لا وجود له في الخارج.

ولأن الشيء لا يتركب في الخارج من الذات والصفة لأن الصفة شيء معنوي غير مادي فلا يقال إن الشيء الفلاني مركب من ذاته وعلمه ورحمته ونقمته ونزوله وعلوه مثلا. فهذا من اصطلاحكم ونحن لا نوافقكم.

بل نحن نثبت ذات الله تعالى وصفاته ولا نسميه تركيبا تمهيداً لنفي الصفات وتهويلا وتخويفا. وأما أنتم إن أردتم أن تسموا إثبات الصفات

تركيبا فهذا ليس بتركيب. وإن تصرون على التسمية تركيبا فسموه تركيبا كما تسموا فإن العبرة للمعاني لا للألفاظ. ونعني البلاء والداء العضال الذي أوقع أهل الكلام في التعطيل هو هذه الألفاظ وهذه الكلمات وهذه المصطلحات الباطلة الجملة.

كما قال الإمام ابن القيم:

يا قوم أصل بلائكم ألفاظ لم ... ينزل به الرحمن من سلطان
هي عكّستكم غاية التعكيس ... واقتلعت دياركم من الأركان
وهي التي اشتملت على أمرين ... من حق وأمر واضح البطلان
سميتم عرش المهيمن حيزا ... والاستواء تحيزا بمكان
وجعلتم الإثبات تشبيها أو ... تجسيما وهذا غاية البهتان
وجعلتم الموصوف جسما قابل ... الأعراض والأكوان والألوان
وجعلتم أوصافه عرضا وهذا ... كله جسر إلى النكران
وكذا استواء الرب فوق ... العرش قلتم إنه التركيب ذو بطلان
وكذاك وجه الرب جل جلاله ... وكذاك لفظ يد ولفظ يدان
سميتم ذا كله الأعضاء ... بل سميتموه جوارح الإنسان
والقصد نفي صفاته وفعاله ... والاستواء وحكمة الرحمن
سموه ما شئتم فليس الشأن ... من الأسماء بل في مقصد ومعان
كم ذا توسلتم بلفظ الجسم ... والتجسيم للتعطيل والكفران
وجعلتموه الترس إن ... قلنا لكم الله فوق العرش والأكوان
قلتم لنا جسم على جسم ... تعالى الله عن جسم وعن جثمان[1]

---

(١) النونية ١٦١ - ١٦٢.

٩٧ - قال ابن أبي العز: (وأما لفظ الجهة فقد يراد به ما هو موجود وقد يراد به ما هو معدوم..)[١] إلى آخره.

أقول: اعلم أن عقيدة السلف أن الله فوق العالم.

وعقيدة المتكلمين من المعتزلة والماتريدية والأشعرية أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا تحت ولا فوق ولا في أي جهة لأنهم يعتقدون أن الجهات الست كلها أمور وجودية وهي كلها مخلوقة فلو كان الله في جهة الفوق لزم أن يكون الله في مخلوقه أي يكون الله تعالى داخلا حالا في شيء من مخلوقاته وهذا باطل.

فلزم أن الله تعالى ليس في أي جهة لا فوق ولا غيره.

أقول: هذه شبهة في غاية القوة والمتكلمون بنوا تعطيل العلو على هذه الشبهة.

والجواب عنها: أن نقول: إن الجهة قد تكون وجودية فهي مخلوقة وقد تكون عدمية فلا تكون مخلوقة.

فجهة الفوق - أي جهة فوق العالم جهة غير موجودة وإذا كانت غير موجودة فهي غير مخلوقة لأن المعدوم لا يكون مخلوقا.

فلا يوجد فوق العالم كله إلا الله تعالى. فلا يلزم في كون الله فوق العالم كونه تعالى في جهة مخلوقة.

٩٨ - قال ابن أبي العز: (والقائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة لهم في المعاد ضبط واضطراب وهم فيه على قولين)[٢] إلى آخره منهم من يقول تنعدم تلك الجواهر المفردة أي تلك الأجزاء الصغيرة ثم

---

(١) ص ٢١٠ ط بشير عيون - دار البيان.

(٢) شرح الطحاوية. ص ٥٣٧ طبع دار البيان بشير عيون.

تعاد تلك الأجزاء الصغيرة فيتركب منها الجسم مرة ثانية وحاصل هذا القول: إن الجسم بجميع أجزائه الصغيرة التي هي كالذرات يعني وتفنى تلك الأجزاء الصغيرة فناء كليا ثم تنقل هذه الأجزاء من العدم إلى الوجود فيتركب منها الجسم ومنهم من يقول تتفرق تلك الأجزاء الصغيرة وتتثبت في الأماكن المختلفة في الأرض برا وبحرا أو في بطون الحيتان والسباع وتكون تلك الأجزاء موجودة لا تنعدم ثم تجمع هذه الأجزاء ويتركب منها الجسم ويعاد حيا.

٩٩ - قال ابن أبي العز: (إن الالتفات إلى الأسباب شرك. . .)(١).

أقول: معناه: الالتفات إلى الأسباب «أي اعتماد القلب على الأسباب بدون الاعتماد على مسببها وخالقها».

شرك في التوحيد. لأن المؤمن لا يعتمد اعتمادا كليا إلا على الله تعالى دون الأسباب فمن اعتمد على الأسباب والتفت إليها بمجامع قلبه ونسي ربه فلا شك أنه شرك للأسباب بالله تعالى في الربوبية والخالقية والرازقية.

وأما قوله: «ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل».

أقول معناه: أن كثيرا من الصوفية أنكروا الأسباب وتعلق الأمور بأسبابها بالكلية. فمن فعل هذا فهو مطعون في عقله لأنه هذا إنكار في الواقع والحس. لأن الله تعالى علق جميع الحوادث والمسببات بأسبابها فمن أنكر توها أسبابا فقد تبين فساد عقله. فمعنى قوله «محو الأسباب» أي يمحو الإنسان جميع الأسباب ويجعلها كالعدم وينكر وجودها وتعلقها بمسبباتها فهو أحمق فاسد العقل.

---

(١) شرح الطحاوية. ص ٥٣٧ طبع دار البيان بشير عيون.

ومعنى قوله (والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع) إن من اعترف بوجود الأسباب في الكون ولكن يعرض عنها بالكلية فلا يستخدمها مثلا يترك الناقة خارج البيت ليلا ولا يدخلها داخل الدار ولا يربطها. ويقول أنا متوكل على الله. أو لا يأكل ولا يشرب ويقول لا بد من التوكل ولا حاجة إلى الطعام والشراب. ففعل هذا الشخص في الحقيقة قدح في الشرع. لأن الشرع أمر بالتوكل ولكن مع التوكل أمر الشرع باتخاذ الأسباب لحصول المسبَّبَات.

فحفظ الناقة لا يمكن إلا إذا أدخلتها البيت أو ربطها مع التوكل على الله دون التوكل على الأسباب. وكذا قوام الإنسان لا يتم على الله دون التوكل على الأسباب. وكذا قوام الإنسان لا يتم إلا بالأكل والشرب ودفع الجوع من التوكل على الله دون التوكل على الطعام والشراب. فجعل الأسباب شريكة مع الله بحيث ينعدم التوكل على الله شرك لا محالة وإنكار الأسباب بالكلية سفه يخالف العقل وعدم استخدام الأسباب مخالفة للشرع. فلا بد من استخدام الأسباب لحصول المسببات على التوكل على الله سبحانه وتعالى فلا تناقض في هذه الأقوال.

«الأسئلة والأجوبة المرضيّة»
على شرح الطحاويّة

«متن العقيدة الطحاوية»

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

[الحمد لله رب العالمين قال العلامة حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي - بمصر - رحمه الله:

هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني، رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين].

١- نقول - في توحيد الله معتقدين - بتوفيق الله -: إن الله واحد لا شريك له.

٢- ولا شيء مثله.

٣- ولا شيء يعجزه.

٤- ولا إله غيره.

٥- قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء.

٦- لا يفنى ولا يبيد.

٧- ولا يكون إلا ما يريد.

٨- لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام.

٩- ولا يُشبِهُه الأنام.

١٠- حي لا يموت، قيوم لا ينام.

١١- خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة.

١٢- مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة.

١٣- ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً.

١٤- ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم «الخالق»، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم «الباري».

١٥- له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق.

١٧- ذلك بأنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

١٨- خلق الخلق بعلمه.

١٩- وقدر لهم أقداراً.

٢٠- وضرب لهم آجالاً.

٢١- ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم.

٢٢- وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته.

٢٣- وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن.

٢٤- يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي، فضلاً، ويضلّ من يشاء، ويخذل ويبتلي، عدلاً.

٢٥- وكلهم يتقبلون في مشيئته، بين فضله وعدله.

٢٦- وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد.

٢٧- لا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره.

٢٨- آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلاً من عنده.

٢٩- وأن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى.

٣٠- وأنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين.

٣١- وكل دعوى النبوة بعده فغيّ وهوى.

٣٢- وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء.

٣٣- وأن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً. وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]، أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر.

٣٤- ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر.

٣٥- والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سَلَّم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه.

٣٦- ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوساً تائهاً، شاكاً، لا مؤمناً مصدقاً، ولا جاحداً مكذباً.

٣٧- ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم، أو تأولها بفهم إذ كان تأويل الرؤية - وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية - بترك التأويل ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين. ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه. فإن ربنا جل وعلا

موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية.

٣٨- وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات.

٣٩- والمعراج حق، وقد أسري بالنبي ﷺ، وعُرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى، ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١] فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى.

٤٠- والحوض الذي أكرمه الله تعالى - غياثاً لأمته - حق.

٤١- والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار.

٤٢- والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق.

٤٣- وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد، ولا ينقص منه.

٤٤- وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه، وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله.

٤٥- وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. فمن سأل: لِم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

٤٦- فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منوَّر قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم، لأن العلم علمان: علم في الخلق

موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر، وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود.

٤٧- ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن - لم يقدروا عليه. ولو اجتمعوا كائنا - لم يقدروا عليه، جفَّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه.

٤٨- وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً، ليس فيه ناقض، ولا معقِّب، ولا مزيل ولا مغير، ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه، وذلك من عَقْد الإيمان، وأصول المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]. فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيماً، وأحضر للنظر فيه قلباً سقيما لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سراً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً.

٤٩- والعرش والكرسي حق.

٥٠- وهو مستغن عن العرش وما دونه.

٥١- محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقَه.

٥٢- نقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلا، وكلم الله موسى تلكيما، إيماناً وتصديقاً وتسليماً.

٥٣- ونؤمن بالملائمة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين.

٥٤- ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين.

٥٥- ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله.

٥٦- ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين.

نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمداً ﷺ. وهو كلام الله تعالى، لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين.

٥٧- ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله.

٥٨- ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله.

٥٩- ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم ولا نقنِّطهم.

٦٠- والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة.

٦١- ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه.

٦٢- والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان.

٦٣- وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق.

٦٤- والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء والتفاضل بينهم بالخشية والتقي، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى.

٦٥- والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن.

٦٦- والإيمان: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، خيره وشره، وحلوه ومره، من الله تعالى.

٦٧- ونحن مؤمنون بذلك كله، لانفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به.

٦٨- وأهل الكبائر [من أمة محمد ﷺ] في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين [مؤمنين]،

وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦] وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته. اللهم يا وليّ الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به.

٦٩- ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم.

٧٠- ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى.

٧١- ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف.

٧٢- ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة.

٧٣- ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة.

٧٤- ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة.

٧٥- ونقول: الله أعلم، فيما اشتبه علينا علمه.

٧٦- ونرى المسح على الخفين، في السفر والحضر، كما جاء في الأثر.

٧٧- والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما.

٧٨- ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين.

٧٩- ونؤمن بملك الموت، الموكل بقبض أرواح العالمين.

٨٠- وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً وسؤال مُنكرٍ ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم.

٨١- والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران.

٨٢- ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراط والميزان.

٨٣- والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له.

٨٤- والخير والشر مقدَّران على العباد.

٨٥- والاستطاعة التي يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به - فهي مع الفعل. وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات، فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٨٦- وأفعال العباد خلق الله، وكسب من العباد.

٨٧- ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم وهو تفسير: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، نقول لا حيلة لأحد، ولا حركة لأحد ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله.

٨٨- وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره. غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها. يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبدا [تقدس عن كل سوى وحين وتنزه عن كل عيب وشين]، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

٨٩- وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم [منفعة] للأموات.

٩٠- والله تعالى يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات.

٩١- ويملك كل شيء، ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين، فقد كفر وصار من أهل الحَيْن.

٩٢- والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى.

٩٣- ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفْرِط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

٩٤- ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون.

٩٥- وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين.

٩٦- ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ، وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد بريء من النفاق.

٩٧- وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين - أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر - لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.

٩٨- ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء.

٩٩- ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم.

١٠٠- ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها.

١٠١- ولا نصدق كاهنا ولا عرّافاً، ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

١٠٢- ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً.

١٠٣- ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

١٠٤- وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس.

١٠٥- فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً، ونحن برآء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه.

ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة. والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية، مثل المشبهة، والمعتزلة، والجهمية، والجبرية، والقدرية وغيرهم، من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم برآء، وهم عندنا ضلاّل وأردياء، وبالله العصمة والتوفيق.

(أسئلة على مقدمة ابن أبي العز لشرح الطحاوية)

س ١- ما هي مكانة علم التوحيد بين العلوم؟ علل لما تقول؟

جـ : مكانته بينها أنه أجل العلوم وأشرفها وهو معرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله والبحث في حكمة خلق الثقلين وكيفية تحقيقه تلك الغاية والحكمة.

التعليل:

لأن شرف العلم بشرف المعلوم أي أن منزلة كل علم إنما تكون على حسب الموضوع الذي يبحث فيه هذا العلم، ولأن علم التوحيد يتعلق بذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وقدره وشرعه، ولأن حاجة الناس إليه فوق كل حاجة وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، ولا قوام للناس إلا به.

س ٢- هل يمكن أن تنفرد العقول بمعرفة أصول الدين بحيث يعد العقل أحد مصادر التلقي في العقائد؟ وما الوجه لما تقول؟

جـ : من المحال أن تنفرد العقول بمعرفة أصول الدين وإدراكه على التفصيل ووجه ذلك: «أن العقول قاصرة عن إدراك ذلك لضعفها فاقتضت رحمة الله العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين وإليه داعين وجعل مفتاح دعوتهم معرفة المعبود سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله.

س ٣- ما الحكمة من بعثة الرسل؟

جـ : الحكمة من بعثة الرسل هي الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وتعريفهم به سبحانه ومبشرين من أجابهم ومنذرين من خالفهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

س ٤- هناك أصلان يتبعهما المرء بعد معرفة المعبود أوضحهما مع بيان أكثر الناس طاعة لربهم وأتبعهم لرسله؟

جـ : الأصلان هما:

١- التعريف بشريعته المتضمنة لأمره ونهيه وهي الطريق الموصل إليه.

٢- تعريف الصالحين الملتزمين بالشريعة بما لهم بعد الوصول إليه من النعيم المقيم في جنات النعيم وأعرف الناس بالله عز وجل وأكثرهم طاعة له وأتبعهم لرسله هو من عرف الله وعبده، واتبع الطريق الموصل إليه وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم إليه.

س ٥- إن القرآن أهم مصادر تلقي العقائد، وقد وصفه الله بأنه هدى وشفاء ونور. فهل بين هذه الأوصاف تنافٍ؟ مع بيان مناسبة كل وصف منها للقرآن.

ج : ليس بينها تنافٍ وذلك أن القرآن هدى الله لطريق السعادة في الدارين، وهو شفاء لقلوب العباد من أدران الشرك والجهل والمعاصي، ونور يضيء للخلق الطريق المستقيم لعبادة الله تعالى ونيل مرضاته.

س ٦- هل يجب على كل أحد الإيمان بكل ماجاء به الرسول ﷺ إجمالاً وتفصيلاً أوضح ذلك؟

ج : لاريب أنه يجب الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ مجملاً على العامة كمعرفة أركان الإسلام إجمالاً وكذلك أركان الإيمان ونحوها، كما أن معرفة ماجاء به الرسول ﷺ مفصلا فرض على كافة العلماء ولم يفرض على غيرهم كأركان الإيمان تفصيلاً وتفاصيل أركان الإسلام الخمسة والرد على أهل البدع والإلحاد.

س ٧- هل ما يجب على الأعيان متساوٍ أم مختلف وضح ماتقول؟

ج : ما يجب على الأعيان يتنوع بتنوع قُدَراتهم وحاجاتهم ومعرفتهم ما أمر به أعيانهم، فما يجب على العالم من الرد على المخالفين ومقارعتهم بالحجة والرد على شبههم لايجب على غير العالم.

س ٨- ما السبب في ضلال من ضل في مسائل أصول الدين؟ دلل لذلك من الكتاب والسنة؟

ج: سببه:

١- تفريطهم في اتباع ماجاء به الرسول ﷺ لأن اتباعه هو طريق الهداية كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

٢- وترك النظر في الأدلة الشرعية والاستدلال بها للوصول إلى معرفة الله - فلما أعرضوا عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ضلوا. من هذا قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[2].

ومن السنة حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنها ستكون فتن قلت ما المخرج منها يا رسول الله قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم» الحديث. ومعناه صحيح وإن كان الحديث غير صحيح عند علماء الحديث[3].

س ٩- ما موقف أهل السنة والجماعة مما أخبر الله به عن نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ؟

ج: يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه العزيز وما وصفه به رسوله - الصادق الأمين من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[4] وعلى ذلك مضى السلف وخير القرون ولكن خلف من بعدهم خلف اتبعوا غير سبيل المؤمنين فعطلوا وحرّفوا فألحدوا.

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٥٨).

(٢) سورة طه: الآيتان (١٢٣ - ١٢٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٠٦)، قال المعلمي في حاشيته على الفوائد المجموعة سنده ضعيف ومتنه حسن، وقال الألباني ضعيف جداً (ضعيف الجامع) (٢٠٨١) والضعيفة ١٧٧٦).

(٤) سورة الشورى: الآية (١١).

س ١٠- قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[١] ذكر المؤلف معنيين لهذه الآية فأوضحهما. وهل بينهما تنافٍ؟

جـ: ١ - المعنى أن قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ معطوف على الضمير المستتر في أدعو أي أن أتباعه ﷺ هم الدعاة إلى الله أي أدعو أنا إلى الله وكذلك أتباعي يدعون إلى الله.

٢- أما إن كان معطوفا على الضمير المنفصل (أنا) فهو صريح في أن أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء به ﷺ دون غيرهم: ولاتنافي بين المعنيين بل كلاهما حق. فإن أتباعه ﷺ هم الدعاة إلى الله تعالى وهم أهل البصيرة دون غيرهم.

س ١١- ما سبب ظهور البدع والتحريف؟

جـ: سببه بُعْدُ العهد عن عصر النبوة والإعراض عن الكتاب والسنة وتقديم العقل والرأي على النقل واتباع الهوى ودعاة الباطل والتوسع في سماع شبههم، والإصغاء إليها وعدم الرد عليها والخوض فيها.

س ١٢- بين ما هو التحريف والتأويل الكلامي المذموم مع إيضاح الفرق بينهما وما شرط قبول التأويل؟

جـ: التحريف هو التبديل والتغيير - تغيير ألفاظ الأسماء الحسنى والصفات العلي ومعانيها وأما التأويل فهو صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به والفرق بينهما أن كل تحريف تأويل وليس كل تأويل تحريفاً وأن أحدهما قد يكون صحيحاً وهو التأويل إذا كان بمعنى التفسير والآخر باطل من أساسه وهو التحريف. والتأويل البدعى وهو الذي بدافع الانحراف والزيغ والضلال وهو

---

(١) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

الأثر الذي يتكون في نفس الزائغ والضال، فهو باطل. وشرط قبول التأويل الصحيح استناده إلى قرينة أو دليل.

س ١٣- ما سبب التأويل الكلامي البدعي والنزاع في الدين؟

ج : سببه الآتي:

١- الإصغاء إلى شبه المبطلين.

٢- الخوض في الكلام المذموم الذي عابه السلف ونهوا عنه وعن النظر فيه.

٣- الإعراض عن الكتاب والسنة.

س ١٤- ذم السلف الكلام وأهله فما الباعث لهم على ذلك؟ وهل يذم الكلام مطلقاً؟

ج : ذم السلف الكلام لأنه يخالف ماجاء به الرسول ﷺ عن الله عز وجل وماثبت عنه ﷺ من الحق ولأنه يعتمد على التصورات العقلية وهي متفاوتة أيضاً لأنها قائمة على الظن وعدم اليقين وعلى الخوض في الكلام الذي لافائدة فيه.

وليس كل كلام يعده السلف مذموماً يكون مخالفاً للكتاب والسنة بل في المسألة تفصيل فإن كان اللفظ موافقاً للكتاب والسنة والمعنى موافقاً أيضا قُبِل، وإن كان كلاهما مخالفا رُدَّ وإن كان اللفظ موافقاً والمعنى مخالفاً رد المعنى، وإن كان المعنى موافقاً واللفظ مخالفا رد اللفظ وقُبل المعنى وعبر عنه بألفاظ توافق الكتاب والسنة، فما رددناه فهو مذموم وما قبلناه لايذم.

س ١٥- أوضح وجه الدلالة على ذمهم من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[1] وبين وجه الشبه بين المتكلمين ومن نزلت فيهم الآية؟

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٦٨).

ج : وجه الدلالة على ذمهم: أن بحثهم واعتمادهم على عقولهم والأقيسة الفاسدة إنما هو خوض بغير علم، لذلك ذمهم بقوله تعالى: ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا**﴾ [الأنعام: ٦٨].

ووجه الشبه: هو أنهم أعرضوا عن كتاب الله وسنة رسوله وتكلموا فيهما بغير علم وبغير بصيرة واتبعوا أهواءهم - وحكّموا عقولهم وتركوا الكتاب والسنة كما فعل المذكورون في الآية وإن حجتهم واحدة وأنهم قالوا نريد التوفيق بين العقل والنقل.

س ١٦- ذكر المؤلف أن التحريف والانحراف على مراتب مختلفة فاذكرها مع التوجيه.

ج : المراتب هي:

١- أنه قد يكون كفرا مثل تأويل الباطنية للصلاة والحج بزيارة مشايخهم ومراقد هؤلاء الشيوخ.

٢- أنه قد يكون فسقا مثل تأويلات المتكلمين لصفات الباري بما يخالف ظاهرها كتأويل صفة الاستواء بالاستيلاء.

٣- أنه قد يكون معصية كتأويل بعض الفقهاء لبعض الأحاديث التي تخالف مذهبهم.

٤- أنه قد يكون خطأ كتأويل المجتهدين الذين يَتَحَرَّوْنَ الحق فيخطئون في تفسير بعض النصوص وتوجيه ذلك هو اختلاف هذه المراتب في نتائجها.

س ١٧- دلل على عموم رسالة النبي ﷺ وهل دعوة باقي الرسل الآخرين عامة كذلك؟

ج : ليست دعوة الرسل عامة إذ كان كل رسول يبعث في قومه خاصة إلا دعوة الرسول محمد ﷺ فإنها عامة للثقلين الإنس والجن، والدليل على عموم دعوة الرسول ﷺ للثقلين قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ

﴿إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[1] - هذه الآية للإنس وللجن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[2] ولما جاء في الحديث (وكان كل نبي يبعث في قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة)[3].

س ١٨- ذكر شارح الطحاوية أن هناك شبهاً بين المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[4] وبين المتكلمين والمتفلسفة، أوضح وجه الشبه هذا.

ج : وجه الشبه يكون من وجوه:

١- أن كلا منهم تحاكم إلى غير الله فالمنافقون تحاكموا إلى طواغيتهم والمتكلمون والمتفلسفة حكّموا عقولهم.

٢- أن كلا منهم يريد التوفيق - فالمنافقون يريدون التوفيق بين الكافر والمسلم، وأهل الفلسفة والكلام يريدون التوفيق بين العقل والنقل.

٣- أن كلا منهم يدعى أنه محسن في عمله.

س ١٩- ما حجج من ترك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وحكَّم الرأي؟

ج : حججهم هي كما تقول المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم.

١- أننا نريد أن ندرك الأشياء بحقيقتها.

٢- نريد التوفيق بين الدلائل التي (يسمونها عقليات) وبين الدلائل النقلية عن الرسول ﷺ، أو نريد التوفيق بين الشرع والفلسفة.

٣- كما تقول المتنسكة والمتصوفة إنما نريد بالأعمال التي نعملها

---

(١) سورة سبأ: الآية (٢٨).

(٢) سورة الأحقاف: الآيتان (٢٩ - ٣٠).

(٣) حديث حسن. رواه أحمد (٢/ ٢٢٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠) (٣٦٧) رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٤) سورة النساء: الآية (٦٠).

- العمل الحسن، والتوفيق بين الشريعة وبين ما هم عليه من الباطل الذي يسمونه حقائق وهي ضلال مبين.

٤- كقول المتكلمة: إنما نريد الإحسان بالسياسة الحسنة والتوفيق بينها وبين الشريعة ونحو ذلك. نقول إنكم ضللتم في ادعائكم وإن الحق فيما جاء به الرسول ﷺ من عند الله.

س ٢٠- حدث تقصير كبير من كثير من المسلمين في أمور الشريعة. فما سبب ذلك مع توضيح لما يترتب عليه من الشر؟

ج: سبب ذلك:

١- عدم العلم بما جاء به الرسول ﷺ في كثير من الأمور الاعتقادية وفي كثير من الأحوال العبادية وفي كثير من الأمور السياسية.

٢- نسبوا إلى شريعة الرسول ﷺ بظنهم وتقليدهم ما ليس منها من البدع.

٣- أخرجوا عن الشريعة كثيراً مما هو منها. ويترتب على ذلك كثرة القيل والقال في أمور الدين حيث أصبحت السنة بدعة والبدعة سنة والمعروف منكراً والمنكر معروفا.

س ٢١- قال أبو يوسف: (العلم بالكلام هو الجهل والجهل بالكلام هو العلم) اشرح هذا الكلام وبين المراد منه؟

ج: المراد بالجهل به اعتقاد عدم صحة علم الكلام فإن ذلك الاعتقاد علم نافع، أو أراد به الإعراض عن الكلام بهذا الاعتبار أي باعتبار عدم صحته. والمقصود منه عدم التعلق بعلم الكلام وعدم الإعراض عن السنة.

س ٢٢- ذم أبو يوسف الكيمياء فقال: (ومن طلب المال بالكيمياء أفلس) هل يشمل هذا ما يدرس في المدارس من مادة الكيمياء؟

ج: لايتناول هذا الذم ما يدرس في المدارس لأن ماذمه أبو يوسف أمور خفية وسجل حيل يعملها صاحبها ليجلب الناس بها ويستميلهم ويربح من ورائهم ثم لايلبث أن يفتضح أمره وينكشف ويكون سبباً

في إفلاسه.

أما الكيمياء التي تقوم على الدراسة الصحيحة لخصائص المادة من قوانين ونظم وقواعد يبحث بها في طبيعة الأشياء، فلا يقصد بها ذلك.

س ٢٣- اذكر بعض ما نقل عن السلف في ذم الكلام وأهله؟

ج : كما نقل عن أبي يوسف (من طلب العلم بالكلام تزندق ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ومن طلب غريب الحديث كذب) والكيمياء علم يبحث في طبيعة الأجسام البسيطة وخصائصها ومما ينشأ عنها من المركبات وغير ذلك. وعند القدماء علم يراد به تحويل بعض المعادن إلى بعض كتحويل الحجر إلى ذهب، ومن تتبع غرائب الحديث رماه الناس بالكذب وكذلك نقل عن الشافعي أنه حكم على أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك كتاب الله وسنة رسوله وأقبل على علم الكلام وهذا الحكم من الشافعي على أهل الكلام جاء تغليظا لفعلهم وتعزيراً لهم لما وقعوا فيه من المخالفة للكتاب والسنة وقوله: «كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين».

س ٢٤- قال بعض الخلف (طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم) فهل مايقولونه صحيح أم خطأ؟ علل لما تقول؟

ج : إن هذه الدعوى غير صحيحة بل أن طريقة السلف أعلم وأسلم لأن الرسول ﷺ قال (خيركم قرني ثم الذين يلونهم)[1] ولأن من كانت طريقته أسلم فهي أعلم وأحكم لكن الخلف ضلوا عن ذلك وعموا وصموا. وأما طريقة الخلف فإنهم تعمقوا في البحث وشغلوا عقولهم بما لايمكنها أن تبلغه وهذا باطل.

---

(١) البخاري (٦٤٢٨) ومسلم (٢٥٣٥).

ولكن هؤلاء المتأخرين ظنوا أن طريقة السلف هي التفويض لمعاني النصوص إلى الله تعالى لذلك جعلوها أسلم وأما طريقة الخلف عندهم فهي طريقة الاستفصال والتأويل لذلك فهي عندهم أعلم وأحكم، وقولهم هذا يتضمن عدة محذورات:

الأول: أنه قدح في تبليغ النبي ﷺ للرسالة.

الثاني: أن السلف آمنوا بنصوص لايفهمون معناها، وهذا انتقاص لهم.

الثالث: أن الدين كان ناقصاً حتى أتى الخلف ليكملوه ويسدوا خلله.

س ٢٥- استعمل المتكلمون ألفاظا لم يستعملها السلف كالجوهر والعرض والجسم وغيرها عرف كلاً من (الجوهر - العرض - الجسم) وما موقف السلف من هذه الألفاظ مع التعليل؟ وهل معاني الألفاظ السابقة عند المتكلمين هي نفس معانيها في اللغة العربية؟

ج: الجوهر هو ما يتقوّم بذاته ولا يفتقر إلى غيره، وجوهر الشيء حقيقته وبدونه يصير الشيء مختلفا أو معدوماً، والعرض هو القائم بغيره، والجسم هو ماتصح الإشارة إليه ويمكن رؤيته بالأبصار ويتصف بالصفات وموقف السلف من هذه الألفاظ هو أنهم لايقبلونها على إطلاقها ولايردونها مطلقاً بل من تكلم بها سئل عن مراده فإن أراد حقا قبل وإن أراد باطلا رد. والسبب أنها ألفاظ مجملة مشتملة على حق وباطل وليس معناها عند المتكلمين هو معناها في اللغة العربية فإن جوهر الشيء هو أصله وطبيعته التي خلق عليها، والجسم في اللغة هو الكثيف الغليظ، والعرض: هو ما يعرض ثم يزول.

ولكن السلف كرهوا هذه الألفاظ لاشتمالها على أشياء كثيرة مخالفة للكتاب والسنة، ولهذا فليس عند أهلها حتى العلماء منهم ما يوجد عند عوام المؤمنين من الإيمان والمعرفة واليقين.

(التوحيد وأنواعه)

س ٢٦- قال الطحاوي رحمه الله فيما نقله عن أبي حنيفة وصاحبيه: (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لاشريك له..).

اختلف مفهوم التوحيد عند أهل السنة والفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة. عرِّف ما هو التوحيد عند كلٍ من هذه الفرق ثم بين ما هو التوحيد الذي أرسلت به الرسل ودعت إليه مع ذكر الأدلة.

ج : التوحيد عند أهل السنة هو إفراد الله تعالى بالربوبية من خلق وتدبير مع إثبات أسمائه وصفاته الواردة في النصوص وتنزيهه سبحانه عن المثلية والمشابهة، وصرف العبادة كلها إليه دون غيره.

أما الفلاسفة فالتوحيد عندهم إثبات ذات مجردة عن الأسماء والصفات.

وأما المتلكمون فالتوحيد عندهم اعتقاد الوحدانية لله ذاتاً وصفة وفعلا، فغلوا في توحيد الربوبية وأهملوا توحيد الألوهية تماماً.

مع نفيهم لكثير من الصفات كالعلو والكلام مثلا.

وأما المتصوفة الاتحادية فتوحيدهم أن الله موجود أزلاً في كل شيء حتى الكلب والخنزير والقرد.

وأما المتصوفة الحلولية فتوحيدهم أن الله حل في كل شيء. والمتصوفة الذين يؤمنون بوحدة الوجود يعتقدون أن كل المخلوقات ما هي إلا صور تتجلى فيها الذات الإلهية أي أن الموجود الحقيقي هو الله وحده وكل المخلوقات صور له منذ الأزل... بينما المتصوفة الحلوليون يعتقدون أن الله يحل في عباده الصالحين، بكثرة العبادة وإخلاص الحب لله.

والتوحيد الذي أرسلت به الرسل ودعت إليه: هو توحيد الألوهية والدليل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[1] وقال هود وصالح وشعيب لأقوامهم ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[2].

س ٢٧- ما أول واجب على المكلف؟ بين الخلاف في ذلك مع بيان الدليل لما تختار.

ج : أول واجب على المكلف الشهادتان قولا واعتقاداً وعملا لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك كما هي أقوال أرباب الكلام المذموم ويقصدون بذلك أن القصد إلى النظر هو النظر في الأدلة العقلية والشك هو الشك في ذات الله ووجوده حتى يحصل اليقين من خلال النظر في الأدلة وقالوا بوجوب النظر لأن الغاية عندهم من خلق الخلق وإرسال الرسل إنما هي توحيد الربوبية فقط، والحق القول الأول المنقول عن السلف ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[3] وقوله عليه الصلاة والسلام **﴿من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة﴾**[4].

س ٢٨- ما تقول في كافر أتى بشيء من خصائص الإسلام هل يكون مسلما أم لا؟

ج : يكون مسلما بكل ما هو من خصائص الإسلام مثل الصلاة والحج وغيرها، وقد قرر ذلك ابن أبي العز في شرحه للطحاوية.

وذهب البعض إلى أنه لايحكم للمعين بالإسلام إلا إذا تلفظ بالشهادتين واستدلوا بأن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٥٩).

(٢) سورة الأعراف: الآيات (٦٥ - ٧٣ - ٨٥) وسورة هود الآيات (٥٠ - ٦١ - ٨٤).

(٣) سورة النحل: الآية (٦٣).

(٤) صحيح أخرجه أبو داود (٣١١٦) والحاكم (١/ ٣٥١) وأحمد (٥/ ٢٤٧) وغيرهم.

لا إله إلا الله . .»[1] فجعل الواجب التلفظ بها، وكذلك فإن أركان الإسلام تالية على النطق بالشهادتين كما في حديث بُنِي الإسلام، فالذي يظهر لي - والله أعلم - أن القول الثاني أقرب للصواب.

س ٢٩- عدّد أنواع التوحيد عند أهل السنة ومخالفيهم مع التعريف لكل نوع.

جـ ١- أنواع التوحيد عند أهل السنة ثلاثة:

أ- توحيد الأسماء والصفات وهو إثبات أن لله صفات وأسماء تليق به وبجلاله ونفى كل عيب ونقص عنه.

ب- توحيد الربوبية وهو الإيمان والإقرار أن الله خالق كل شيء المالك المتصرف في جميع خلقه.

جـ- توحيد الألوهية وهو الإيمان والإقرار باستحقاقه سبحانه أن يُعْبَدَ وحده لاشريك له وصرف العبادة إليه ويمكن ردها إلى نوعين كما ذكر ابن تيمية - توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في القصد والطلب، وذلك بإدخال توحيد الربوبية مع توحيد الأسماء والصفات في توحيد المعرفة والإثبات. وهذا التقسيم مستنبط من نصوص الكتاب والسنة، استنبطه أهل العلم وساروا عليه قبل ابن تيمية رحمه الله تعالى.

٢ - أنواع التوحيد عند أهل الكلام

وأما التوحيد عند أهل الكلام فهو توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، فغلوا في توحيد الربوبية وأعرضوا عن توحيد الألوهية، وعطلوا كثيرا من صفات الله تعالى.

٣ - أنواع التوحيد عند الصوفية

وأما الصوفية فالتوحيد عندهم ثلاثة أنواع، توحيد العامة، وتوحيد

---

(١) البخاري (٣٩٢) ومسلم (٢١).

الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة. وسيأتي الكلام عليها فيما بعد إن شاء الله.

س ٣٠- زعم نفاة الصفات أن إثبات الصفات يلزم منه تعدد الواجب - أي الرب - فهل هذا صحيح؟ وبم ترد عليهم؟

ج : ليس ما زعموا صحيحا، والذي حملهم على ذلك أنهم جعلوا الذات منفصلة عن الصفات. وهذا القول معلوم الفساد بالضرورة فإن إثبات ذات مجردة عن الصفات لا يتصور لها وجود في خارج الذهن وإنما الذهن، قد يفرض المحال ويتخيله وهذا غاية التعطيل، وأيضاً فإن الإنسان الواحد قد يتصف بعدة صفات ولا يلزم من ذلك تعدد الذات الموصوفة.

س ٣١- بيّن كيف يفضي التعطيل عند جهم إلى القول بالحلول والاتحاد؟ مع بيان ما يترتب على قول جهم في التوحيد من المفاسد؟

ج : التوحيد عند جهم هو نفي الصفات مثل قولهم إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب. وهذا كلام فاسد لأن إثبات ذات مجردة عن الصفات لا يمكن وجوده خارج الأذهان، غير أنهم لما جردوا الذات الإلهية عن الصفات انقسموا إلى فريقين: فريق يقول بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا فوق ولا تحت وليس له مكان، وهو مذهب المعتزلة والأشعرية والماتريدية. وفريق قالوا هو في كل مكان بل هو حالٌ في كل شيء من مخلوقاته، وهكذا قالوا بالحلول والاتحاد وهكذا قالوا إن عباد الأصنام على حق لأنهم عبدوا الله الذي حل داخل الصنم وعندهم فرعون مؤمن لأن الله حل فيه - بزعمهم - وكان فرعون عالماً بذلك، وهم يقولون ليس هناك إلا عين واحدة هي عين الرب فالكل هو الله. وهذا أقبح من كفر النصارى فإن النصارى خصوه بالمسيح وهؤلاء جعلوه في كل شيء حتى في النجاسات والبهائم. ويترتب على قول جهم مفاسد كثيرة منها أن نفي الصفات يستلزم نفي الذات ومن فروع هذا المذهب أن

من قال افعل كذا فقد ضيق على الناس وأنه لا فرق في التحريم والتحليل بين الأم والأخت والأجنبية وغير ذلك وكذلك لا فرق عندهم بين الماء والخمر لأنه عين[*] واحدة لا تغاير بينها.

س ٣٢- لقد غلا المتكلمون والصوفية في إثبات توحيد الربوبية فهل خالف أحد في توحيد الربوبية؟ وهل الإقرار به فطري أم يحتاج إلى نظر عقلي؟ ومن أشهر من تظاهر بإنكار هذا التوحيد؟ وهل فرعون يعترف بالخالق؟ دلل على ما تقول؟

ج : لم ينازع أحد في توحيد الربوبية قديما إلا ما أظهره فرعون من إنكاره وأما حديثا فالشيوعيون ينكرونه والإقرار به فطري وأشهر من تظاهر بإنكار الصانع فرعون وفرعون ينكره في الظاهر ويعترف به في الباطن ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾[1] وقوله ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾[2] فالشاهد من الآيتين قوله تعالى: «علمت» وقوله «واستيقنتها أنفسهم» فدلت الآيتان على أنه إنما كان يتظاهر بذلك ولا يعتقده في الحقيقة وكذلك قومه تظاهروا باتباعه بخلاف باطنهم.

س ٣٣- قال تعالى: حكاية عن فرعون قائلا لموسى ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾[3] **في الاستفهام قولان فاذكرهما مع ترجيح ماتختار؟.**

ج : القول الأول: أنه استفهام إنكاري لتجاهل العارف بالشيء الذي يتظاهر بجهله وإنكاره وقد زعم طائفة من أهل الكلام - بناء على مذهبهم في إثبات ذات بلا صفات - أن فرعون سأل موسى عليه

(*) أي ذات واحدة، والعين ذات الشيء ونفسه.

(١) سورة الإسراء: الآية (١٠٢).

(٢) سورة النمل: الآية (١٤).

(٣) سورة الشعراء: الآية (٢٣).

السلام عن الماهية أي - ما هو - وأنه لما لم يكن له ماهية عجز موسى عن الجواب وهذا غلط وإنما هذا استفهام إنكار وجحد كما دلت سائر آيات القرآن على أن فرعون كان جاحدا لله نافيا له ولم يكن مثبتا له طالبا للعلم بماهيته وإن كان معترفا به في قلبه ولهذا بين لهم موسى أنه معروف وأن آياته ودلائل ربوبيته أظهر وأشهر من أن يسأل عنه بما هو بل إنه سبحانه أعرف وأظهر وأبين من أن يجهل بل معرفته مستقرة في الفطر أعظم من معرفة كل معروف.

س ٣٤- اذكر بعض الفرق التي أشركت في توحيد الربوبية مع بيان كيفية التوفيق بين معتقداتها وبين فطرية الإقرار بالربوبية، ثم بين مذهب النصارى في ذلك.

ج: من هذه الفرق المانوية - نسبة إلى ماني بن فاتك - أنهم يقولون بالأصلين وهما النور والظلمة وأن النور خير من الظلمة وهو الإله المحمود والظلمة ممقوتة وهي الإله المذموم عندهم واختلفوا هل الظلمة قديمة أم محدثة؟ ومن هذه الفرق الثنوية من النور - النور يعبر به عن الله - والظلمة وهي الشيطان ووجه التوفيق بين هذا الإشراك في الربوبية وبين قولنا إن الإقرار بالربوبية فطري، هو أن الإقرار بالربوبية قد فطرت عليه النفوس، وجبلت على الإقرار به ما لم تتدخل مؤثرات خارجية كالبيئة والتنشئة وتغير تلك الفطرة، كما قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة: فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[١]. ومن الفرق التي أشركت في الربوبية النصارى ومذهب النصارى التثليث وهو أنهم متفقون على أن صانع العالم واحد ويقولون باسم الأب والابن والروح القدس إله واحد. وهم متناقضون في تفسير حقيقة التثليث لا يكاد أحد منهم يعبر عنه بمعنى مفهوم وفي الجملة لم يقل أحد من الطوائف بإثبات خالقين متساويين.

---

(١) البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٦٥٨).

س ٣٥- استخدم المتكلمون دليلاً عقلياً لإثبات الربوبية هو دليل التمانع، وضّح ما هو دليل التمانع وهل نحن بحاجة إلى هذا الدليل في إثبات توحيد الربوبية؟

ج : صفة دليل التمانع الذي استدل به المتكلمون على امتناع تعدد الرب عقلا، أننا لو فرضنا وجود خالقين مدبرين مثلا وأراد أحدهما تحريكا لجسم والآخر يريد تسكينه أو أراد أحدهما إماتته والآخر يريد إحياءه فإما أن يحصل مرادهما أو مراد أحدهما أو لا يحصل مراد أي منهما فالأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين الضدين والثاني ممتنع لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون وهذا ممتنع ويستلزم عجز كل واحد منهما - والعاجز لا يكون إلها فلا يبقى إلا أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر وحينئذ صار هو الإله القادر والآخر صار إلها عاجزاً لا يستحق مقام الربوبية لعجزه، وهذا الدليل في إثبات وحدانية الرب فإثباته ذلك ثابت بالنقل والعقل، كما قال تعالى ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1] والعقل يشهد بما نراه من إحكام وإتقان واستقرار في الكون أن الخالق لكل هذا واحد لا أكثر.

س ٣٦- ما هو تفسير أهل السنة لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[2]، وهل استدلال المتكلمين على التمانع بهذه الآية صحيح؟ وإذا لم يكن صحيحا فما الرد عليهم؟

ج : تفسير هذه الآية عند أهل السنة هو أنه تعالى يخبر عن نفسه المقدسة بأنه لا شريك له في ألوهيته، وأنه لو كان هناك آلهة معبودة غيره لاختلت أمور السموات والأرض ولفسد تدبيرهما، وهذا ما أشار إليه

---

(١) سورة المؤمنون: الآية (٩١).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٢٢).

الطبري والقرطبي وابن كثير وغيرهم. وذكر القرطبي قولاً فيه نظر أن المقصود لو كان فيهما آلهة خالقة غير الله لفسدتا، وهذا القول فيه نظر كما سيأتي. وأما استدلال المتكلمين بهذه الآية على دليل التمانع فإنه ليس صحيحا، والرد عليهم من وجوه:

الأول: أنه سبحانه أخبر أنه لو كان فيهما آلهة غيره ولم يقل أرباب.

الثاني: أن هذا الفساد بعد وجود السموات والأرض ولو كان فيهما وهما موجودتان آلهة سواه لفسدتا.

الثالث: أنه قال لفسدتا وهذا فساد بعد الوجود ولم يقل لم يوجدا، أي لاختل أمرهما بعد أن خلقتا، ولم يقل لم تخلقا أصلا فدل على أن الفساد المذكور إنما هو بعد وجودهما وخلقهما.

الرابع: أن الآية دلت على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة بل لا يكون إلا إله واحد.

الخامس: أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله سبحانه وتعالى.

السادس: فساد السموات والأرض يحدث إذا كانت الآلهة فيهما متعددة أو كان الإله الواحد غير الله.

السابع: أنه لا صلاح للسموات والأرض إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره.

س ٣٧- عرف الفطرة. ثم بيِّن هل العباد مفطورون على معرفة ربهم أم لا؟ ثم اذكر أدلة الكتاب والسنة على ما تقول.

ج: الفطرة قوة في النفس يميل العبد إلى حب الخير ومعرفة الله رباً منفرداً بالخلق والملك، والعباد مفطورون على معرفة ربهم والدليل من الكتاب قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ

ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

ودليل السنة قوله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[2] فدلت الآية والحديث على أن الإقرار بالربوبية أمر مودع في النفوس مفطورة عليه ما لم تتدخل عوامل ومؤثرات أخرى لتغييره والتأثير على الإنسان تماماً كما هو مجبول مفطور بطبيعته على محبة ما يصلحه وينفعه، والخوف والحذر مما يضره ويفسد أمره والتطلع إليه ما لم تتدخل عوامل خارجية لتغيير هذه الفطرة.

س ٣٨- تكلمت طوائف في توحيد الربوبية وغلت فيه، فما هي هذه الطوائف؟ وكيف غلت في هذا النوع من التوحيد؟

ج : الطوائف التي تكلمت في توحيد الربوبية وغلت فيه هم أهل الكلام وأهل التصوف وقد غلوا في هذا النوع لأنهم جعلوه هو غاية المراد، وهو المقصود من بعثة الرسل وإنزال الكتب، أما المتكلمون فإن هذا الغلو قد أفضى بهم إلى الإرجاء لكونهم اعتبروا توحيد الربوبية هو الغاية، أقر بالربوبية فالمقر به عندهم كامل الإيمان حتى وإن ظهر منه ما ظهر، وكذلك أهملوا توحيد الألوهية تماما ولم يشيروا إليه مع أنه الغاية من بعثة الرسل، وأما أهل التصوف فانتهوا إلى القول بوجوب الفناء في ذات الخالق، وأفضى بهم ذلك إلى القول بالحلول والاتحاد وغير ذلك من الأفكار الباطلة.

س ٣٩- اشرح معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾... إلى قوله تعالى ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ

---

(١) سورة الروم: الآية (٣٠).

(٢) سبق تخريجه قريباً.

﴿ٱللَّهِ﴾. وذلك في سورة النمل[1] ثم بيّن ما المقصود بالاستفهام في الآية عند السلف. وبيّن كيف ترد على من خالفهم.

ج: يذكر الله في هذه الآيات بعضا من مشاهد ربوبيته لهذا الكون فيبين أنه تعالى هو الذي خلق السموات والأرض، بعد أن لم تكونا، وأنزل الماء من السماء فأنبت به الحدائق والزروع ذات المنظر البهيج الحسن التي ما كان غيره تعالى ليقدر على إنباتها. ويعدد مشاهد الخلق الأخرى ثم يختم كل آية بقوله (أإله مع الله) أي هل هناك معبود مستحق للعبادة غير الله تعالى؟ والاستفهام عند السلف استفهام إنكاري يتضمن النفي وعند من خالفهم من المتكلمين بمعنى: هل مع الله إله؟ أي أنه استفهام محض ويرد عليهم: بأن المعنى لا يناسب سياق الكلام لأن القوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى كما قال تعالى: **﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾**[2]. ولكنهم ما كانوا يقولون معه إله جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا - بل هم مقرون بأن الله وحده فعل هذا.

فهذه الآيات أثبتت لهم توحيد الربوبية الذي يقرون به وردتهم إلى تلك المظاهر الكونية في الخلق التي يرونها ويقرون بها ثم أنكرت عليهم اتخاذهم آلهة من دونه بعد أن أقروا له بالربوبية فالآيات تجعل من توحيد الربوبية مستلزما لتوحيد الألوهية، وأنه كما أن الله تعالى منفرد بالخلق والرزق والتدبير، فإنه تعالى هو المستحق أن يعبد وحده لا أن يعبد غيره.

س ٤٠- هل يمكن اعتبار القرآن مشتملاً على الطريقة البرهانية في إثبات التوحيد؟ اشرح ذلك ومثّل له.

ج: نعم يمكن اعتبار طريقة القرآن طريقة برهانية في إثبات التوحيد - أي

---

(١) الآيات: (٦٠ - ٦٤).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٩).

طريقة تستعمل البرهان والأدلة وهي المقاييس العقلية التي هي الأمثلة التي يضربها الله في كتابه لإثبات التوحيد فهي أكبر برهان على ما بُيِّنَ للناس من أمور التوحيد وبطلان الشرك.

ومثاله قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1] وفي الآية أكبر دليل وبرهان على إثبات توحيد الربوبية والألوهية وبطلان الشرك.

س ٤١- من البراهين التي جاءت في القرآن مبطلة للشرك قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ..﴾[2] الآية اشرح هذا البرهان بإيجاز.

ج: يخبر تعالى أنه لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولو فرض أنه كان مع الله إله خالق لنتج عن هذا تنازعهما فإما أن يذهب كل منهما بما خلق وإما أن يعلو أحدهما على الآخر ويقهره، ولما لم يحصل هذا النزاع ورأينا أمر الكون مستقراً محكماً فقد تقرر أنه ليس هناك إله آخر يعبد بحق فهو الرب المنفرد الذي يوصل إلى عباده النفع ويدفع عنهم الضرر فلو كان معه غيره يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى الشركة بل إن قدر على قهر ذلك الشريك فعل، وإن لم يقدر عليه ذهب بخلقه ذلك كما انفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض كل بممالكه وإذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من ثلاثة أمور:

الأول: أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

الثاني: أن يعلو بعضهم على بعض.

الثالث: أن يكونوا تحت قهر ملك آخر يتصرف فيهم كيف يشاء ولا

---

(١) سورة المؤمنون: الآية (٩١).

(٢) سورة المؤمنون الآية: (٩١).

يتصرفون فيه. فالآية موافقة لما استقر في النفوس من توحيد الربوبية مقتضية مستلزمة لتوحيد الألوهية.

س ٤٢- يقول العلماء توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية - اشرح هذا الكلام بما يبيّن معنى الاستلزام والتضمن ومثّل لذلك.

ج : معنى الاستلزام أن يكون الشيء مقتضيا لشيء آخر بحيث يكون هذا الآخر نتيجة حتمية للأول، ومعنى الحتمية أن يكون الشيء دليلاً على غيره منبئاً به متضمناً له، فمثلا يتضمن توحيد الألوهية لتوحيد الربوبية إذا عبد إنسان ربه كان فعله إقراراً بتوحيد الربوبية حيث إنه لم يصرف عبادته لإله غيره ففي ضمن أفعاله ما يدل على أنه مقر بتوحيد الربوبية وأما استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية فهو أن المرء إذا كان مقراً بانفراد الله بالخلق والرزق والإحياء والإماتة وغير ذلك فهذا يلزمه ألا يعبد غيره لأن غيره لا يستحق العبادة لكونه لا يملك من الأمر شيئا فهذا معنى استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية.

س ٤٣- اشرح قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[1] مع بيان أقوال العلماء في تفسيرها، ثم بيِّن ما الذي تختاره من هذه الأقوال.

ج : هناك قولان في تفسير الآية: القول الأول: أي لو كان معه آلهة كما تزعمون إذا لابتغوا سبيلاً إلى مغالبته وقهره رغبة في الانفراد بالملك من دونه كما يفعل ملوك الدنيا مع بعضهم البعض. والقول الثاني: أي: لو كان معه آلهة لعرفوا فضله ومنزلته فاتخذوا إليه سبيلا بالتقرب إليه وابتغاء الزلفى لديه. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ

---

(١) سورة الاسراء: الآية (٤٢).

﴿تَذۡكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[1] وهذا هو الصحيح وهو المنقول عن أكثر السلف وذلك أنه قال: «لو كان معه آلهة كما يقولون» وهم أي المشركون لا يقولون إن العالم له صانعان بل جعلوا معه آلهة اتخذوهم شفعاء وقالوا ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[2].

س ٤٤- هناك نوعان للتوحيد جاء بهما الرسل. بيِّن هذين النوعين ثم دلِّل لكل واحد من القرآن وبيِّن أياً من النوعين متضمن لتوحيد الربوبية؟

ج: التوحيد الذي جاء به الرسل نوعان - الأول: توحيد في المعرفة والإثبات. والثاني: توحيد في الطلب والقصد. فدليل الأول قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾[3] وكما في أول سورة الحديد، وآخر الحشر، والَمّ السجدة، لاشتمال كل هذه المواضع على الكلام عن الرب سبحانه وتعالى وذكر مظاهر ربوبيته والإشارة إلى أسمائه وصفاته وسمى توحيد المعرفة والإثبات لأنه يتضمن إثبات ذات الرب وأسمائه وصفاته وأفعاله معرفة واعتقادا ثابتا. والثاني قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[4] وسمي توحيد القصد والطلب لأنه يتعلق بعمل المرء

---

(١) سورة المزمل: الآية (١٩) وسورة الإنسان: الآية (٢٩).

(٢) سورة الزمر: الآية (٣).

(٣) سورة الإخلاص.

(٤) سورة آل عمران: الآية (٦٤).

ونيته ومراده من ذلك وما يقصده بعمله. وتوحيد المعرفة والإثبات هو الذي يتضمن توحيد الربوبية.

س ٤٥- لقد سبق ذكر تقسيم آخر للتوحيد عند أهل السنة فهل بين هذين التقسيمين تنافٍ؟ أوضح ذلك مع بيان سبب تقسيم التوحيد بشكل آخر.

ج : ليس بين هذين التقسيمين تنافٍ لأن المؤلف أتى بالفاتحة وبيَّن كيف تضمنت التوحيد ولأن هذا التقسيم المتقدم فيه مزيد تفصيل والدليل لكل نوع من أنواع التوحيد الثلاثة ولكن في التقسيم الثاني فإن التوحيد العلمي المعرفي الإثباتي يشتمل على أمر الربوبية والأسماء والصفات وإثباتها ومعرفتها لأن كل ذلك من باب الخبريات وأما توحيد الألوهية فهو توحيد عملي يتعلق بفعل العبد ومراده ونيته من وراء عمله، فهو نوع عملي بخلاف الأول، وهكذا يظهر أن لا تنافي بينهما.

س ٤٦- يقول المؤلف إن غالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد بل كل سورة في القرآن. اشرح وجه تضمن القرآن كله للتوحيد، مع ذكر وجه تضمن الفاتحة لأنواع التوحيد الثلاثة مشيرا لكل نوع.

ج : وجه التضمن أن القرآن إما خبر عن الله وصفاته وهو التوحيد العلمي الخبري وإما دعوة إلى عبادته وإما أمر ونهي وإلزام بطاعة، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج على حكم التوحيد ووجه تضمن الفاتحة لأنواع التوحيد هو كالآتي:

(١) قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقوله ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يدل على توحيد الربوبية.

(٢) قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يدل على توحيد الأسماء والصفات.

(٣) قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ يدل على توحيد الألوهية.

س ٤٧- شهد الله تعالى لنفسه بالتوحيد كما في قوله عز وجل ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[١] اشرح الآية بإيجاز وبيّن وجه الرد منها على طوائف الغلاة، مع ذكر معنى الشهادة عند العلماء وما تدل عليه المساواة.

ج: معنى الآية أنه سبحانه وتعالى حكم وأعلم عباده وأخبرهم وبين لهم أنه لا إله مستحقاً للعبادة في هذا الكون غيره عز وجل، وكذلك علم هذا وأخبر به الملائكة الأخيار الأطهار وكذلك أهل العلم الربانيين بما علموه من وحي الله تعالى وشرعه وحقه على خلقه وعظمته في هذا الكون، وفي الآية رد على طوائف الغلاة الذين رفعوا بعضا من الخلق إلى منزلة الربوبية والألوهية فعبدوهم من دون الله وهم لا يستحقون ذلك، لأنهم ليس لهم من الربوبية شيء وليسوا متصفين بصفات الكمال كاتصاف الرب سبحانه وتعالى بها، وليسوا مستحقين للعبادة مثله.

وأما معنى (شهد) عند العلماء فإن أقوالهم تدور حول أربعة معان هي: الحكم والإعلام والبيان والإخبار وهذه الأقوال كلها حق لا تنافيَ بينها، فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وهو هنا كلامه بانفراده بالألوهية، وتتضمن كذلك خبره عن هذه الألوهية، وتتضمن إعلامه وإخباره بما يشهد به، كما تتضمن بيانه لما شهد به من أمر استحقاقه تعالى للألوهية.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٨).

س ٤٨- اذكر المراتب الأربع للشهادة من خلال اللغة ومن خلال النصوص الشرعية. ودلِّل لكل مرتبة بما تعرف.

ج : المراتب الأربع للشهادة هي على النحو التالي:

الأولى: العلم والمعرفة والاعتقاد لصحة المشهود به وثبوته والدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(١) وقال ﷺ (على مثلها فاشهد وأشار إلى الشمس)(٢)، وفي إسناد الحديث ضعف، وهذا هو التوافق بين المعنى الشرعي للشهادة والمرتبة الأولى حيث جعلت الآية والحديث الشهادة هنا بمعنى العلم والمعرفة والاعتقاد لصحة المشهود به.

الثانية: أن يُعْلِم غيره بما يشهد به ويخبره به ويبينه له، والدليل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾(٣) فجعل تكلمهم بذلك الإفك وهو جعل الملائكة إناثاً جعل ذلك منهم شهادة وأن لم يتلفظوا بها بلفظ الشهادة ولم يؤدوها عند غيرهم.

الثالثة: أن يُعْلِم غيره بما شهد به ويخبره به ويبينه له وهذا الإعلام نوعان:

أ- إعلامه بالقول بأن يتكلم الشاهد بما يشهد به فيخبر به غيره. إعلام بالفعل كما قال ابن كيسان «شهد الله بتدبيره العجيب وأموره المحكمة عند خلقه أن لا إله إلا هو. والشاهد قوله (شهد الله بتدبيره) فدلت هذه المخلوقات على انفراده تعالى بالألوهية.

ب- وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٨٦).

(٢) إسناده ضعيف. رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٩٧٤) ولفظه عن ابن عباس قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشهادة قال: (هل ترى الشمس قال: نعم على مثلها فاشهد أو دع).

(٣) سورة الزخرف: الآية (١٩).

الرابعة: أن يلزم الشاهد من تم إخباره بالشهادة بمضمونها ويأمره به والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1] فالشاهد قوله (وقضى) أي حكم وأمر ووصى وكل هذا من معاني الشهادة.

س ٤٩- هل تقتضي الشهادة في أصل معناها الإلزام بمدلولها؟ أوضح ذلك.

ج: الشهادة من جهة الإلزام نوعان: شهادة لله مقتضية لهذا الشيء ومستلزمة للشهودية كشهادته تعالى لنفسه بالألوهية كما في الآية السابقة وشهادة غير الله لا تقتضي الإلزام بمدلولها لكن الشهادة في هذا الموضع - في قوله تعالى: ﴿**والملائكة وأولو العلم**﴾ تدل عليه وتتضمنه.

س ٥٠- ذكرت في القرآن طرق بيّن الله بها استحقاقه للوحدانية في الربوبية والألوهية، بيّن ما هي هذه الطرق؟

ج: هذه الطرق هي السمع والبصر والعقل: أما السمع فبسمع آياته المتلوة الدالة على وحدانيته وكماله وغير ذلك المبينة لذلك غاية البيان، لا كما يزعم المبتدعة بأنها محتملة توقع في الحيرة وأكثرهم مبتدعون في باب الأسماء والصفات، وأما البصر فبمشاهدة آياته الكونية الخلقية العيانية، فإن النظر فيها دال على صحة ما دلت عليه الآيات السمعية من الوحدانية وغيرها. وأما العقل فإنه يجمع فيجزم بصحة ما جاءت به الرسل، وهكذا تتفق شهادة كل من السمع والبصر والعقل والفطرة التي جبل عليها الناس من معرفة الخالق والإقرار به كما في الحديث (كل مولود يولد على الفطرة)[2] وقد سبق الكلام عنها وأنها فطرة الإسلام.

---

(١) سورة الإسراء: (٢٣).

(٢) البخاري/ كتاب الجنائز/ باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٦) ومسلم (٥٦٥٨).

س ٥١- يزعم المبتدعة أن دلالة القرآن على ما قصد به محتملة فبم ترد عليهم مدلِّلا على ما تقول من القرآن؟

ج : هذه الدعوى إنما قال بها من حكموا العقل في النص واعتبروا العقل أصلاً والنقل تابعاً له. والرد عليهم: أن دعواهم غير صحيحة لأنها تنافي صفة البيان الذي وصف الله به كتابه كما قال تعالى: ﴿حمٓ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾[1] وقوله: ﴿الٓمٓ. . . تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[2] وقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[3]. . الآية فلا يُحتاج في تكملته إلى شيء خارج عن الكتاب والسنة. وقولهم هذا فيه انتقاص لشأن كلام الله تعالى ولكونه مبينا لكل شيء.

س ٥٢- لقد أعطى الله أنبياءه بينات ومعجزات وبراهين تدل على صدق دعواهم أوضح ما هي بينة هود عليه السلام.

ج : بينة هود عليه السلام على صدق نبوته وبطلان ما عليه قومه من الشرك هي: أنه صمد لأمة بأكملها وهو رجل واحد وتبرأ من معبوداتهم ودعا - لعبادة الله وحده دون سواه - وأشهد الله على براءته من دينهم وما هم عليه إشهاد واثق به معتمدٍ عليه وآية هود هي: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾[4] فانظر إليه عليه السلام كيف هو واثق بربه وبما هو عليه مطمئن بتوحيده ليس مثل قومه

---

(١) سورتي الزخرف والدخان: الآيتان (١ و٢).

(٢) سورة لقمان: الآيتان (١ و٢).

(٣) سورة المائدة: الآية (٣).

(٤) سورة هود الآيات (٥٤ - ٥٦).

الذين يخافون غير الله كخوفهم من الله تعالى رغم أنها آلهة باطلة لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً.

س ٥٣- من دلائل صدق نبوة محمد ﷺ قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾[١]. بيِّن وجه الاستدلال من هذه الآية على صدق دعوة النبوة عند الرسول عليه السلام.

ج: وجه الدلالة أن الله سبحانه شهد لرسوله بصدق دعوى النبوة لأنه تعالى علم من رسوله هذه الدعوى فأقره عليها وشهد بها شهودا فعليا بنصره وتأييده وتمكينه ولا يمكن أن الله سبحانه وتعالى يقر ويشهد على من يكذب عليه وينصره على ذلك ويؤيده ويجيب دعوته ويهلك عدوه ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾[٢].

س ٥٤- هناك طريقتان صحيحتان على الاستدلال للوحدانية فما هما؟

ج: الطريقة الأولى في الاستدلال على الوحدانية، طريقة جمهور أهل العلم وهي الاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته بالآيات الكونية وبأفعاله تعالى ومصنوعاته، فكل ذلك شاهد ناطق ربوبيته ووحدانيته.

والطريقة الثانية طريقة خواص أهل العلم وهي الاستدلال بالله على أفعاله وما يليق به، والاستدلال بأسمائه وصفاته على وحدانيته وأفعاله، فمثلا يستدل باسم الشهيد على أنه تعالى يرى كل شيء ويراقب كل شيء ولا يعزب عنه شيء، وباسم المنتقم على أنه تعالى لا بد أن يعاقب كل من أساء وتطاول على مقامه عز وجل وتجاوز حدوده، وكما ترى فإن أفعال الله تعالى استدللنا عليها من أسمائه عز وجل.

---

(١) سورة فصلت الآية (٥٣).

(٢) سورة الحاقة الآيات (٤٤ - ٤٧).

س ٥٥- كيف تستدل بأسماء الله وصفاته على تفرده بالوحدانية ووجوب ترك الإشراك به؟ اذكر مثالا لذلك من القرآن؟

ج : من أسمائه تعالى الأحد وهذا يدل على تفرده تعالى في كل شيء في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله ومن أسمائه الاسم الأعظم (الله) الذي هو علم على ذاته المقدسة فإنه بمعنى المألوه أي المعبود المستحق للعبادة دون سواه فهذا استدلال على وحدانيته والمثال القرآني الذي يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]. فرتب التنبيه على وجوب التوحيد وبطلان الشرك رتبه على ذكر أسمائه الحسنى المقتضية لاتصافه بصفات الكمال.

س ٥٦- يمتاز القرآن عن غيره من الكتب السماوية - اشرح ذلك ودلِّل لما تقول.

ج : يمتاز القرآن عن غيره من الكتب بأن القرآن قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره فإنه الدليل والمدلول عليه والشاهد والمشهود كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾[2]. فالقرآن دليل على وحدانية الله تعالى ووحدانية الله دليل على أن القرآن من عنده، والقرآن دليل على أن صدق نبوة النبي ﷺ وهذه النبوة دليل على أن القرآن من عند الله، والقرآن يشهد للنبي ﷺ بالرسالة والنبي ﷺ يشهد للقرآن أنه كلام الله. والقرآن يمتاز عن غيره من الكتب كذلك بأنه لم يدخله تحريف لأن الله تعالى تكفل بحفظه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[3] والقرآن منهاج حياة بخلاف غيره فإن غيره إما يشتمل

---

(١) سورة الحشر: الآية (٢٣).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٥١).

(٣) سورة الحجر: الآية (٩).

على تشريعات وأحكام أو على تهذيب ومواعظ أما القرآن فاشتمل على كل شيء وفيه الإخبار بالمغيبات مما كان وما يكون، كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1]. وهو أمين على ما قبله من الكتب ومهيمن عليها كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[2].

س ٥٧- اذكر أقسام التوحيد عند الصوفية وما رأيك فيها؟

ج: أقسام التوحيد عند أرباب التصوف ثلاثة: **الأول: توحيد العامة**: توحيد الألوهية «وقالوا إنه توحيد العامة» مع أنه الغاية من بعثة الرسل وإنزال الكتب كما سبق غير مرة. **الثاني: توحيد الخاصة**: وهو الذي يثبت بالحقائق والمكاشفات لأن أهل الحقيقة عندهم هم من روَّض نفسه وهذبها حتى تكشفت له الحجب وانكشفت له الأسرار فاطلع على ما لم يطلع عليه غيره من أمور الغيب ونحوها. وهو توحيد قائم بالقدم. **الثالث: توحيد خاصة الخاصة**: وهو الفناء عما عدا الله مما يؤدي بهم في نهاية الأمر إلى القول بالحلول والاتحاد. وللرد عليهم نقول: لاشك في بطلان هذا التقسيم فإنه من المعلوم أن توحيد الرسل الذي أمروا أن يدعوا إليه ويعتقدوه هو توحيد الألوهية ولو لم يكن توحيد خاصة الخاصة لما اختاره لهم وأيضا فإن هذا التقسيم من الصوفية لم يرد عن الله ولا عن رسوله نص بذكره أو بيانه، ولم يرد عن أحد من السلف الصالحين، بل هو تقسيم مبتدع والسبب فيه هو الغلو في التوحيد إلى درجة الفناء كما يزعمون، وكذلك فإنهم لا يصلون إلى توحيد الخاصة أو ما فوقه إلا بسلوك طرق مبتدعة في

---

(١) سورة الانعام: الآية (٣٨).

(٢) سورة المائدة: الآية (٤٨).

العبادة والأذكار والأوراد ونحوها، فغلوهم كغلو النصارى الذين قال الله فيهم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾[1] حيث شرعوا لأنفسهم ما لم يشرع لهم الله سبحانه.

س ٥٨- من أكمل الناس توحيدا عند أهل السنة؟ أوضح ذلك بدليل.

ج: أكمل الناس توحيداً عند أهل السنة هم الأنبياء - صلوات الله عليهم. والمرسلون منهم أكمل في ذلك وأولو العزم من الرسل أكمل توحيداً من غيرهم. وأكملهم توحيداً الخليلان محمد وإبراهيم عليهما السلام فإنهما قاما بالدعوة إلى التوحيد والعمل به كما لم يقم به غيرهما معرفة وحالا ودعوة للخلق وجهدا فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل ودعت إليه وجاهدوا الأمم عليه ولهذا أمر الله نبيه أن يقتدي بهم فيه كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾[2].

س ٥٩- هل يحتاج المسلم إلى قواعد أهل الكلام واصطلاحاتهم في الاستدلال؟ بيِّن ذلك موضحا ما يترتب على الاستدلال بها من الشر.

ج: إن المسلم لا يحتاج في الاستدلال إلى أوضاع أهل الكلام ولا جدلهم واصطلاحاتهم وطرقهم البتة لأنه يقع بسببها في شكوك وشبه يحصل له بها الحيرة والضلال والريبة، ولهذا نجد عند أرباب الكلام من الشكوك وقلة اليقين ما لا يوجد عند عوام المؤمنين، وكذلك فإن هذه الاصطلاحات والقواعد في الاستدلال لم ترد عن النبي ﷺ ولا عن خير القرون من بعده.

---

(١) سورة الحديد: الآية (٢٧).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٩٠).

س ٦٠- ما رأيك في أبيات الشيخ الهروي التي أوردها شارح الطحاوية؟[١]

ج : رأيي في أبيات الشيخ أنها محتملة لوجهين: حق وباطل، والشيخ لم يقصد بها إلا الحق، ولكن لما كان اللفظ محتملاً لمعنى الحلول والاتحاد حاول أهل الاتحاد أن ينسبوا الشيخ إليهم ولو كان الشيخ قد استعمل الألفاظ الشرعية غير المحتملة لكان أحسن وأولى.

س ٦١- تقسم الصوفية التوحيد إلى توحيد العامة وتوحيد الخاصة وتوحيد خاصة الخاصة فمن الذي ابتدع هذا التقسيم؟ ثم بيِّن ما يترتب عليه من الفساد مع ذكر بعض الأدلة؟

ج : الذي ابتدع هذا التقسيم هم الصوفية المبتدعة الذين يسقطون الواسطة بينهم وبين الله في البلاغ ويزعمون أنهم يأخذون دينهم عن الحي الذي لا يموت وأن أهل الأثر يأخذون ميتا عن ميت، ويترتب عليه أن يوصل إلى الفناء الذي تسمو إليه الصوفية ومن الأدلة على بطلانه ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾[٢] وقوله ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم أنا عبدالله ورسوله)[٣]. فهذا ذم لأهل الكتاب لغلوهم في أنبياء الله ورسله.

س ٦٢- قال تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[٤]

---

(١) الأبيات هي:

ما وحد الواحد من واحد	إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته	عاريةٌ أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده	ونعت من ينعته لاحد

(٢) سورة النساء: الآية (١٧١).

(٣) أخرجه البخاري / كتاب الأنبياء/ باب قول الله (واذكر في الكتاب مريم) ح (٣٤٤٥). والدرامي في الرقاق، واحمد في المسند (١/ ٢٣ - ٢٤ - ٤٧ - ٥٥).

(٤) سورة الشورى: الآية (١١).

وقد قال الطحاوي في عقيدته التي نقلها عن أبي حنيفة وصاحبيه: (ولا شيء مثله) استنباطاً من هذه الآية الكريمة. وضِّح ما هي المماثلة المنفية؟ وهل معناها نفي الصفات؟ ومن الذين يرد عليهم بهذه الآية؟

جـ : المماثلة المنفية هي مماثلة شيء من المخلوقات لله تعالى سواء في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله وليس معناها نفي الصفات عن الله تعالى لأن هذه الصفات واردة في الكتاب والسنة لا سبيل لنفيها أو ردّها بل معناها نفي المشابهة في الصفات. فقوله (ليس كمثله شيء) رد على الممثلة المشبهة للخلق بالله تعالى والمشبهة لله تعالى بخلقه بل هي تثبت تفرده تعالى في ذلك وقوله فيه رد على النفاة المعطلة الذين عطلوا صفات الله تعالى عن معانيها ونفوا حقيقة ما دلت عليه من المعاني الكريمة. (وهو السميع البصير).

س ٦٣- بين مذاهب نفاة الصفات ثم اذكر مايلزم مذهبهم من التناقض.

جـ : نفاة الصفات لهم عدة مذاهب:

الأول: مذهب الفلاسفة ومن تبعهم وهو إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات والأسماء.

الثاني: إثبات الأسماء الحسنى ونفي جميع الصفات وهو مذهب الجهمية النفاة.

الثالث: مذهب الأشعرية والماتريدية وغيرهم وهو نفي الصفات ماعدا الصفات السبع(*) التي يسمونها العقلية على خلاف بينهم. وأما لازم مذهبهم من التناقض فإن من نفي بعض الصفات وأثبت البعض يقال له

(*) الماتريدية والأشعرية لا يثبتون لله صفة الكلام الحقيقي بل يثبتون الكلام النفسي فلا يقال أنهم يثبتون لله سبع صفات على الحقيقة.

يلزمك فيما أثبته من التشبيه نظير ما ظننته لازماً لك فيما نفيته فإما أن تثبت جميع الصفات مع نفي المشابهة أو تنفيها كلها، وأما من أَثبِتْ الأسماء ونفي جميع الصفات فيقال له أثبت الصفات مع التنزيه كما فعلت في الأسماء أو انفِ الأسماء كما نفيت الصفات، وأما من أثبت ذاتاً مجردة من جميع الأسماء والصفات فهذا يقال له ما فرضته ليس له وجود إلا في الذهن فقط ولا يتصور خارج الأذهان ثم إنه يلزم منه رد كل هذه النصوص المتكاثرة من الكتاب والسنة في إثبات الأسماء والصفات.

س ٦٤- اتفق المعتزلة مع أهل السنة في إثبات بعض الأسماء وضح ذلك مع التمثيل بآيات من القرآن الكريم مبيناً وجه الاستدلال بها على الرد عليهم؟

ج : اتفق المعتزلة مع أهل السنة في أن الله تعالى موجود حي عليم قدير: وهذه الأسماء ورد في القرآن تسمية مخلوقات بها كما قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾[١] وقال ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾[٢] وغير ذلك وهؤلاء يقال لهم أثبتم تلك الأسماء لله مع نفي المشابهة للخلق فيها، فلِمَ لمْ تثبتوا له باقي الأسماء والصفات مع نفي المشابهة وإلا فيلزمكم فيما أثبتموه نظير ما ظننتم أنه لازم لكم من التشبيه فيما نفيتموه.

س ٦٥- هل يمكن الاستدلال بمجرد العقل على بعض صفات الباري سبحانه وتعالى؟

ج : نعم يمكن الاستدلال على بعض صفات الباري بمجرد العقل، فمثلاً يدل العقل على أن الله تعالى موجود وإلا فكيف وجد هذا الخلق، ثم العقل يدل على أن الله خالق هذا الكون وإلا فكيف خلق هذا

---

(١) سورة الانعام: الآية (٩٥). وسورة يونس: الآية (٣١). وسورة الروم: الآية (١٩).

(٢) سورة الذاريات: الآية (٢٨).

الخلق، ثم العقل يدل على أنه قادر فلو كان عاجزاً ما أوجد هذا الخلق ولا استطاع أن يصرفه . وهكذا غير أن معرفة الصفات على وجه التفصيل أو معرفة باقي الصفات مرتبطة بالسمع لا بالعقل.

س ٦٦- وصف الله نفسه بصفات ووصف بعض عباده بنفس الصفات فهل يقتضي ذلك تشبيها أوضح هذا القول؟

ج : ورد في القرآن أوصاف لله ووردت أوصاف للخلق كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[1]، وقال في حق الإنسان ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[2] ولايقتضي ذلك تشبيهاً. فالاتفاق في الاسم لايقتضي المماثلة لأن الله يعلم لا كعلمنا ويرى لا كرؤيتنا، ومن توهموا التشبيه ظنوا أن هذه الأسماء الكلية العامة لها مسمى مطلق كلي ثابت في كل مسمى بها وليس الأمر كذلك فإن ما يوجد خارج الأذهان لايكون إلا معينا مختصاً، فإذا أطلق الاسم على الله كان مسماه مختصاً به وإذا أطلق على الإنسان كان مسماه مختصاً به.

س ٦٧- تكلم بإيجاز عن مذهب الأشاعرة ثم بين كيف تلزمهم إثبات مانفوه؟

ج : مذهب الأشاعرة إثبات الأسماء لله تعالى مع بعض الصفات الست. التي يسمونها عقلية وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، وأما صفة الكلام فلا يثبتونها البتة بل عطلوها تعطيلاً واضحاً فاضحاً، ونفوا صفة الكلام ونسبوا لله الكلام النفسي مع أن الكلام النفسي ليس من صفات الله تعالى، فما كان من صفات الله فقد عطلوه وما لم يكن من صفات الله فقد تقولوه على الله سبحان الله عما يصفون، ويلزمهم فيما أثبتوه نظير مافروا منه إذ لا

---

(١) سورة النساء: الآيتان (٥٨ - ١٣٤).

(٢) سورة الإنسان: الآية (٢).

فرق بين ما نفوه وبين ما أثبتوه من لزوم المحذور وعدم المحذور فيقال لهم الله حي والعبد حي ولا مشابهة بينهما وأثبتم لله الكلام وللعبد الكلام مع عدم المشابهة فلماذا لاتثبتون باقي الصفات وتنفون المشابهة كما فعلتم في هذه الصفات الست.

س ٦٨- يثبت بعض المعتزلة الأسماء دون الصفات بم ترد عليهم؟

ج : الرد عليهم: أنهم يسمون الله تعالى بأسماء يسمى بها العبد كقولهم هو حي موجود عليم قدير ويلزمكم فيها التشبيه كما ظننتموه لازما لكم في الصفات فإما أن تثبتوا الأسماء والصفات مع نفي المشابهة وإما أن تنفوا كلاً منها إذ إن القول في الصفات كالقول في الأسماء.

س ٦٩- ذهب بعض النفاة إلى حد نفي أسماء الله تعالى وأنها في الحقيقة ما هي إلا مجاز وهي في الحقيقة أسماء لبعض مخترعاته من هم هؤلاء وكيف ترد عليهم؟

ج : من ذهب إلى ذلك هم الفلاسفة وغلاة الباطنية وغلاة الجهمية، ويرد عليهم بأن الله تعالى لابد أن تعتقدوا بأنه موجود حي قائم بنفسه، وعلى الرغم من أن الجسم موجود قائم بنفسه، لكن ليست هناك مماثلة بينهما.

س ٧٠- كيف تناقش من جحد وجود الرب سبحانه وتعالى؟

ج : من أنكر وجود الرب تعالى يقال له: معلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه وإما غير واجب بنفسه وإما قديم أزلي وإما حادث كائن بعد أن لم يكن وإما مخلوق مفتقر إلى خالق، وإما غير مخلوق ولا مفتقر إلى خالق، وإما فقير إلى ما سواه وإما غني عما سواه وغير الواجب بنفسه لايكون إلا بالواجب بنفسه، والمخلوق لايكون إلا بالخالق، والمحدث لايكون إلا بالقديم والفقير لايكون إلا بغني عنه، فقد لزم على تقدير النقيضين وجود موجود واجب بنفسه قديم أزلي خالق غنى عما سواه.

س ٧١- هناك صفات وردت في القرآن وصف بها الرب كما وصف بها العبد، وضح ما بينها من الاتفاق والاختلاف؟

ج : وردت في القرآن صفات وصف بها الرب والعبد كالعلم والحياة والسمع والبصر والقوة والحلم وغير ذلك، وهذه الصفات عند الله تختلف عنها عند العبد في كون المسمى مختصاً بالرب كما أن المسمى في الأخرى مختص بالعبد، وكيفية الصفة عند الله تختلف عنها عند العبد كاختلاف الموصوف وهو الله عن الموصوف وهو العبد لكنها تتفقان في الاسم وفي المعنى العام الكلي.

س ٧٢- ما الشبهة التي استند إليها النفاة في نفيهم للصفات الإلهية، وضح كيف تجيب عليهم؟

ج : شبهة النفاة التي استندوا إليها في نفي الصفات الإلهية هي أن إثبات الصفات مع كون هذه الصفات يوصف بها العبد يستلزم المشابهة فالتنزيه يقتضي نفي الصفات ويرد عليها بأن الإثبات للصفات لايلزم منه التشبيه فكما أثبتنا ذاتاً ليست كالذوات فإننا نثبت صفات ليست كالصفات، فصفة الرب على مايناسبه وصفة العبد على مايناسبه.

س ٧٣- تقول المعطلة إن الاشتراك في الوجود ونحوه لفظي فقط، فكيف ترد عليهم؟

ج : الرد عليه بان العقلاء اتفقوا على أن الوجود من باب التواطؤ، لا من باب الاشتراك بدليل انقسام الموجود إلى قديم ومحدث وأما المشترك فإنه لا ينقسم مثل سهيل يطلق على الكوكب المعروف ويطلق اسماً لرجل والاشتراك في الاسم لا في المماثلة إذ ليس الرجل كالكوكب. فكلامهم هذا غير صحيح.

س ٧٤- ما رأيك فيما يوجد في خارج الأذهان هل يكون موجوداً أم يجوز الاشتراك فيه؟

ج : ما كان موجوداً في خارج الأذهان فلا اشتراك فيه بل يكون موجوداً

مختصاً فيمن هو فيه كقولنا إن وجود الله تعالى يدل على مسمى مختص بالله تعالى ووجود العبد يدل على مسمى مختص به فلا اشتراك فيما هو خارج الأذهان وإنما الاشتراك في المعاني التي لاوجود لها إلا في الذهن فقط.

س ٧٥- لقد أحسنت النفاة والممثلة من وجه ولكنهم أساءوا من وجه آخر بين ما أحسن فيه كل منها وما أساء.

ج : أما النفاة فإنهم أحسنوا حين أرادوا التنزيه لكنهم أساءوا حين غلوا بتنزيههم إلى نفي ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ.

وأما الممثلة فإنهم أحسنوا حين أثبتوا الصفات ولكنهم أساءوا حين غلو بإثباتهم إلى درجة تمثيل صفات الله بصفات خلقه فشبهوه بخلقه (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً).

س ٧٦- وضح كيف يتعلم الإنسان معاني الكلام؟

ج : يتم ذلك عن طريق النطق بلفظ المفرد كما يقال: لبن، خبز، سماء، أرض، ويشار إليه عند النطق باللفظ إلى المعنى إن كان مشاهداً، فيشار له إلى المسمى، حينئذ يربط في ذهنه بين اللفظ وبين المعنى الدال عليه اللفظ، وبغير ذلك لايمكن للمرء معرفة معنى اللفظ أو مراد الناطق به.

س ٧٧- مثل للحقيقة الشرعية مع توضيح صلتها بالمعنى اللغوي؟

ج : الحقيقة الشرعية مثلاً الصلاة فإن الصلاة في المعنى الشرعي هي أفعال وأقوال مخصوصة تفتتح بالتكبير تختتم بالتسليم - وتشترك مع الدعاء في المسمى إذ أن الدعاء يسمى صلاة.

س ٧٨- أوضح درجات الخطاب؟ تكلم عن المراتب الثلاث التي لابد منها في كل خطاب؟

ج : هذه المراتب هي كما يلي:

١ - إدراك الإنسان المعاني المحسوسة المشاهدة بالعين.

٢- عَقْلُهُ لمعانيها الكلية العامة.

٣- تعريف الألفاظ الدالة على تلك المعاني الحسية والعقلية.

س ٧٩- تكاثرت الأدلة من نصوص الكتاب والسنة على إثبات قدرة الرب سبحانه وتعالى، (ولهذا قال الطحاوي في عقيدته: ولاشيء يعجزه) مثل لذلك بثلاثة أمثلة مع بيان وجه الدلالة منها.

ج: - **المثال الأول**: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[1]، ووجه الدلالة في الآية هو شمول قدرة الله لكل شيء وأنها لايخرج عنها شيء على الإطلاق.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] ووجه الدلالة فيها إثبات عموم القدرة الإلهية لكل شيء حيث ورد الإثبات عاما.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[3] ووجه الدلالة فيها أنها دالة على علم الله السابق وكتابته الأشياء قبل تكوينها فكانت كما أراد.

س ٨٠- ورد في القرآن والسنة بعض صفات لله تعالى بصيغة النفي، أكثرها منفية إجمالاً، وقليل منها على وجه التفصيل، ما رأى أهل السنة في هذا النفي؟

ج: يرى أهل السنة أن كل نفي في الكتاب والسنة لصفة من صفات النقص عن الرب تعالى إنما هو لثبوت كمال ضدها كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[4] فإنه دال على كمال عدله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة الكهف: الآية (٤٥).

(٢) سورة البقرة: الآيتان (١٠٩ - ١٤٨)، وآل عمران: الآية (١٦٥)، وسورة النحل: الآية (٧٧٠)، والنور: الآية (٤٥)، والعنكبوت: الآية (٢٠)، وفاطر الآية (١).

(٣) سورة الحديد: الآية (٢٢).

(٤) سورة الكهف: الآية (٤٩).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[1] فإنه دال على كمال قدرته عز وجل بلا تناهٍ، وهكذا كل نفي لصفة عن الرب فيه إثبات لكمال ضدها وخالف في ذلك المتكلمون ففصلوا في النفي جداً فقالوا: ليس بجسم، ليس بجوهر، ليس بعرض، ليس بكذا ليس بكذا... فغالب عقائدهم السلوب ففصلوا في النفي وأجملوا في الإثبات على عكس السلف، وأسلوب المتكلمين هنا فيه إساءة أدب مع الله عز وجل لأن الأدب يقتضي نفي النقص مجملاً وليس التفصيل فيه.

س ٨١- أوضح طريقة أهل السنة والجماعة في الصفات وطريقة النفاة فيها ثم وضح أيهما هو المنهج الحق؟

ج: طريقة أهل السنة في إثبات الصفات أنهم يثبتون لله تعالى كل ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسول الله ﷺ من غير تشبيه ولا تكييف ويبنون ذلك على قواعد هي:

١- أن الإثبات متلقى عن السمع.

٢- أن الإثبات يكون مفصلاً غالباً وقلما يكون مجملاً.

٣- أنهم يثبتون كمال معاني الصفات.

٤- أنهم لايثبتون كيفية معينة للصفة بل يفوضون علم الكيفية لله وإن كانوا يعرفون المعاني.

٥- إثبات الأسماء الحسنى لله تعالى والتي بلغت في الحسن غايته ومن الجمال نهايته.

وهم ينفون عن الله تعالى كل مانفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من خلال القواعد الآتية:

١- أن هذا النفي متلقى عن السمع.

---

(١) سورة ق: الآية (٣٨).

٢- أنه نفي مجمل عموماً وقلما يكون مفصلاً.

٣- أن فيه ثبوتاً لكمال الضد.

وهم يستخدمون قياس الأَوْلَى المستنبط من قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، ومضمونه: «أن كل كمال اتصف به المخلوق وجاز أن يتصف به الخالق فالخالق أولى به وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى أن يتنزه عنه».

وأما طريقة النفاة فإنهم ينفون صفات الله تعالى وجعلوه ذاتاً بلا صفات حتى شبهوه بالممتنعات بل بالمعدومات والمنهج الحق فيهما هو طريق أهل السنة والجماعة لاستقامته واتباعه لنصوص الكتاب والسنة فهو أسلم وأعلم وأحكم وهو طريق الصالحين.

س ٨٢- فسر قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[2].

ج: يقول الله عز وجل بعد أن تكلم داعياً المشركين إلى النظر في حال من قبلهم من الأمم التي كانت أشد منهم قوة يقول وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض أي لن تقدروا أيها المشركون على إعجاز الله تعالى فتهربوا منه ولن تنفذوا من أقطار السموات والأرض بل إنه لايعجزه شيء في خلقه (إنه كان عليماً قديراً) أي عليماً بكل شيء علماً كاملاً فلا يغيب عنه شيء وقديراً على كل شيء فلا يعجزه شيء وهو قادر على إهلاككم إن أراد.

س ٨٣- من أين ينشأ العجز الذي نفته الآية السابقة ثم دلل لنفيه عن الله تعالى مع بيان وجه الاستدلال؟

---

(١) سورة الروم: الآية (٢٧).

(٢) سورة فاطر: الآية (٤٤).

ج: العجز المنفي عن الله تعالى في الآية إنما ينشأ من الضعف عن القيام بما يريده الفاعل أو من عدم علمه به والله تعالى له كمال القدرة والعلم لا يعزب عنه مثقال ذرة وهو على كل شيء قدير كما قال في آخر الآية (إنه كان عليماً قديراً) وقد علم ببدائِه العقول والفطر كمال قدرته وعلمه فانتفى العجز لما بينه وبين القدرة من التناقض ولأن العاجز لايصلح أن يكون إلهاً تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

س ٨٤- قال الطحاوي في عقيدته: (ولا إله غيره) فكيف تقدر خبر لا إله إلا الله؟

ج: تقدير الخبر لا إله معبود بحق إلا الله أي تقديره لا إله إلا الله وهذا مستنبط من حقيقة معنى الكلمة، وكذلك لكون الآلهة الكثيرة قد عبدت من دون الله، لكنها عبدت بالباطل ولاتستحق تلك العبادة.

س ٨٥- هل هناك فرق بين نفي الوجود والماهية عند أهل السنة؟

ج: لا يرى أهل السنة فرقاً بين نفي الماهية ونفي الوجود، فنفي الماهية إنما هو نفي للوجود.

س ٨٦- يخالف المعتزلة أهل السنة فإنهم يثبتون ماهية حقيقية بلا وجود، فما موقفك من هذا الكلام؟

ج: موقفي هو الحكم على قولهم بالفساد والبطلان لأنه لا يتصور ماهية إلا مع الوجود ولا فرق بين الماهية وبين الوجود كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[1].

س ٨٧- قال الطحاوي في عقيدته (قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء) فهل

---

(١) سورة مريم: الآية (٩).

القديم من أسماء الله تعالى؟ بين مايوافق القديم والدائم من أسماء الله تعالى مع ذكر الدليل وبيان موقف العقل من ذلك.

ج : القديم ليس من أسماء الله تعالى، والذي يوافق القديم والدائم من أسمائه تعالى هو الأول والآخر وقد وردا مجتمعين في الكتاب والسنة، أما في الكتاب فقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [1] وأما من السنة فقد قال ﷺ (أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء)[2]، وأما موقف العقل من ثبوت هذين الوصفين لله تعالى فإن العلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطر فإن الموجودات لابد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعا للتسلسل المحال عقلاً.

س ٨٨- هل المسلم بحاجة إلى الاستدلال بالمصطلحات الكلامية في مسائل العقيدة مع الدليل لما تقول؟

ج : المسلم ليس في حاجة إلى تلك المصطلحات الكلامية فإن ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية منها مايعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأوضح عبارة وأوجزها وفي طرق القرآن من تمام البيانات والتحقيق مالا يوجد عندهم مثله وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[3] فأحسن طرق الاستدلال هي الاستدلال بما في الكتاب والسنة.

س ٨٩- اشرح معنى كلمة القديم في اللغة ثم بين ماهو موقف السلف في اطلاقه على الله مع التوجيه؟

ج : معنى القديم لغة هو المتقدم على غيره ولاتستعمل فيما لم يسبقه

---

(١) سورة الحديد: الآية (٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣) كتاب الذكر. وأبو داود (٥٠٥١) والترمذي (٣٤٠٠) وابن ماجة (٣٨٣١).

(٣) سورة الفرقان: الآية (٣٣).

عدم، وهو ليس من أسماء الله تعالى الحسنى وموقف السلف أنهم أنكروا ذلك لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة فكان الأولى التفسير بكلمة الأول التي وردت في الكتاب والسنة والتي تشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، وتفيد تقدمه على الحوادث كلها بخلاف كلمة القديم التي لاتفيد ذلك.

س ٩٠- هل يجوز اختراع أسماء وصفات الله تعالى أوضح هذا المقام؟

ج : لايجوز ذلك فإن الأسماء والصفات توقيفية فلا يجوز لأحد أن يبتدع اسما لله من عند نفسه وإنما يقتصر فيها على ماورد في النصوص فقط، وهذا من قواعد أهل السنة كما سبق بيانه.

س ٩١- قال الطحاوي (لايفنى ولايبيد) وهذا يستنبط مما قاله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[1] **فعلى أي شيء يستدل بالآية وما رأيك فيمن قال إن وجه الله مجاز للزيادة؟**

ج : يستدل بها على بقاء الله وسبحانه لايطرأ عليه فناء ولا عدم كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ﴾[2] ويستدل بالآية كذلك على إثبات الوجه له تعالى على الكيفية اللائقة بجلاله عز وجل.

وأما من قال إن وجه الله مجاز للزيادة وأن الأصل (يبقى ربك) وكلمة (وجه) زائدة فإن هذا غلط وتحريف لكلام الله عن موضعه وجحد لصفات الله الثابتة في الكتاب والسنة فإن من هذه الصفات صفة الوجه كما قال ﷺ (وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم)[3].

---

(١) سورة الرحمن: الآية (٢٧).

(٢) سورة الرحمن: الآية (٢٧).

(٣) صحيح. أخرجه النسائي (١٣٠٤) كتاب السهو.

س ٩٢- قال الطحاوي (ولايكون إلا مايريد) وضح ما هو مذهب القدرية في القدر مع بيان مايقتضيه من المعنى الفاسد ولماذا سموا القدرية؟

جـ : مذهب القدرية أنهم زعموا أن الله تعالى أراد الإيمان من الناس كلهم وأن الكافر أراد الكفر فكان ما أراده الكافر، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، فإن مقتضى كلامهم من الفساد إن إرادة الإنسان غلبت إرادة الله تعالى، وهذا لايليق بمقام الربوبية والألوهية وسموا قدرية لإنكارهم قدر الله القديم الشامل لكل شيء من أفعال العباد وغير ذلك.

س ٩٣- من هم الجبرية؟ وما وجه الغلط في مذهبهم؟

جـ : الجبرية هم المحتجون بالقدر على المعاصي فيقولون إن العبد مجبور على أفعاله مقهور عليها، لاتأثير له في وجودها البتة ولا هي واقعة باختياره وإرادته ومذهبهم خطأ لأنه يعني نسبة الظلم إليه تعالى حيث أجبر الإنسان على شيء ثم عذبه عليه، بينما للإنسان إرادة ومشيئة لكنها تحت مشيئة الله كمال قال تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1].

س ٩٤- أوضح مذهب أهل السنة في القدر؟

جـ : يثبت أهل السنة والجماعة قدر الله تعالى الشامل لكل شيء، وهم يؤمنون بأربع مراتب للقدر مستفادة من النصوص الشرعية، وهذه المراتب الأربع هي:

١- مرتبة العلم: فيثبتون العلم القديم الشامل لكل شيء.

٢- مرتبة الكتابة: فيثبتون الكتابة السابقة الشاملة لكل شيء قبل الخلق.

---

(١) سورة الإنسان: الآية (٣٠) وسورة التكوير: الآية (٢٩).

٣- مرتبة الإرادة: فيثبتون الإرادة الإلهية بنوعيها (الكونية - الشرعية).

٤- مرتبة الخلق: فيثبتون أن كل شيء كائن بمشيئة الله تعالى لايخرج عن ذلك شيء. وأما فيما يتعلق بالمعاصي التي يفعلها العباد فإنهم يقولون إن الله وإن كان يريد المعاصي قدراً فهولا يحبها ولايرضاها ولايأمر بها ويبغضها شرعاً ويسخطها ويكرهها وينهي عنها والإرادة عندهم نوعان:

١- إرادة كونية قدرية وتعريفها: المشيئة الشاملة لجميع الحوادث.

٢- إرادة شرعية ودينية - وتعريفها المتضمنة للمحبة والرضا.

س ٩٥- هل هناك فرق بين المشيئة والإرادة الكونية القدرية؟

ج: لا فرق بين المشيئة والإرادة الكونية القدرية فهما مترادفان، فالمشيئة هي بمعنى الإرادة الكونية النافذة وهي التي لايخرج عنها شيء من المخلوقات، وهي التي لابد أن تنفذ وأن تكون، وأما الإرادة الشرعية فإنها قد تقع وقد لاتقع، وإن كانت محبوبة عند الله تعالى مرادة له مرضية عنده، فبينها وبين المشيئة فرق، فإن هذه نافذة وتلك ليست كذلك، ثم إن هذه قد لايكون كل المرادات فيها محبوبة لله بخلاف تلك.

س ٩٦- مثل لكل قسم من قسمي الإرادة وبين وجه الاستدلال؟

ج: مثال للإرادة الكونية القدرية - قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾(١) ووجه الاستدلال فيها أنه سبحانه وتعالى صاحب الإرادة النافذة فإنه إذا أراد شيئا خلقه وأوجده، فكان كما أراد سبحانه وتعالى. وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ

(١) سورة البقرة: الآية (٢٥٣).

﴿لِلْإِسْلَٰمِ﴾[1] ووجه الدلالة من الآية كالتي سبقتها ومثال الإرادة الشرعية قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3] ووجه الاستدلال أن هذه الأمور المذكورة في الآيات هي أمور محبوبة إلى الله تعالى مرضية عنده.

س ٩٧- وضح هل كل ما يقع بالإرادة الشرعية أو بالإرادة الكونية يكون محبوباً لله تعالى أم لا؟

جـ: إذا أراد الله شيئا بالإرادة الكونية فإن ذلك يقع ولا بد ولا يلزم أن يكون ذلك محبوبا لله وإذا أراد الله شيئا بالإرادة الشرعية فإن ذلك قد يقع وقد لا يقع ولا يلزم أن يكون ذلك محبوبا له سبحانه وتعالى.

س ٩٨- هل يلزم من الأمر بالشيء لغة وشرعاً وعقلاً أن تُعِينَ المأمور على فعله؟ وما موقفك من قول القدرية يلزم من الأمر أن تعين المأمور على الفعل؟

جـ: لا يلزم من الأمر بالشيء لغة وشرعا وعقلاً أن تعين المأمور بل قد تكون المصلحة في إعانته وقد لا تكون في إعانته والموقف عن قول القدرية يلزم من الأمر بالشيء أن تعين المأمور على الفور أنه يقال لهم إن هذا اللزوم إنما يكون على قسمين:

١- أن تكون مصلحة الأمر تعود للآمر كأمر الملك جنوده بما يؤيد

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٢٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٨٥).

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٣٣).

ملكه ونحو ذلك فهذا يعينهم على الفعل لما يعود عليه من المصلحة من ذلك الفعل.

٢- أن تكون مصلحة الأمر تعود على المأمور كالأمر بالمعروف مثلا فإن الآمر يرى أنه مثاب إن أعان المأمور على فعل المعروف المأمور به لكونه نفع أخاه بذلك.

س ٩٩- هل يلزم أن تكون أفعال الله تعالى وأوامره لحكمة أم لا؟

ج : أفعال الله وأوامره إنما تكون لحكمة، وهذا من مقتضى أنه سبحانه وتعالى قد تسمى باسم الحكيم، لكن قد تتبين هذه الحكمة لبعض الناس، وقد لا تتبين لبعضهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

س ١٠٠- قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام» وضِّح ما هو الفرق بين الوهم والفهم؟

ج : معنى الوهم توهمت الشيء ظننته والفهم من فهمت الشيء علمته.

الوهم: الظن - الفهم: العلم - الفرق أن الوهم يرجى كونه أي يظن أنه على صفة كذا والفهم ما يحصله العقل ويحيط به.

س ١٠١- ما الذي ينبغي أن يوصف به الرب سبحانه وتعالى؟ وعلى أي طريقة؟ اذكر خلاصة قول أبي حنيفة في نفي التشبيه وقوله في الصفات.

ج : يوصف الرب بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف بل على حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١) وليس المراد نفي الصفات كما يقول أهل البدع بل المراد إثباتها مع نفي المشابهة

---

(١) سورة الشورى: الآية (١١).

والمثلية. وهذه هي طريقة السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم.
وخلاصة قول أبي حنيفة في الصفات أن الله تعالى يوصف بصفاته التي تليق بجلاله وقد قال رحمه الله تعالى: (وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا) وخلاصة كلامه في نفي التشبيه أن الله لا يشبهه شيء من خلقه.

س ١٠٢- قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: (ولا يشبه الأنام) بين المقصود بهذه العبارة مع ذكر بعض من أقوال السلف في حق المشبهة.

ج: معنى قول الشيخ رحمه الله (ولا يشبهه الأنام) أن الله عز وجل لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[1] وأما أقوال السلف في ذم المشبهة فهي كثيرة نذكر منها قول نعيم بن حماد (من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر) وقال إسحاق بن راهويه (من وصف الله بشيء فشبه صفاته بصفات أحد من خلقه فهو كافر بالله العظيم).

س ١٠٣- ما علامة الجهمية عند أهل السنة والجماعة؟

ج: علامتهم دعواهم الباطلة ضد أهل السنة والجماعة وهي ما أولعوا به من الكذب في قولهم إن أهل السنة مشبهة مجسمة وقال كثير من السلف علامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة وكذلك يسمون أهل السنة حشوية ومجسمة وغير ذلك.

---

(١) سورة الشورى: الآية (١١).

س ١٠٤- اذكر بعضا مما يرمي به المبتدعة أهل السنة من الألفاظ وما السبب الباعث لهم على ذلك؟

ج : رمى المبتدعة أهل السنة والجماعة بعدة أوصاف مذمومة منها أنهم يقولون لأهل السنة إنهم مشبهة ومجسمة وحشوية والسبب في ذلك أن ما من أحد من نفاة شيء من الأسماء أو الصفات إلا ويسمى المثبت لها مشبها فمن أنكر أسماء الله بالكلية من غالبية الزنادقة والفلاسفة وقال إن الله لا يقال له عالم ولا قادر يزعم أن من سماه بذلك فهو مشبه لأن الاشتراك في الاسم يوجب عنده الاشتباه في المعنى. ومن أثبت الاسم وقال إنه مجاز كغلاة الجهمية يزعم أن من قال إن الله عالم حقيقة قادر حقيقة قال إنه مشبه ومن أنكر الصفات كعموم المعتزلة ونحوهم قال لمن أثبت الصفات انه مشبه مجسم حشوي.

س ١٠٥- استعمل المتكلمون وأهل البدع بعضا من أنواع الأقيسة في حق الله تعالى، فما حكم استعمال هذه الأنواع؟ ثم اذكر ما هو القياس الذي يستعمل في حق الله تعالى

ج : استعمل أهل البدع أقيسة باطلة في حق الله تعالى منها القياس التمثيلي الذي يستوي فيه الأصل والفرع ومنها القياس الشمولي الذي يستوي أفراده وكل هذه الاستعمالات لا تجوز فإن الله ليس كمثله شيء فلا يجوز أن يمثل بغيره ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية يستوي أفرادها ولكن يستعمل في حق الله تعالى قياس الأولى سواء كان تمثيلا أو شمولا كما قال الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1] ومفاده أن كل كمال ثبت للمخلوق وجاز أن يتصف به

---

(١) سورة النحل: الآية (٦٠).

الخالق فالخالق أولى به وكل نقص تنزه عنه العبد أو نفي عن العبد فالرب أولى بأن يتنزه عنه وينفى عنه.

س ١٠٦- قال الطحاوي رحمه الله (حي لا يموت قيوم لا ينام) اذكر النصوص التي ورد فيها الحي القيوم. ويقول الشارح إن هذين الاسمين تضمنا إثبات الكمال لله تعالى. أوضح ذلك ثم بيّن هل يفيد اسم القيوم إقامته لغيره وقيامه عليه أم لا؟

ج: من النصوص التي ورد فيها هذان الاسمان قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[1] وهذا دليل على كمال حياته وقيوميته. وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾[3] وهما من أعظم أسماء الله الحسنى حتى قيل إنه الاسم الأعظم كما ورد ذلك عن النبي ﷺ[4] وذلك لأنهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تضمن وأصدقه ويدل القيوم على معنى الأزلية والأبدية ما لا يدل عليه لفظ القديم والدائم ويدل أيضا على كونه موجوداً بنفسه وهو معنى كونه واجب الوجود - والقيوم أبلغ من القيّام لأن الواو أقوى من الألف ويفيد قيامه بنفسه باتفاق المفسرين وأهل اللغة وهو معلوم

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٥٥).

(٢) سورة طه: الآية (١١١).

(٣) سورة آل عمران: الآيتان (١-٢).

(٤) حديث حسن رواه ابن ماجه (٣٨٥٦) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ١٦٢) ح (١٧٦) والحاكم (١/ ٥٠٦) ولفظه عن أبي امامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم الله الأعظم لفي ثلاث سور من القرآن من سورة البقرة وآل عمران وطه) وقال القاسم بن عبدالرحمن فالتمستها فوجدت في سورة البقرة آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)، وفي سورة آل عمران (آلم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم)و وفي سورة طه (وعنت الوجوه للحي القيوم)و وراجع الصحيحة للشيخ الألباني (٧٤٦).

بالضرورة وهل تفيد إقامته لغيره وقيامه عليه فيه قولان: **أصحهما أنه** يفيد ذلك.

س ١٠٧- قال الطحاوي رحمه الله تعالى: (خالق بلا حاجة رازق بلا مؤنة) فما معنى هذه العبارة؟

ج: يقصد رحمه الله أن الله عز وجل خلق الخلق لا لحاجته إليهم فإنه الغني عنهم سبحانه، وإنما خلقهم لعبادته، وهو الرازق لهم دون تعب ومشقة كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾[1] ومعنى بلا مؤنة أي بلا ثقل ولا كلفة.

س ١٠٨- قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: (مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة) اشرح هذه العبارة بإيجاز مع ذكر موقف أهل السنة من الموت وهل هو صفة وجودية أم لا؟ مع التعليل لما تقول؟

ج: يقصد الشيخ رحمه الله تعالى أن الله عز وجل هو الذي بيده الموت يميت من يشاء من خلقه بلا مخافة من عاقبته ذلك كما قال عز وجل: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾[2] وهو سبحانه الذي يبعث خلقه يوم القيامة دون مشقة ولا عناء، وأما موقف أهل السنة والجماعة من الموت فهم يقولون إن الموت صفة وجودية خلافا للفلاسفة ومن وافقهم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3] والعدم لا يوصف بكونه مخلوقا وفي الحديث أنه يؤتى

---

(١) سورة الذاريات: الآية (٥٦).
(٢) سورة الشمس: الآية (١٥).
(٣) سورة الملك: الآية (٢).

بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار[1] وهو وإن كان عرضا فالله تعالى يقلبه عينا يوم القيامة فيصبح شيئا حسيا.

س ١٠٩- وردت نصوص نبوية صحيحة تفيد أن أعمال العباد تجسم يوم القيامة وتوزن، فهل تحمل هذه النصوص على حقيقتها أم إنها على سبيل المجاز؟

ج : لقد وردت في العمل الصالح نصوص صحيحة (وأنه يأتي صاحبه في صورة الشاب الحسن في قبره فيكلمه وأن العمل القبيح يأتي صاحبه في قبره على أقبح صورة ويكلمه)[2] وأن هذه الأعمال كلها توضع في الميزان والأعيان هي التي تقبل الوزن حقيقة دون الأعراض لأن الأعراض ليس لها جرم وهذه الأعمال وهي وإن كانت أعراضا فإن الله تعالى بقدرته يصيرها أعيانا حقيقية لها جرم وذلك في يوم القيامة فتوضع في الميزان ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[3].

س ١١٠- قال الطحاوي رحمه الله تعالى: «ما زال بصفاته قديما قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليا، كذلك لا يزال عليها أبديا» وضِّح إلى كم قسم تنقسم صفات الله مع بيان من أي قسم الصفات التالية: «النزول - الاستواء - السمع - البصر»؟

---

(١) البخاري / كتاب التفسير/ باب (وأنذرهم يوم الحسرة. ح (٤٧٣٠)و ومسلم (٢٨٤٩) والترمذي (٢٥٥٨). ومعنى كبش أملح: ذكر الضأن الذي من لونه بياض وسواد وبياضه أكثر من سواده.

(٢) حديث صحيح أخرجه بتمامه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٩٥ - ٢٩٦) وهو حديث البراء بن عازب الطويل. وأخرجه غيره مختصراً وراجع أحكام الجنائز للشيخ الألباني ص ١٩٨.

(٣) سورة المؤمنون: الآيتان (١٠٢ - ١٠٣).

ج : تنقسم الصفات الإلهية إلى نوعين، صفات ثبوتية وصفات سلبية.

أما الصفات الثبوتية فهي التي وردت بإثباتها النصوص، وأما الصفات السلبية فهي التي ورد بنفيها نصوص الكتاب والسنة.

الصفات الثبوتية ثلاثة أقسام:

١ - **صفات ذاتية**: وهي اللازمة لذاته أزلا وأبدا: كالعلم والسمع والبصر.

٢ - **صفة فعلية**: وهي التي يفعلها إذا شاء سبحانه مثل النزول والمجيء. وهي نوعان:

أ - فعلية متعدية: كالرحمة.

ب - فعلية غير متعدية كالإتيان والمجيء.

٣ - **ذاتية فعلية**: وهي التي يكون أصلها ونوعها ذاتيا قديما، لكن أفرادها يفعلها الله تعالى إذا شاء وذلك مثل صفة الكلام.

وأما الصفات السلبية فهي نوعان:

أ - سلبية منفصلة: وذلك مثل نفي الولد ونحوه.

ب - سلبية متصلة: وذلك مثل نفي السنة والنوم والموت ونحوه.

س ١١١- لم يستعمل السلف الألفاظ التي استعملها المتكلمون مثل: نفي حلول الحوادث في ذات الرب أو أن الصفة زائدة عن الموصوف أو أن الصفة غير الموصوف ولا هي عينه وذلك لأن فيها إجمالا وهي تحتمل حقا وباطلا. أوضح هذا الكلام.

ج : نفى المتكلمون لحلول الحوادث في ذات الرب تعالى فيه إجمال يجب تفصيله فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدمة شيء من مخلوقاته المحدثة ولا يحدث له وصف متجدد فهذا نفي

صحيح وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية والفعلية فهذا نفي باطل كاسد عاطل فاسد.

وكذلك قولهم الصفة زائدة عن الموصوف لفظها مجمل فإن أريد به أن هناك ذاتا مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها فهذا غير صحيح وإن أريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير مايفهم من معنى الصفة فهذا حق وقولهم الصفة لا عين الموصوف ولا غيره وهذا له معنى صحيح وهو أن الصفة ليست عين الذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجردة بل هي غيرها لأن هذه الذات المجردة ليس لها وجود خارج الذهن وليست غير الموصوف بل الموصوف بصفات واحد غير متعدد فإذا قلت أعوذ بالله فقد عذت بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال.

وأما سبب ترك السلف لهذه الألفاظ فهو أنها محتملة فلا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره ولا أنه ليس غيره لأن إطلاق الإثبات قد يشعر بأن ذلك مباين له وإطلاق النفي قد يشعر بأنه هو وإذا كان لفظ الغير فيه إجمال فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل.

س ١١٢- أوضح معنى الذات في اللغة وهل يوجد في خارج الذهن ذات مجردة عن الصفات؟ وهل تنفصل الصفة عن الموصوف؟ مع التدليل لما تقول؟

ج : ذات كذا بمعنى صاحبة كذا، تأنيث ذو. الذات في أصل معناها في اللغة لا تستعمل إلا مضافة مثل ذات وجود ذات قدرة.

ولا يتصور ذات مجردة عن الصفات كما لا يمكن وجود صفات بدون ذات.. فالذات لا يتصور انفصال الصفات عنها بوجه من الوجوه وإن كان الذهن قد يفرض ذاتا مجردة من الصفات كما يفرض المحال لكن خارج الذهن لا يمكن تصور ذات منفصلة عن الصفات، على الأقل صفة الوجود، لا يمكن فصل هذه الصفة عن الذات.

س ١١٣- ما معنى قول بعض السلف (الاستواء معلوم والكيف مجهول)؟

ج : معنى ذلك أن الاستواء معلوم أي معناه في لغة العرب إما بمعنى الاستقرار أو الارتفاع أو بمعنى علا. وأما كيفية استوائه على عرشه فهو مجهول عند المخلوقين ولا يمكن الاطلاع عليه ولا يعرفه إلا هو سبحانه وتعالى.

س ١١٤- هل يمكن أن يعلم الخلق حقيقة صفات الله؟ أوضح الإجمال في قولهم (الاسم عين المسمى) والتمثيل لما تقول؟

ج : لا يمكن للخلق معرفة حقيقة صفات الله على وجه الإلمام والإحاطة بها وتمام الإدراك لها وأما كلمة الاسم فقد يراد بها المسمى تارة ويراد بها اللفظ الدال عليه أخرى فإذا قلت أراد الله كذا فالمقصود المسمى، وإذا قلت الله اسم عربي فالاسم هنا هو اللفظ لا المسمى ولا يقال غيره. أما في لفظ الغير من إجمال فإن أريد المغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله كان الاسم له حتى خلق لنفسه أسماء أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم فهذا من أعظم الإلحاد في أسماء الله تعالى.

س ١١٥- أوضح مذهب الجهمية وأتباعها في أفعال الرب. وبيِّن شبهتهم وبم ترد عليهم؟

ج : مذهب الجهمية في أفعال الرب أن الرب صار قادرا عليها بعد أن لم يكن، وأن هذه الأفعال صارت ممكنة بعد أن كانت ممتنعة وذلك بناء على قولهم في أن دوام الحوادث ممتنع، وأنه يجب أن يكون للحوادث مبدأ لامتناع حوادث لا أول لها، فلهذا منعوا أن يكون الخالق لم يزل متكلما فاعلا بمشيئته، وكلامهم هذا فاسد لأنه يدل على امتناع حدوث العالم وهو حادث حقيقة.

س ١١٦- اذكر مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال الله مع بيان مذهب الكلابية والأشعرية ومن وافقهما في أفعال الرب وكلامه والرد عليهم؟

ج : مذهب أهل السنة أن الله تعالى لم يزل فاعلا متكلما إذا شاء ولا حدوث بل إن ذلك ممكن غير ممتنع، والله قادر عليه وقتما يشاء.
وأما مذهب الكلابية والأشعرية ومن وافقهم في أفعال الله وكلامه فإنهم يقولون إن الفعل صار ممكنا له بعد أن كان ممتنعا عنه وأما الكلام الإلهي عندهم فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة بل هو شيء واحد لازم لذاته وهو الكلام النفسي كما يزعمون.

س ١١٧- اذكر الأقوال في دوام أنواع الحوادث في الماضي والمستقبل مع توضيح رأي أهل الحديث والتدليل له عقلا وشرعا من الكتاب والسنة؟

ج : في دوام الحوادث في الماضي والمستقبل ثلاثة أقوال معروفة لأهل النظر من المسلمين وغيرهم:

١- قول من يقول لا يمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل وهو قول الجهم بن صفوان وأبي الهذيل العلاف وهو أضعف هذه الأقوال.

٢- قول من يقول بدوامها في المستقبل دون الماضي وهو قول كثير من أهل الكلام ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم.

٣- قول من يقول يمكن دوامها في الماضي والمستقبل وهذا هو قول أئمة الحديث. وهذه المسألة من المسائل الكبار، ولم يقل أحد إنه يمكن دوامها في الماضي دون المستقبل.

س ١١٨- ما معنى التسلسل في اللغة؟ اذكر أقسامه وبيِّن حكم كل قسم مع التمثيل؟

ج : التسلسل في اللغة معناه الاستمرار. وأقسامه ثلاثة: واجب - وممكن - وممتنع.

١- فالتسلسل الممتنع هو التسلسل في المؤثرين وهو محال ممتنع لذاته ويقضي بأن يكون كل واحد من المؤثرين قد استفاد تأثيره مما قبله لا إلى غاية.

٢- التسلسل الواجب وهو ما دل عليه الشرع والعقل من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، كما أنه كلما انقضى نعيم لأهل الجنة أحدث لهم نعيما غيره.

٣- التسلسل الممكن وهو التسلسل في مفعولاته من هذا الطرف كما تسلسل في طرف الأبد فإنه لم يزل حيا مريدا متكلما وذلك من لوازم ذاته. فالفعل ممكن له بموجب هذه الصفات له وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل، ولا يلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه.

س ١١٩- قال تعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[1] استنبط المؤلف من هذه الآية ستة أمور فاذكرها مع بيان وجه أخذها من الآية، ثم بيِّن هل هناك وصف حدث للرب بعد خلق الخلق أم لا؟

ج : الأمور التي استنبطها المؤلف من الآية المذكورة هي:

١- أنه تعالى يفعل بإرادته ومشيئته.

٢- أنه لم يزل كذلك لأنه ساق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه وأن ذلك من كماله سبحانه ولا يجوز أن يكون عادما لهذا الكمال في وقت من الأوقات.

٣- أنه إذا أراد شيئا فعله فإن ما موصولة عامة أن يفعل كل ما يريد

---

(١) سورة هود: الآية (١٠٧). وسورة البروج: الآية (١٦).

أن يفعله، وهذا في إرادته المتعلقة بفعله، وأما إرادته المتعلقة بفعل العبد فهذه لها شأن آخر.

٤- أن فعله وإرادته متلازمان فما أراد أن يفعل فعل وما فعله أراده بخلاف المخلوق فإنه قد يفعل ما لا يريده، ويريد ما لا يفعل.

٥- إثبات إرادات متعددة بحسب الأفعال وأن كل فعل له إرادة تخصه.

٦- أن كل ما صح أن تتعلق به إرادته جاز فعله فإذا أراد أن ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا لم يمتنع عليه فعله.

لم يحدث للرب وصف بعد خلق الخلق فقد قال الإمام الطحاوي (وليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق).

س ١٢٠- قال أهل اليمن للنبي ﷺ جئناك لنتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر فقال لهم رسول الله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء قبله..»[١] الخ اذكر القولين اللذين قيلا في معنى الحديث وأوضح مأخذ كل قول ثم اذكر المرجحات لما تختار؟

ج: للناس في هذا الحديث قولان:

١- القول الأول: أن الله كان موجودا وحده ولم يزل كذلك أبدا، ثم ابتدأ إحداث جميع الحوادث، فجنسها وأعيانها مسبوقة بالعدم، وأن جنس الزمان حادث لا في زمان وأن الله صار فاعلا بعد أن لم يكن يفعل شيئا من الأزل إلى حين ابتداء الفعل ولا كان ذلك ممكنا.

٢- القول الثاني: بأن المراد إخباره عن مبدأ خلق هذا العالم المشهود الذي خلقه الله في ستة أيام ثم استوى على العرش.

---

(١) البخاري/ كتاب التوحيد/ باب (وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم) ح (٧٤١٨).

والفرق بينهما أنه على تقدير صحة القول الأول فإنهم سألوه عن مفعولات الرب عموما المشاهدة وغيرها ما علموه وما جهلوه، وعلى تقدير صحة الثاني فإنهم إنما سألوه عن أمر هذا العالم المشاهد المحسوس فقط لا عن غيره، والصحيح القول الثاني وذلك لوجوه هي:

١- سؤال أهل اليمن عن أول هذا الأمر المشاهد المحسوس.

٢- ذكره وجود العرش على الماء قبل ذلك فيه ما يدل عن بدء هذا العالم المشهود.

٣- كون الحديث ورد على ثلاث روايات مما يمتنع الجزم بواحد منها لأن فيه جزما بأن الرسول عليه السلام أراد المعنى الفلاني.

س ١٢١- ما معنى الخالق في اللغة واذكر معنى الرب وما تدور عليه هذه المادة؟

ج : الخالق في اللغة: هو المخرج للشيء من العدم إلى الوجود لا غير.

والرب: يقتضي معاني كثيرة وهي الملك والحفظ والتدبير والتربية وهو تبليغ الشيء كماله بالتدريج.

س ١٢٢- قال الطحاوي رحمه الله (ذلك بأنه على كل شيء قدير..) أوضح رأي المعتزلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] مع الرد عليهم. ثم بيِّن موقفهم من أفعال العباد مع إيضاح رأي أهل السنة في الآية المذكورة وهل المحال يسمى شيئا وكذلك العدم الممكن؟ أوضح ذلك مع التمثيل لما تختار.

ج : رأي المعتزلة في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قالوا إنه

---

(١) سبق تخريج الآية عند جـ ٧٩.

قادر على كل ما هو مقدور له وأما نفس أفعال العباد فلا يقدر عليها عندهم وتنازعوا هل يقدر على فعل مثلها أو خلق مثلها من غير العباد أم لا؟ والرد عليهم: أنه لو كان المعنى على ما قالوا لكان بمنزلة أن يقال هو عالم كل ما يعلمه وخالق لكل ما يخلقه ونحو ذلك من العبارات التي لا فائدة فيها فسلبوا كمال صفة قدرته على كل شيء.
وأما رأي أهل السنة فعندهم أن الله على كل شيء قدير وكل ممكن فهو مندرج تحت هذا وأما المحال لذاته مثل كون الشيء موجودا ومعدوما في آن واحد فهذا لا حقيقة له، وأما المعدوم فالتحقيق أن المعدوم ليس بشيء في خارج الذهن ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون ويكتبه وقد يذكره ويخبره كقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾[1] فيكون شيئا في العلم والذكر والكتاب لا في خارج الأذهان.

س ١٢٣- أوضح ما هو المثل الأعلى واذكر كلام السلف في ذلك؟

ج: المثل الأعلى هو: أن كل ما تصف به المخلوق وصح أن يتصف به الخالق فالخالق أولى به وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أولى بالتنزيه عنه. واختلفت عبارات المفسرين في المثل الأعلى والتوفيق بين الأقوال أن يقال إن المثل الأعلى يتضمن الصفة العليا وعلم العالمين بها ووجودها العلمي والخبر عنها وذكرها وعبادة الرب تعالى بواسطة العلم والمعرفة القائمة في قلوب العباد فها هنا أربعة أمور هي:

١- ثبوت الصفات العليا لله سبحانه سواء علمها العباد أو لا وهذا معنى قول من فسرها بالصفة.

(١) سورة الحج: الآية (١).

٢- وجود الصفات في العلم والشعور، أي ما في قلوب العابدين من معرفته وذكره ومحبته وخوفه ورجائه.

٣- ذكر صفاته والخبر عنها وتنزّهها من العيوب والنقائص والتمثيل.

٤- محبة الموصوف بها وتوحيده والإخلاص له والتوكل عليه وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كانت محبته وخوفه ورجاؤه أكمل.

س ١٢٤- هل يوجد تعارض بين قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1] وقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[2]؟

ج: لا تعارض بين الآيتين فليس أضل ممن يعارض بينها ويستدل بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ على نفي الصفات ويعمى عن تمام الآية وهو قوله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3]. والحق إثبات كمال الصفة مع التنزيه.

س ١٢٥- ما موقف أحمد بن أبي دؤاد وجهم من إثبات الصفات؟ بين ذلك مع ذكر الأقوال في إعراب الكاف من قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وترجيح ما تختار؟

ج: موقف أحمد بن أبي دؤاد القاضي المعتزلي والجهم بن صفوان هو نفي الصفات فأحمد بن أبي دؤاد قد أشار على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة ﴿**ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم**﴾، فحرّف كلام الله تعالى لينفي وصفه تعالى بأنه السميع البصير - وقال الضال الآخر الجهم وددت أني أحك من المصحف

---

(١) سورة النحل: الآية (٦٠).

(٢)، (٣) سورة الشورى: الآية (١١).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(١) وهذه طريقة أهل البدع فإنهم يحرفون النصوص والكلم عن مواضعها ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾(٢) فلهذا هم يشبهون اليهود، وأما الأقوال في إعراب الكاف في قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فعلى وجوه:

الوجه الأول: أن الكاف زيدت للتأكيد يقول الشاعر:

ليس كمثل الفتى زهير خلق يوازيه في الفضائل

فيكون مثله خبر ليس أي لا يشبهه شيء وهذا وجه قوي حسن كما قال شارح الطحاوية.

الوجه الثاني: أن الزائد كلمة (مثل) وأن المعنى ليس كهو شيء. وهذا القول بعيد لأن مثل اسم، والقول بزيادة الحرف للتأكيد أولى من القول بزيادة الاسم.

الوجه الثالث: أنه ليس ثم زيادة أصلا وأن هذا من باب قولهم مثلك لا يفعل كذا أي لا تفعله، وأتى بمثل للمبالغة في النفي بطريق الكناية وقالوا في معنى المبالغة أي ليس كمثله مثل لو فرض وجود المثل فكيف ولا مثل له. سبحانه أصلاً وقد رجح هذا القول الشوكاني وغيره وقيل غير ذلك والقول الأول أظهر عند شارح الطحاوية.

س ١٢٦- قال الطحاوي: «خلق الخلق بعلمه». ما معنى خلق؟ أورد بعض الأدلة لإثبات علم الله مع ذكر الدليل العقلي على إثباته؟

ج: معنى خلق: أوجد وأنشأ وأبدع. وتأتي خلق بمعنى قدر. والخلق مصدر وهي هنا بمعنى المخلوق أي بمعنى المفعول به ومن الأدلة

---

(١) سورة الأعراف: الية (٥٤)، ويونس: الآية (٣)، والرعد: الآية (٢)، والفرقان: الآية (٥٩)، والسجدة: الآية (٤)، والحديد: الآية (٤).

(٢) سورة الفتح: الآية (١٥).

على إثبات علم الله قوله تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[1] وقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾[2] الآية.

وأما الدليل العقلي على علمه تعالى أنه يستحيل إيجاده لأشياء مع الجهل ولأن إيجاد الأشياء إنما يكون بإرادته، والإرادة تستلزم تصور المراد وهو الخلق، وتصور المراد هو العلم بالمراد، فكان الإيجاد والخلق مستلزما للإرادة. وهذه مستلزمة للعلم فالإيجاد مستلزم للعلم ولأن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره من غير علم فمن أثبت العلم فقد نفى الجهل ومن نفى الجهل لم يثبت العلم، والله أعلم. وكذلك فإنه تعالى قد وهب بعض مخلوقاته العلم، فلو نفى عنه العلم لكان بعض خلقه أكمل منه - حاشا لله وذلك لأن من يعلم أكمل ممن لا يعلم، وهذا بهتان عظيم وإفك مبين.

س ١٢٧- قال الطحاوي (وقدر لهم أقدارا) اذكر بعض الأدلة على وجود جميع المخلوقات بقدر الله تعالى الشامل لكل شيء.

ج: الأدلة هي:

١- قوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[3].

٢- قوله ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[4].

٣- قوله النبي ﷺ «قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»[5].

---

(١) سورة الملك: الآية (١٤).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٥٩).

(٣) سورة القمر: الآية (٤٩).

(٤) سورة الفرقان: الآية (٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) كتاب القدر، والترمذي (٢١٥٦) وأحمد (٢/ ١٦٩).

س ١٢٨- قال الطحاوي رحمه الله (وضرب لهم آجالاً) ما موقف أهل السنة والجماعة من الأجل؟ وهل المقتول مات بأجله أم لا؟ وما رأي المعتزلة في ذلك مع الرد عليهم؟

ج : موقف أهل السنة أنهم يثبتون أن الله تعالى قدر آجال الخلائق وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1] وعند أهل السنة المقتول مات بأجله. وعند المعتزلة أن المقتول مقطوع أجله ولو لم يقتل لعاش إلى أجله فكأن له أجلين أحدهما مقدر والآخر معجل.

والرد عليهم: أن هذا باطل لأنه لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلا يعلم أنه لا يعيش إليه البتة.

أو يحتمل أجله أحد أمرين كفعل الجاهل بالعواقب وأوجب القصاص والضمان على القاتل لارتكابه المنهى ومباشرته السبب المحظور.

س ١٢٩- هل يشرع الدعاء بطول العمر؟ دلل لما تقول مع بيان معنى الحديث (صلة الرحم تزيد في العمر)؟

ج : لا يشرع الدعاء بطول العمر.

والدليل: قصة أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين دعت الله أن يمتعها بزوجها رسول الله ﷺ وبأبيها أبي سفيان وأخيها معاوية فقال النبي ﷺ (وقد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة، الحديث)[2]، وقد ذكر عن الإمام أحمد أنه كان يكره الدعاء له بطول العمر. وأما معنى الحديث (صلة الرحم تزيد في العمر)[3] أي أنها سبب

(١) سورة الأعراف الآية (٣٤)، والنحل: الآية (٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٣).

(٣) البخاري/ كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق (٥٩٨٥)، ومسلم (٢٥٥٧).

في طول العمر وقد قدر الله أن هذا يصل رحمه فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية ولولا ذلك السبب لم يصل إليه قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلى كذا ولا يقال إن له أجلين أحدهما مقدر والآخر معجل كما تقول المعتزلة وقد سبق ذكر فساده.

س ١٣٠- أوضح مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾[1].

ج: اختلف العلماء في بيان مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ وذلك على أقوال:

١- قول الفراء ومن وافقه «أن الضمير عائد على معمر غير المذكور الأول فيكون المعنى ولا ينقص من عمر معمر آخر» كما يقال: عندي درهم ونصفه.

وليس المقصود نقصان عمر معمر بعد زيادته. وإنما يجعل عمره ناقصا من الابتداء، وسمى معمرا باعتبار بلوغه هذا العمر.

٢- قول سعيد بن جبير ومن وافقه يكتب عمر المعمر كم هو ثم يكتب في كتاب آخر نقص من عمره ساعة، يوم، أسبوع حتى ينقضي أجله فهو النقصان.

٣- قول قتادة: المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من مات قبل الستين.

٤- وقيل: إن الله كتب عمر الإنسان إن أطاع عاش إلى كذا وإن عصى عاش إلى كذا - أي دونه وكل ذلك بأجل.

٥- قيل: الزيادة والنقص في الصحف التي بأيدي الملائكة يغير

---

(١) سورة فاطر: الآية (١١).

فيها، وأما اللوح المحفوظ فلا يغير قال تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1].

س ١٣١- اشرح قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2] مع بيان ما تختاره من الآراء في الآية؟

ج: حمل قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ على أن المحو والإثبات من الصحف التي بأيدي الملائكة وأن قوله وعنده أم الكتاب اللوح المحفوظ ويدل على هذا الوجه سياق الآية وهو قوله ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ثم قال: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ أي من ذلك الكتاب، وعنده أم الكتاب أي أصله وهو اللوح المحفوظ. وقيل (يمحو الله ما يشاء) من الشرائع وينسخه بالشرائع الأخرى ويثبت ما يشاء فلا ينسخه والسياق أدل على هذا الوجه من الوجه الأول وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ﴾[3] أي من عند نفسه بل من عند الله ثم قال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ أي أن الشرائع لها أجل وغاية تنتهي إليها ثم تنسخ بالشريعة الأخرى بمشيئة الله.

س ١٣٢- قال الطحاوي: «وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته تنفذ..» اذكر بعض الأدلة لمشيئة الله وهل هي عامة للخير والشر وبم تجيب عن التعارض المتوهم بين إثبات المشيئة وبين قوله تعالى

---

(١) سورة الرعد: الآية (٣٩).

(٢) سورة الرعد: الآية (٣٩).

(٣) سورة الرعد: الآية (٣٨).

حكاية عن المشركين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾[1] وما أشبهها حيث ذمهم الله على نسبة وقوع الشرك بمشيئته؟

ج: قال تعالى في إثبات عموم مشيئته: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2] وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾[3] وقد أجيب عن التعارض المتوهم بين إثبات عموم المشيئة وبين قوله تعالى: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾[4] بأجوبة من أحسنها:

١- أنه تعالى أنكر عليهم ذلك لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته وقالوا لو كره ذلك وسخطه لما شاءه فجعلوا مشيئته دليل رضاه فرد الله عليهم وأنكر عليهم ذلك.

٢- أو أنه تعالى أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به.

٣- أو أنه تعالى أنكر عليهم معارضتهم شرعهُ وأمرهُ الذي أرسل به رسوله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره فجعلوا المشيئة العامة رافعة للأمر فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد وإنما ذكروها معارضين بها لأمره دافعين بها لشرعه كفعل الزنادقة الجهال إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر.

س ١٣٣- بم ترد على من احتج بالقدر على المعاصي واحتج بقصة حجاج آدم عليه السلام لموسى وهل يذم من احتج بالقدر على المعصية؟ ومن أسلم الناس في القدر؟

ج: لا يجوز الاحتجاج بالقدر على المعاصي كما هو مذهب أهل السنة

---

(١) الأنعام: الآية (١٤٨).
(٢) الإنسان: الآية (٣٠).
(٣) الأنعام: الآية (١١٢).
(٤) الحجر: الآية (٣٩).

ولذا ذُمَّ إبليس في قوله: «رب بما أغويتني» لاحتجاجه بالقدر على المعصية وأما قصة موسى عليه السلام مع آدم «وهي احتجاج آدم بالقدر على المصيبة»[1] فنتلقاها بالقبول والسمع والطاعة لصحتها عن رسول الله ولا نتلقاها بالرد والتكذيب كما فعلت القدرية لأن الصحيح أن آدم عليه السلام لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب وإنما وقع اللوم من موسى عليه السلام لآدم على المعصية التي أخرجت أولاده من الجنة فاحتج آدم بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة أي أن هذه المصيبة وهي الخروج من الجنة مقدرة فإن القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعائب فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له فإنه تمام الإيمان بالله - وأما الذنب فليس للعبد أن يذنب محتجا بالقدر وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، هذا مع أن آدم عليه السلام قد اعترف بذنبه وتاب منه.

س ١٣٤- قال الطحاوي: «يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا» وضِّح ما معنى الهدى والضلال عند المعتزلة؟ وعلى أي شيء بنوا تفسيرهم لهدى العبد وضلاله؟ ثم بين إلى كم قسم تنقسم الهداية عند أهل السنة؟ وما المقصود بالهداية في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[2] وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3]؟ وضِّح معنى الضلال؟ وما هي الهداية التي يختص بها الرب وما هي الهداية التي يقدر عليها الخلق؟

ج: الهداية عند المعتزلة بيان طريق الصواب أي هداية الإرشاد والدلالة

---

(١) البخاري / كتاب الأنبياء/ باب وفاة موسى. ح(٣٤٠٩) ومسلم (٢٦٥٢).
(٢) سورة القصص: الآية (٥٦).
(٣) سورة الشورى: الآية (٥٢).

فقط والإضلال تسمية العبد ضالاً. وحكمه تعالى بالضلال عند خلقِ العبدِ الضلالَ في نفسه - وهذا مبني على أصلهم الفاسد أن أفعال العباد مخلوقة لهم وأن العباد هم خالقو الشر زعموا أن مرادهم بذلك التنزيه لله عن أن يخلق الضلال والشر، والهداية عند أهل السنة قسمان:

١- هداية البيان والإرشاد وهي عامة يقدر عليها الخلق.

٢- وهداية التوفيق والإلهام وهي خاصة بالرب تعالى.

والهداية في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هي هداية التوفيق والإلهام إذ لو كان الهدى بيان الطريق لما صح النفي عن النبي ﷺ لأنه بين الطريق لما أحب الله وأبغض ومعنى قوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هداية بيان الطريق المستقيم والدعوة والإرشاد إليه وهي التي يقدر عليها الخلق. وأما معنى الضلال: فهو الانحراف عن الطريق المستقيم.

والهداية: التي يختص بها الرب هداية التوفيق والإلهام والهداية التي يقدر عليها المخلوق هداية البيان والإرشاد.

«النبوة والرسالة»

س ١٣٥- قال الطحاوي: «وأن محمدا عبده المصطفى، ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى» بأي شيء يحصل كمال العبد؟ وما حكم من توهم أن أحدا قد يرتقي من العبودية إلى غيرها - بيِّن بأي شيء استحق النبي ﷺ التقدم والرفعة على الأنبياء مع التدليل لما تقول؟

ج: كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى - وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته - وأما من توهم أن مخلوقا قد يرتقي ويخرج عن العبودية بوجه من الوجوه فهو من أجهل الخلق

وأضلهم. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[1] وذكر الله نبيه باسم العبد في أشرف المقامات قال سبحانه: ﴿الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾[2] وقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[3]. وبذلك استحق التقدم على الناس في الدنيا والآخرة ولذلك يقول المسيح عليه السلام يوم القيامة (اذهبوا إلى محمد عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)[4] فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى.

س ١٣٦- هل النبوة اكتساب أم اختيار واصطفاء؟ وضِّح ذلك مع بيان وسائل إثبات النبوة عند أهل السنة والمعتزلة والمتكلمين.

جـ: النبوة عند أهل السنة اصطفاء واختيار وليست اكتسابا كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[5] وعند الفلاسفة هي اكتساب وليست اصطفاء وعندهم الفيلسوف خير من النبي وعليه يجوز أن يكون هناك رسول بعد محمد ﷺ وهذا مناقض للنصوص الشرعية ثم النبوة تثبت عند المتكلمين بالمعجزات وقد روى ذلك بطرق مضطربة والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح - لكن الدليل غير محصور في المعجزات فإن النبوة يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ولا يلتبس هذا إلا على

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٢٦).

(٢) سورة الاسراء: الآية ١).

(٣) سورة الجن: الآية (١٩).

(٤) البخاري /كتاب الأنبياء/ باب قول الله عز وجل [هود: ٢٥] **(ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) ح** (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤).

(٥) سورة الحج: الآية (٧٥).

أجهل الجاهلين بل قرائن الأحوال تعرب عنهما، أما عند أهل السنة فالنبوة تثبت بالمعجزة وتثبت باستقراء حال المدعى للنبوة وما هو عليه من الاستقامة ونحوها وكذلك يخبر رسول سابق عمن بعده، وغير ذلك.

س ١٣٧- هل تكفي المعجزات في تقرير النبوة علل لما تقول؟

ج : لاشك أن المعجزات دليل صحيح على النبوة لكنها لاتكفي في إثباتها لأن الدليل غير محصور فيها إذ قد تثبت النبوة بإخبار رسول سابق أو بقرائن حالية في مدعي النبوة تؤيد صدقه للنبوة التي يدعيها الصادق أو الكاذب ولايلتبس هذا إلا على أجهل الجاهلين بالقرائن والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة فكيف بدعوى النبوة؟

س ١٣٨- ما الأدلة النقلية والعقلية على صدق الأنبياء؟ وضح ذلك وما حكم من أنكر رسالة الرسول؟

ج : من الأدلة النقلية قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1] فالشاهد من الآية قوله جاء بالصدق فأكد صدق الرسل في دعواهم وشهد لهم بالصدق وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[2] الآية. ومن الأدلة العقلية:

١- أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أعدائهم.

٢- ما أحدثه الله من نصرهم وخذلان عدوهم.

---

(١) سورة الزمر: الآية (٣٣).

(٢) سورة فصلت: الآية (٥٣).

٣- إن من عرف ماجاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالهم يتبين له صدقهم وأن ماجاءوا به هو من عند الله قطعياً.

٤- ما أيدهم الله به من المعجزات الدالة على صدقهم.

٥- أنه يستحيل أن يكذبوا على الله ثم يسكت عليهم وينصرهم على أعدائهم ويؤيدهم بالمعجزات وغيرها.

ومن أنكر رسالة الرسول محمد ﷺ فقد طعن في الله ونسب إليه السفه والظلم، بل ذلك جحد للرب بالكلية وإنكار له تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وذلك لأنه كيف يكذب الرسول عليه - وحاشاه - ثم يؤيده وينصره على أعدائه.

س ١٣٩- ما الفرق بين النبي والرسول - وكيف توفق بين قوله ﷺ (لاتفضلوني على موسى)[١] وقوله ﷺ (أنا سيد ولد آدم ولا فخر....»؟[٢]

ج: الفرق بين النبي والرسول أن الرسول: هو من أرسل بشيء وأمر بتبليغه والنبي: هو من نبىء بشيء ولم يؤمر بتبليغه - وعليه فكل رسول نبي ولاعكس وقيل: النبي من أرسل بشريعة من مثله، والرسول من أرسل بشريعة جديدة وهذا الأظهر. وأما التوفيق بين الحديثين فحديث (لاتفضلوني على موسى) قيل في وقت له سبب فإن يهودياً قال لا والذي اصطفى موسى على البشر. فلطمه مسلم. وقال: أتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا فنهى النبي ﷺ، عن

---

(١) البخاري / كتاب الخصومات/ باب ما يذكر من الأشخاص. ح (٢٤١١) وأطرافه في (٣٤٠٨ - ٣٤١٤ - ٣٤٧٦ - ٤٨١٣ - ٥٠٧٢ - ٦٥١٧ - ٦٥١٨ - ٧٤٢٨ - ٧٤٧٢) ومسلم (٢٣٧٣).

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي (٣١٤٨ - ٣٦١٥) وابن ماجة (٤٣٠٨) والحديث في الصحيحين بدون لفظ ولا فخر. البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (٢٢٧٨).

هذا التفضيل إذ كان على وجه المفاخرة لأن الإسلام نهى عن المفاخرة في الأحساب وقد يكون على سبيل النهر عن الحمية، وإلا فإن الرسول في مقام يقتضي ذلك - وأما الحديث الثاني فليس على إطلاقه بل هو من الإعلام لا الفخر بدليل قوله: «أنا ابن امرأة تأكل..»[1] الحديث، وقيل المراد النهي عن التفضيل الخاص أي لايفضل بعض الرسل على بعض بعينه بينما قوله «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» فإنه تفضيل عام فلا يمنع منه.

س ١٤٠- قال ﷺ (لاينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس)[2] اشرح الحديث ومارأيك في رواية (من قال إني خير من يونس)؟

ج : معنى الحديث أن هذا نهى عام لكل أحد أن يفضل نفسه ويفتخر على يونس عليه السلام وليس فيه نهى للمسلمين أن يفضلوا محمداً ﷺ على يونس لأن الله قد أخبر عن يونس بأنه التقمة الحوت وهو مليم أي فاعل مايلام عليه. مع كون النبي ﷺ أُسْرِيَ به وارتقى حتى جاوز السبع الطباق وناجى ربه.

وأما الرواية الثانية فمعناها أن فيها تقديراً مطلقاً أي من قال هذا فهو كاذب وإن كان لايقوله نبي لأنه لو قدر أنه كان أفضل يصير ناقصاً بهذا الكلام فيصبح كاذباً. كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[3] وذلك لأن فيه نوعاً من التفاخر بالنفس والمباهاة.

س ١٤١- قال ﷺ «إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلاً»[4]

---

(١) صحيح. أخرجه ابن ماجة (٣٣١٢). والحاكم (٣/ ٤٧ - ٤٨). الصحيحة (١٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤١٢ - ٣٤١٣ - ٤٦٠٣)، ومسلم (٢٣٧٦).

(٣) سورة الزمر، الآية (٦٥).

(٤) أخرجه مسلم (٥٣٢) وابن حبان (٦٤٢٥) وغيرهما.

اشرح هذا الحديث؟ وهل المحبة والخلة خاصتان بإبراهيم ومحمد عليهما السلام أم ماذا؟ مع ذكر الدليل؟

ج : يخبر النبي ﷺ بخصيصة اختصه الله بها مع إبراهيم عليه السلام وهي اتخاذ الله عز وجل له خليلاً كما فعل بابراهيم، والخلة هي أعلى درجات المحبة على الإطلاق. وفي الحديث إثبات لصفة المحبة التي دلت عليها نصوص كثيرة، وإثبات أن الله تعالى اتخذ هذين الرسولين الكريمين خليلين. ويرد بهذا الحديث على من زعم أن الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد ﷺ والخلة خاصة بالخليلين محمد وإبراهيم عليهم السلام وأما المحبة فهي عامة قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2] والنصوص في هذا الباب كثيرة.

س ١٤٢ - قال الطحاوي رحمه الله: (وحبيب رب العالمين) قسم ابن القيم رحمه الله المحبة إلى درجات ومراتب نقلها شارح الطحاوية، اذكرها ثم بين مايجوز منها في حق الله تعالى كما نقلها شارح الطحاوية؟

ج : مراتب المحبة عشر مراتب وهي:

١- العلاقة: وهي تعليق القلب بالمحبوب.

٢- الإدارة: وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

٣- الصبابة: وهي انصباب القلب إليه بحيث لايملكه صاحبه.

٤- الغرام: وهي الحب الملازم للقلب ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٩٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٢٢).

(٣) سورة الفرقان: الآية (٦٥).

٥- المودة: وهي صفو المحبة وخالصها ولبها قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[١].

٦- الشغف: وهو وصول المحبة إلى شغاف القلب.

٧- العشق: وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه - ولكن لايوصف به الله سبحانه وتعالى ولا العبد في محبة ربه - وإن كان قد أطلقه بعضهم على محبة العبد لربه واختلف في سبب المنع فقيل عدم التوقيف حيث لم يرد بها نص ولعل امتناع إطلاقه في حق الله أن العشق محبة مع الشهوة.

٨- التيم: وهو بمعنى التعبد.

٩- التعبد.

١٠- الخلة: وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه، وهي أعلى الدرجات وهي التي ورد فيها حديث: (إن الله اتخذني خليلا..)[٢]. ولايصح إطلاق أي من هذه المراتب في حق الله تعالى إلا ثلاث مراتب هي: الإرادة والود والخلة لثبوت النص بها وكذلك إطلاق صفة المحبة عموماً لورود النصوص المتكاثرة بوصف الله تعالى بها.

س ١٤٣- قال الطحاوي: (وخاتم الأنبياء) ما الذي يؤخذ من كون الرسول خاتم الأنبياء؟ وإذا جاء المدعي للنبوة بالمعجزات الخارقة فكيف يقال بتكذيبه؟ وما معنى الغي والهوى في كلام الشيخ حيث قال: «وكل دعوى النبوة بعده فغيٌ وهوى».

ج: يؤخذ من كون الرسول خاتم الأنبياء أنه من ادعى النبوة بعده فهو كاذب.

---

(١) سورة مريم: الآية (٩٦).

(٢) سبق تخريجه قريباً (راجع الإجابة على السؤال ١٤٠).

وإذا ادعى إنسان النبوة وجاء بالبراهين فيقال بتكذيبه لأنه لايتصور أن يوجد. وهو من باب فرض المحال لأن الله أخبرنا بأن محمداً آخر الأنبياء، حيث قال تعالى في حقه: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1] وأما الغي فهو ضد الرشاد وهو بمعنى الزيغ والانحراف - والهوى عبارة عن شهوة النفس - أي تلك الدعوى بالنبوة بعده ﷺ فإنما تكون بسبب هوى النفس لا عن دليل فتكون باطلة.

س ١٤٤- قال الطحاوي: «وهو مبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء ما الدليل على إرسال الرسول ﷺ للإنس والجن - وهل بعث الله غيره للجن؟

ج: الدليل على رسالة ﷺ للجن قوله تعالى حكاية عن الجن ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[3].

وقد بعث الله قبله رسلا إلى الجن قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾[4].

س ١٤٥- هل يكون الرسل من الإنس فقط أم من الإنس والجن - وضح آراء العلماء في ذلك ثم رجح ما تختاره وأيده بالدليل؟

ج: اختلف العلماء في الرسل هل يجوز أن يكونوا من الجن أم هم من الإنس فقط على قولين:

---

(١) سورة الاحزاب: الآية (٤٠).

(٢) سورة الأحقاف: الآية (٣١).

(٣) سورة سبأ: الآية (٢٨).

(٤) سورة الأنعام: الآية (١٣٠).

الأول: أن الرسل من الإنس فقط وبه قال جماعة من السلف قال ابن عباس «الرسل من بني آدم ومن الجن النذر» وهو الذي ذهب إليه ابن جرير والقرطبي وابن كثير وغيرهم ومن الأدلة عليه قوله في حق الجن ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[1] وقوله تعالى عن إبراهيم ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾[2].

الثاني: أن في الجن رسلا حكاه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم مستدلاً بقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾[3] الآية.

والراجح القول الأول وأما الآية التي استدل بها أهل القول الثاني ففيها احتمال وليست صريحة وهي مثل قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[4] وإنما يخرجان من أحدهما وهو المالح.

س ١٤٦- هل يؤمن النصارى ببعثة محمد ﷺ أم لا؟ وكيف ترد عليهم؟

ج: بعضهم يقولون - إنه رسول العرب خاصة - وهو باطل فإنهم إن صدقوه في الرسالة لزمهم تصديقه فيما أخبر حيث قال ﷺ: (وكان كل رسول يرسل إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)[5]. والرسول لايكذب فلزم تصديقه - فقد بعث كتبا إلى كسرى وقيصر والنجاشي يدعوهم إلى الإسلام، والكثير منهم لايصدقون بنبوته أصلاً بل ينكرونها.

---

(١) سورة الأحقاف: الآية (٢٩).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٢٧).

(٣) سورة الأنعام: الآية (١٣٠).

(٤) سورة الرحمن: الآية (٢٢).

(٥) البخاري / كتاب التيمم ج (٣٣٥) وطرفاه في (٤٣٨ - ٣١٢٢)، ومسلم (٥٢١ - ٥٢٤).

س ١٤٧- قال الطحاوي (وكافة الورى) اذكر استعمال (كافة) في كلام العرب - وما إعرابها في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾[1]؟

ج: تستعمل كافة في كلام العرب حالاً فقط - واختلفوا في إعرابها بالآية المذكورة على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها حالٌ من الكاف - في «أرسلناك» وهي اسم فاعل. والتاء فيها للمبالغة أي: إلا كافاً للناس عن الباطل وقيل: هي مصدر كف.

الثاني: قيل هي حال من الناس.

الثالث: وقيل هي صفة لمصدر محذوف. أي رسالة كافة واعترض عليه بأنها لم تأت إلا حالاً.

«صفة الكلام»

س ١٤٨- قال الطحاوي: (وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً) الخ، اذكر الأقوال في كلام الله تعالى. مع ذكر شيء من المفاسد المترتبة على نفي صفة الكلام عن الله؟

ج: افترق الناس في مسألة إثبات الكلام لله على تسعة أقوال:

الأول: أن كلام الله: هو مايفيض على النفوس المستعدة من المعاني وهو مذهب الصابئة والمتفلسفة.

الثاني: أن كلام الله: مخلوق خلقه الله منفصلا وهو مذهب المعتزلة.

الثالث: أن كلام الله معنى واحد قائم بذات الله وهو الأمر والنهي والخبر والاستخبار إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وبالعبرانية كان توراة وهو قول ابن كلاب ومن وافقه.

---

(١) سورة سبأ: الآية (٢٨).

الرابع: أن كلام الله: حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل وهو قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.

الخامس: أن كلام الله حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما وهو قول الكرامية وغيرهم.

السادس: أن كلام الله يرجع إلى مايحدث من علمه وإرادته القائمة بذاته وذهب إليه الرازي وغيره.

السابع: أن كلام الله يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره وهو قول أبي منصور الماتريدي.

الثامن: أن كلام الله مشترك بين المعنى القديم القائم بذاته وبين مايخلقه في غيره وهو قول أبي المعالي الجويني ومن تبعه.

التاسع: قول أهل السنة وأئمة الحديث:

أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى وكيف شاء وهو يتكلم بكلامه وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما.

وأما المفاسد المترتبة على نفي صفة الكلام عن الله فمنها:

١- كون المخلوق أكمل من الخالق لأنه إذا كان الكلام صفة كمال فالمخلوق يتكلم فلو نفى الكلام عن الله لنفيت صفة كمال عنه رغم اتصاف العبد بها.
٢- تعطيل صفة الباري سبحانه وتشبيهه بالحادث.
٣- نفي النبوة والأنبياء والرسل بل نفي ذات في الله بالكلية.

س ١٤٩- قال الطحاوي: (منه بدا بلا كيفية قولا) اشرح هذا الكلام وبيِّن أي الطوائف يرويه عليه ثم اذكر قول المعتزلة في كلام الله وبيِّن شبهتهم في نفي صفة الكلام عن الله تعالى مع الرد عليهم مدللا لما تقول.

جـ: قول الشيخ «منه بدا بلا كيفية قولا» أي أنه سبحانه تكلم به على الحقيقة ولا ندري كيف تكلم به وذكر كلمة قولا تأكيدا لهذا بهذا على المعتزلة وغيرهم. فإن المعتزلة يزعمون أن كلام الله مخلوق خلقه الله منفصلا عنه وقالوا إضافته إليه إضافة تشريف وتكريم - كقوله تعالى ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾[1] وبيت الله ويرد بأن قولهم باطل وتحريف للكلام عن مواضعه وذلك لأن المضاف إلى الله تعالى نوعان: معانٍ، وأعيان.

١- فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف والتكريم لها وهي مخلوقة له كناقة الله ورسول الله وغيره.

٢- أما إضافة المعاني إليه سبحانه كعلم الله وقدرته وعلوه فإنها من صفاته ولا يمكن أن تكون شيئا مخلوقا.

وغاية شبهتهم لنفي الكلام عن الله أنهم يقولون يلزم من إثبات الكلام لله التشبيه والتجسيم كقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾[2] الآية - نحن نؤمن ونصدق أنها تتكلم ولكن لا نعلم كيف تتكلم تلك الأيدي وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[3] - وكذلك تسبيح

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٧٣) وهود: الآية (٦٤) والشمس: الآية (١٣).

(٢) سورة يس: الآية (٦٥).

(٣) سورة فصلت: الآية (٢١).

الحصى[1] والطعام في يد النبي ﷺ[2] وحنين الجذع إليه عليه السلام[3] كذلك.

س ١٥٠- دلل من الكتاب والسنة على تكليم الله لأهل الجنة وما حكم انكار ذلك؟ وهل كلم الله أهل النار أيضا؟ دلل لما تقول - وما المراد بالكلام في قوله في حق أهل النار ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾[4] وما الذي تأخذه من هذه الآية والصفات ومن حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ (بينما أهل الجنة نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا أبصارهم فإذا الرب جل جلاله؟)[5]

ج : الأدلة متوافرة وكثيرة من الكتاب والسنة على تكليم الله لأهل الجنة من ذلك قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[6] ومن السنة حديث جابر «بينما أهل الجنة . .»[7] وحكم إنكار كلامه تعالى مع أهل الجنة أنه إنكار لروح الجنة وإنكار لفضل النعيم الذي ينعمون به وهو وجه الله تعالى وليس كلامه تعالى مقصورا على أهل الجنة فقط بل يكلم أهل النار بدليل قوله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[8] فهو كلام إهانة

---

(١) أخرجه البزار والطبراني في الأوسط وضعفه الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٦٨٥). قلت: الحديث صحيح لغيره. أخرجه أبو نعيم في الدلائل. (٢/ ٣٣٩-٥٥٦) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٤٨٤ - ١٤٨٥) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٦٤) والأصبهاني في الدلائل (١/ ٤٠٤).

(٢) أخرجه البخاري/ المناقب باب دلائل النبوة (٣٥٧٩)، وغيره.

(٣) البخاري / الجمعة/ الخطبة على المنبر ح (٩١٨) وغيره.

(٤) سورة آل عمران: الآية (٧٧).

(٥) إسناده ضعيف. رواه ابن ماجه (١٨٤)، راجع تخريج الطحاوية للشيخ الألباني ص (١٧١).

(٦) سورة يس: الآية (٥٨).

(٧) إسناده ضعيف. رواه ابن ماجه (١٨٤)، راجع تخريج الطحاوية للشيخ الألباني ص (١٧١).

(٨) سورة المؤمنون: الآية (١٠٨).

وغضب لا كلام تكريم وتشريف ومثوبة وقال تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾[1] فهو إهانة لهم. والذي يؤخذ من الآية ومن حديث جابر وغيرهما من النصوص مسائل منها:

١- إثبات صفة الكلام لله تعالى.

٢- إثبات الرؤية.

٣- إثبات العلو.

٤- إثبات الجنة والنار وأنهما حق.

س ١٥١- ما مذهب أهل السنة والجماعة في صفة الكلام؟ استدل بدليلين من الكتاب والسنة؟

ج: يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله متكلم بكلام قديم النوع وإن لم يكن الصوت المعين قديما. وأنه لم يزل يتكلم ولا يزال يتكلم إذا شاء ما شاء متى شاء وكيف شاء وأنه يتكلم بحروف وأصوات وكلامه يسمعه من يشاء من خلقه قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[2] وقال ﷺ «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»[3].

س ١٥٢- استدل المعتزلة ببعض الأدلة على زعمهم الباطل بأن القرآن مخلوق، اذكر بعضها مع بيان وجه استدلالهم والرد عليهم.

ج: من الأدلة التي استدل بها المعتزلة على خلق القرآن أي كون كلام الله مخلوقا ما يلي:

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٧٧).

(٢) سورة النساء: الآية (١٦٤).

(٣) البخاري / الرقاق/ باب من نوقش الحساب عذب. ح (٦٥٣٩) ومسلم (١٠١٦).

١- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾[1] ووجه الاستدلال أن القرآن شيء فيكون داخلا في عموم الآية فيكون مخلوقا.

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[2] وجه الاستدلال أن جعل بمعنى خلق، أي خلقناه، كما زعموا.

٣- قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[3] ووجه الاستدلال أن الكلام خلقه الله في الشجرة فسمعه موسى منها.

٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾[4] وجه الاستدلال - أن عيسى كلمة الله وعيسى مخلوق فيكون القرآن مخلوقا.

والرد عليهم بعون الله كما يلي:

أ- الاستدلال بها باطل لأنكم تناقضتم في الاستدلال فأخرجتم أفعال العباد وأدخلتم كلام الله - وهذا فاسد. لأنكم قلتم أفعال العباد مخلوقة للعباد، وكلام الله مخلوق لله تعالى.

ب- أنه يلزم من إدخالهم الكلام تحت عموم (كل) أن تكون صفات الله مخلوقة كالعلم وهو صريح الكفر إذ إن علمه شيء وحياته شيء فيدخل في عموم كل فيكون مخلوقا وهذا باطل.

جـ- أن عموم «كل» في كل موضع بحسبه ويعرف ذلك بالقرائن.

---

(١) سورة الرعد: الآية (١٦).

(٢) سورة الزخرف: الآية (٣).

(٣) سورة القصص: الآية (٣٠).

(٤) سورة النساء: الآية (١٧١).

ولا يدخل في ذلك القرآن لأنه كلام الله وهو صفة من صفاته تعالى وصفاته غير مخلوقة.

د- أن نفس دليلكم دليل عليكم لأن الآية - بزعمكم مخلوقة فلا تصح أن تكون دليلا.

* وأما الآية الثانية فاستدلالهم بها باطل أيضا.

لأن جعل التي بمعنى خلق لا تتعدى إلا إلى مفعول واحد كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[1] والآيات في هذا كثيرة فإذا تعدت إلى مفعولين لم تكن بمعنى خلق كالآية التي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾[2] وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾[3].

وأما الآية الثالثة فاستدلالهم بها باطل من وجوه:

أ- أن الآية جاءت بصيغة النداء وهو الكلام من بعيد فسمع موسى النداء من حافة الوادي قال: في البقعة المباركة من الشجرة أي النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة لابتداء الغاية كما في قولك سمعت نداء زيد من البيت وليس البيت هو المتكلم.

ب- أن الكلام لو كان مخلوقا في الشجرة لكانت هي القائلة «يا موسى إني أنا الله رب العالمين».

جـ- قوله ﷺ «أعوذ بكلمات الله التامة»[4] فهذا يدل على أنه غير مخلوق لأنه ﷺ استعاذ بكلمات الله والاستعاذة بالمخلوق شرك والرسول ﷺ منزه عن الشرك فدل على أن كلام الله غير مخلوق.

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٢٤).

(٣) سورة الإسراء: (٢٩).

(٤) البخاري / الأنبياء/ ح (٣٣٧١) وغيره.

*- وأما استدلالهم بالآية الرابعة فباطل - لأنه إنما سمى عيسى كلمته لكونه وجد بكلمة كن وليس هو نفس الكلمة وخص عيسى بالذكر من بين المخلوقات مع كون المخلوقات موجودة بكلمة كن لأن عيسى وجد بلا أب وآدم وجد بلا أب ولا أم وحواء وجدت من ضلع آدم بخلاف سائر المخلوقات فموجودة بأب وأم.

س ١٥٣- ما الذي يلزم من الباطل على قول الصوفية الاتحادية؟ وضح ذلك.

ج : الذي يلزم عليه أمور منها:

١- أن يكون كل ما أحدثه الله من الكلام في الجمادات كلامه وكذلك في الحيوانات ولا فرق حينئذ بين (نطق) وأنطق وإنما قالت الجوارح «﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾[١] ولم تقل نطق الله.

٢- أن يكون الله متكلما بكل كلام خلقه في غيره زورا كان أو كذباً أو كفرا تعالى الله عن ذلك.

٣- أنه يلزم عليه أن يوصف الإنسان بصفة غيره فيقال للبصير أعمى والعكس.

٤- كذلك يلزم عليه وصف الله بالصفات التي خلقها في غيره من الألوان والروائح والطول والقصر.

٥- إن هذا الكلام لو كان بدأ من غير الله لكان قول فرعون ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾[٢] صدقا وقد فرقوا بين فرعون وكلام الشجرة بزعمهم فقالوا هذا كلام خلقه الله في الشجرة وهذا كلام خلقه فرعون وبدلوا واعتقدوا خالقا غير الله.

---

(١) سورة فصلت: الآية (٢١).

(٢) سورة النازعات: الآية (٢٤).

س ١٥٤- اذكر مناقشة عبدالعزيز المكي مع بشر المريسي؟

ج : بعد أن تكلم معه والتزم ألا يخرج عن نص التنزيل وألزمه الحجة قال بشر يا أمير المؤمنين ليدع مطالبتي بنص التنزيل ويناظرني بغيره - فإن لم يدع قوله ويرجع عنه ويقر بخلق القرآن الساعة وإلا فدمي حلال. قال عبدالعزيز تسألني أم أسألك فقال بشر اسأل أنت فقلت له يلزمك واحدة من ثلاث إما أن تقول إن الله خلق القرآن - وهو عندي أنا كلامه - في نفسه أو خلقه قائما بذاته ونفسه أو خلقه في غيره قال: أقول خلقه كما خلق الأشياء كلها وحاد عن الجواب فقال المأمون اشرح أنت هذه المسألة ودع بشرا فقد انقطع فقال عبدالعزيز إن قال خلق كلاماً في نفسه يخالفه فهذا محال لأن الله لا يكون محلا للحوادث المخلوقة ولا يكون فيه شيء مخلوق.

وإن قال خلقه في غيره فهو محال أيضا لأنه يلزم قائله أن يجعل كل كلام خلقه الله في غيره هو كلام الله وإن قال خلقه قائما بنفسه وذاته فهذا محال إذ لا يكون الكلام إلا من يتكلم كما لا تكون الإرادة إلا من يريد ولا العلم إلا من عالم ولا يعقل كلام قائم بنفسه متكلم بذاته فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقا - علم أنه صفة لله.

س ١٥٥- كيف ترد على من قال إن القرآن أحدثه إما جبريل أو محمد استدل بقوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؟[١]

ج : أرد عليه بأن القول قولان:

١- قول ابتدأ.

٢- وقول مبلغ ومرسل به وهذا هو المقصود في الآية.

أ- لأن ذكر الرسول معروف أنه مبلغ عمن أرسله إذ لم يقل إنه

(١) سورة الحاقة: الآية (٤٠) وسورة التكوير: الآية (١٩).

قول ملك أو نبي فعلم إنه بلغه عمن أرسله به لا أنه أنشأه من جهة نفسه.

ب- فالرسول في إحدى الآيتين جبرائيل وفي الأخرى محمد فإضافته إلى كل منهما أن الأخبار للتبليغ إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر.

جـ- أن الله وصف رسوله بالأمين دليل على أنه لا يزيد في الكلام ولا ينقص منه.

د- أن الله قد كفَّر من جعله قول بشر - ومحمد ﷺ بشر فمن جعله قول محمد فقد كفر ولا فرق بين أن يقول أنه قول بشر أو ملك أو جنى.

هـ- أن الكلام من قاله مبتدئاً لا من قاله مبلغا - فمن سمع شعرا مثل من ذكرى حبيب - قال إنه كلام وشعر امرىء القيس ومن سمع قول - إنما الأعمال بالنيات[1] - قال هذا قول محمد ﷺ ومن سمع قول رب العالمين قال هذا كلام الله إن كان عنده خبر بذلك - وإلا قال لا أدري.

س ١٥٦- ما قول الكرامية في الكلام وبماذا يوافقون أهل السنة؟

جـ : يقولون - إن كلام الله حروف وأصوات لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما وهم يوافقون أهل السنة في إثباته إلا أنهم قالوا حادث بعد أن لم يكن. بينما أهل السنة يقولون كلام قديم النوع حادث الآحاد.

س ١٥٧- ما مذهب الكلابية والأشاعرة في صفة الكلام وكيف ترد عليهم؟

جـ : مذهبهم أن كلام الله معنى واحد قائم بذات الله وهو الأمر والنهي

---

(١) البخاري / بدء الوحي. ح(١) ومسلم (١٩٠٧).

والخبر إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة.

ويرد عليهم بأن يقال هل سمع موسى جميع المعنى أو بعضاً؟ فإن قالوا إنه سمع جبريل فقد زعموا أنه جميع كلام الله وهذا فاسد. وإن قالوا إنه سمع البعض فقد اعترفوا أنه بعض ومثل هذا قوله تعالى للملائكة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] ومثله قوله ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾[2].

س ١٥٨- بم استدل من يقول إنه كلام نفساني وإنه معنى واحد بين فساده وكيف ترد عليهم؟

ج: استدل بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وهو فاسد من وجوه:

١- أنه موضوع منسوب إلى الأخطل وليس في ديوانه.

٢- أنه محرف وأصله:

إن البيان لفي الفؤاد.. البيت وهو أقرب إلى الصحة.

٣- على فرض صحته لا يجوز الاستدلال به فإن قائله نصراني والنصارى قد ضلوا في معنى الكلام. فإنهم يقولون كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه.

٤- ومعناه غير صحيح - إذ يلزم أن الأخرس يسمى متكلما.

ويرد قول من قال بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس قوله ﷺ إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس)[3]. وقوله ﷺ: «إن الله

---

(١) سورة البقرة: الآية (٣٠).

(٢) سورة البقرة: الآية (٣٤). والأعراف: الآية (١١) والإسراء: الآية (٦١) والكهف: الآية (٥٠) وطه: الآية (١١٦).

(٣) مسلم (٥٣٧) وغيره راجع إرواء الغليل ح (٣٩٠).

يحدث من أمره ما يشاء وإنما أحدث لا تكلّموا في الصلاة»[1].

لا يرد عليه أيضا بقوله ﷺ لمعاذ أن معاذا رضي الله عنه قال يا رسول الله وأنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ﷺ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ويرد عليه أيضا بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[2] الآية.

س ١٥٩- كيف ترد على من زعم أن الكلام عبارة عن كلام الله؟

ج : يرد عليه:

١- أنه لو كان كذلك لما حرم على الجنب والمحدث مس المصحف.

٢- أنه لو كان ما يقرأ القارىء كلاماً لما حرم على المحدث والجنب مس قرآنه.

٣- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[3] ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله وحصل على الحقيقة.

س ١٦٠- ما هو القول الحق في القرآن إذا كتب في الورق أو قرأه القارىء؟ وضح ذلك.

ج : القرآن كلام الله حيث تعرفه فيه سواء كان محفوظا في الصدور أو متلوا به أو مكتوبا بالمصاحف فهو لا يخرج عن أن يكون كلام الله.

فإذا قيل المكتوب في المصحف كلام الله فهم منه معنى صحيح حقيقي.

---

(١) حديث حسن: أخرجه أبو داود (٩٢٤) والنسائي (١١٢٠) كتاب السهو/ باب الكلام في الصلاة.

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٤٣).

(٣) سورة التوبة: الآية (٦).

س ١٦١- ما معنى القرآن في اللغة واذكر أنواع وجود الحقائق؟

ج : القرآن في الأصل مصدر ويراد به تارة القراءة كما قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾(١) وقوله ﷺ «زينوا القرآن بأصواتكم»(٢). وتارة يراد به المقروء قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾(٣) وقوله ﷺ (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف)(٤).

وأنواع وجود الحقائق أربعة.

١- وجود عيني.

٢- وجود ذهني.

٣- لفظي.

٤- ورسمي.

فالأعيان تعلم ثم تكتب فكتابتها في المصاحف هي المرتبة الرابعة. وأما الكلام فإنه ليس بينه وبين المصحف واسطة بل هو الذي يكتب بلا واسطة ولا لسان.

س ١٦٢- ما الفرق بين كون القرآن في زبر الأولين وكونه في رق منشور أو لوح محفوظ أو في كتاب مكنون؟

ج : الفرق واضح فقوله عن القرآن ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾(٥) أي

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٧٨).

(٢) صحيح أخرجه أبو داود (١٤٦٨) والنسائي (٢/ ١٧٩) كتاب الافتتاح وابن ماجة (١١٤٢).

(٣) سورة النحل: الآية (٩٨).

(٤) البخاري / فضائل القرآن/ انزال القرآن على سبعة أحرف ح (٤٩٩٢ - ٦٩٣٦) ومسلم (٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢١).

(٥) سورة الشعراء: الآية (١٩٦).

ذكره ووصفه والأخبار عنه والزبر هو الكتابة والجمع فالمعنى بين من اللفظ نفسه وبين من كمال القرآن وخلوصه من اللبس وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾[1] أي ذكره بخلاف ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾[2] و«اللوح المحفوظ» وكتاب مكنون «لأن العامل في الظرف أما أن يكون من الأفعال العامية مثل الكون والاستقرار والحصول أو يقدر بأنه مكتوب في كتاب - أو في رقة - والكتاب تارة يذكر ويراد به محل الكتاب وتارة يراد به الكلام المكتوب - ويجب التفريق بين كتابة الكلام في الكتاب وكتابة الأعيان الموجودة في الخارج فيه فإن تلك إنما يكتب ذكرها.

س ١٦٣- ما حقيقة كلام الله الخارجية؟ وما حكم من قال أن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله أو حكاية كلام الله؟ وليس فيها كلام الله؟ وما معنى قول السلف «منه بدأ واليه يعود»؟

ج : حقيقة كلام الله الخارجية هي مايسمع منه أو المبلغ عنه فإذا سمعه السامع علمه وحفظه فكلام الله مسموع له محفوظ فإن قاله فهو مقر له - فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[3] كلام الله من الله وإنما يسمعه من مبلغ عنه.

ومعنى قول السلف (منه بدأ) يقصدون به الرد على الجهمية والمعتزلة وغيرهم عن القائلين: الله خلق الكلام في محل فبدأ الكلام عن ذلك المحل فقالوا «منه بدأ» أي هو المتكلم به بدأ لا من بعض المخلوقات،

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٥٧).

(٢) سورة الطور: الآية (٣).

(٣) سورة التوبة: الآية (٦).

كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾[1] ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾[2] ومعنى «إليه يعود» أنه يرفع من المصاحف وينزع من صدور الرجال في آخر الزمان فلا يبقى منه آية وقوله «بلا كيفية» أي لايعرف كيفية تكلمه به قولاً حقيقياً لا مجازاً وقوله «أنزله على رسوله وحيا» أي أنزله إليه على لسان الملك فسمعه الملك جبرائيل من الله وسمعه رسوله من الملك وقرأه على الناس. قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾[3].

س ١٦٤- ما الفرق بين إنزال القرآن وهو الكتاب - وإنزال المطر - وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام؟

ج: الفرق بين ذلك إن إنزال القرآن مضاف إلى الله تعالى. حيث قال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾[4] وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾[5] وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾[6] وإنزال المطر مقيد بأنه إنزال من السماء قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[7] والسماء العلو وجاء في موضع آخر أنه أنزله من المزن وهي السحاب. وإنزال الأنعام والحديد - فالحديد من المعادن التي في الجبال عالية عن الأرض

---

(١) سورة الزمر: الآية (١).
(٢) سورة السجدة: الآية (١٣).
(٣) سورة الشعراء: الآيات (١٩٣ - ١٩٥).
(٤) سورة غافر: الآية (٢).
(٥) سورة فصلت: الآية (٢).
(٦) سورة القدر الآية (١).
(٧) سورة ابراهيم: الآية (٣٢).

ولأنها تخلق بالتوالد المسلتزم - وعلى هذا فيحتمل قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾[1] وجهين:

١- أن تكون(من) لبيان الجنس.

٢- أن تكون(من) لابتداء الغاية.

وهذان الوجهان في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ أَزْوَٰجًا﴾[2].

س ١٦٥- ما معنى قول الشيخ: «صدقه المؤمنون على ذلك حقا»؟ وأي شيء ترجع الإشارة؟

ج: ترجع الإشارة إلى ماذكره الشيخ من التكلم على الوجه المذكور أي قول الصحابة والتابعين في صفة الكلام حق وصدق.

س ١٦٦- إلى أي شيء يشير الشيخ بقوله: «وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق»؟

ج: يشير بهذا الرد إلى المعتزلة وغيرهم وفي قوله «بالحقيقة» رد على من قال أنه معنى واحد قام بذات الله لم يسمع منه وإنما هو الكلام النفساني.

س ١٦٧- اختلف الناس في معنى الكلام عند الإطلاق هل هو اللفظ أم المعنى على أقوال اذكرها؟

ج: اختلف الناس في مسمى الكلام على أربعة أقوال:

١- أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً كما يتناول لفظ الإنسان الروح والبدن وهذا قول السلف.

---

(١) سورة الزمر: الآية (٦).

(٢) سورة الشورى: الآية (١١).

٢- أنه يتناول اللفظ فقط والمعنى مدلول مسماه وهو قول جماعة من المعتزلة.

٣- أنه يتناول المعنى فقط واللفظ مجاز لأنه دل عليه وهو قول ابن كلاب.

٤- أنه مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية.

٥- وهناك قول خامس يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في الآدميين.

«الرؤية»

س ١٦٨- اذكر بعض الآيات الدالة على اثبات الرؤية مع التوجيه؟

ج: قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[1] فهذه الآية تدل على إثباتها من وجوه:

أ- أنه تعالى أضاف النظر إلى الوجه الذي هو محله.

ب- إن النظر إذا تعدى بنفسه فمعناه المهلة والانتظار، وإذا تعدى بفي فمعناه التفكير والاعتبار، وإذا تعدى بـ إلى معناه الإدراك بالإبصار. وهو هنا قد تعدى بإلى.

جـ- وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[2] وجه الدلالة: ما قاله الشافعي أنه حجب عن هؤلاء في السخط كان هذا دليلاً على أن عباده يرونه في الرضا.

د- وقال تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾[3] قال الطبري هو النظر إلى وجه الله عز وجل.

---

(١) سورة القيامة: الآية (٢٢ - ٢٣).

(٢) سورة المطففين: الآية (١٥).

(٣) سورة ق: الآية (٣٥).

هـ- وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1] قال ﷺ (إن الزيادة هي النظر إلى وجه الله)[2].

س ١٦٩- اذكر بعض الأحاديث الواردة في إثبات الرؤية وماذا تفيد أيضاً زيادة على الرؤية؟

ج: لقد روى أكثر من ثلاثين صحابياً أحاديث في الرؤية.

قوله ﷺ «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»[3] الحديث.

وأيضاً حديث جابر - وتفيد هذه الأحاديث إثبات صفات منها:

١- إثبات صفة الكلام لله تعالى وأنه يتكلم بما شاء متى شاء.

٢- إثبات صفة العلو لله تعالى.

٣- إثبات صفة التجلي لعباده.

٤- إثبات صفة الضحك.

٥- إثبات صفة المجيء لفصل القضاء يوم القيامة.

٦- إثبات أنه سبحانه يتكلم بصوت يسمعه السامع من بعد كما يسمعه من قرب.

س١٧٠- هل رؤية الله في الآخرة بصرية أم قلبية؟

ج- إن رؤية الله تعالى في الآخرة رؤية بصرية. لقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. قال ابن عباس: وأكثر الناس تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب[4].

---

(١) سورة يونس: الآية (٢٦).

(٢) صحيح أخرجه مسلم (١٨١) والترمذي (٣١٠٥) وابن ماجة (١٨٧).

(٣) البخاري /المواقيت/ باب فضل صلاة الفجر (٥٧٣ وأطرافه في (٨٠٦ - ٦٥٧٣ - ٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢ - ٦٣٣).

(٤) تفسير البغوي (٨/ ٢٨٤).

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. عن صهيب عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة). قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[١].

وعن جرير بن عبدالله قال: قال النبي ﷺ (إنكم سترون ربكم عياناً)[٢].

وعن أبي هريرة أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟

فقال رسول الله ﷺ: (هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يارسول الله. قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لا يا رسول الله. قال: فإنكم ترونه كذلك[٣] إلى غير ذلك من الأحاديث.

وقوله ﷺ (إنكم ترونه كذلك) أي كما ترون القمر والشمس فهذه رؤية بصرية لأن رؤيتنا للقمر والشمس رؤية بصرية والتشبيه هنا للرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة والاختلاف. وليس المراد تشبيه المرئي بالمرئي لأن الله سبحانه (ليس كمثله شيء).

س ١٧١- هل الرؤية البصرية لله في الدار الدنيا ممكنة كما هي ثابتة في الآخرة؟

جـ- الرؤية البصرية لله تعالى في الدنيا منفية، لقوله تعالى عندما سأله

(١) أخرجه مسلم (١٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢).

موسى عليه السلام رؤيته ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أي لن تقدر الآن على رؤيتي فإن الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرون بها ولا يثبتون لرؤية الله[١]. ومن السنة عن عبدالله بن شقيق عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك قال نور أَنَّى أراه)[٢].

وقوله ﷺ (نور أَنَّى أراه) معناه حجابه نور فكيف أراه. قال الإمام أبو عبدالله المازري رحمه الله: الضمير من أراه عائد على الله سبحانه وتعالى ومعناه أن النور منعني من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه... أهـ.

وعن مسروق قال كنت متكئا عند عائشة فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئا فجلست فقلت يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجلي ألم يقل الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾[٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾[٤]، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[٥] أو لم تسمع أن الله يقول ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ

---

(١) تفسير السعدي (٢/ ١٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨).

(٣) التكوير/ ٢٣.

(٤) النجم/ ١٣.

(٥) الأنعام/ ١٠٣.

﴿إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾[1].

قالت ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾[2]، قالت ومن زعم أن يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

من هذه الأدلة ثبت أن الرؤية البصرية لله عز وجل منفية في الدنيا، ولكن ثبتت رؤية النبي ﷺ لله في الدنيا بالقلب لا بالبصر لقول ابن عباس **(رآه بقلبه)**[3] وقوله **(رآه بفؤاده مرتين)**[4].

س ١٧٢- اذكر حجج نفاة الرؤية في الآخرة والرد عليها؟

جـ- نفاة الرؤية كالجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية لهم حجج ليست في موضعها.

فمنها قوله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وبقوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فالآيتان دليل للرد عليهم:

أما الآية الأولى: فالاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه:

---

(١) الشورى / ٥١.

(٢) المائدة / ٦٧.

(٣) مسلم (١٧٧).

(٤) مسلم (١٧٦).

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أنه تعالى قال ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ولم يقل إني لا أُرى أو لا تجوز رؤيتي أو لست بمرئي والفرق بين الجوابين ظاهر.

الثالث: أن الله لم ينكر عليه سؤاله ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله. وقال ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

الرابع: قولهم قال تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ولن تكون للتأبيد ولا حجة لهم فيها. ومعنى الآية: لن تراني في الدنيا أو في الحال لأنه كان يسأل الرؤية في الحال و(لن) لا تكون للتأبيد كقوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]. إخبارا عن اليهود. ثم أخبر عنهم أنهم يتمنون الموت في الآخرة يقولون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. و﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٧].

«الإسراء والمعراج»

س ١- قال الطحاوي: (والمعراج حق، وقد أسرى بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة، إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا. . . .).

لماذا ذكر الشيخ مسألة الإسراء في عقيدته، وما حقيقة الإسراء والمعراج؟

ما مناسبة ذكر الإسراء والمعراج في كتاب التوحيد وما هو الإسراء والمعراج وهل يعلم كيف هو وما حكمه؟

ج: الإسراء لغة هو السير ليلا وشرعاً هو الإسراء بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ليلا على البراق يصحبه جبريل. والمعراج مفعال وهي الآلة التي يصعد عليها وهي بمنزلة السلم وهي التي صعد عليها الرسول ﷺ من بيت المقدس إلى السماء ولايعلم كيف هو إلا سبحانه وتعالى.

وحكمه حكم غيره من المغيبات نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته ومناسبة ذكر الإسراء والمعراج في كتاب التوحيد أنه مما يجب الإيمان به وقد كذب به الكفار وارتد عن الإسلام بضعة أناس وازداد إيمانا آخرون.

س ٢- بين حكم منكر الإسراء والمعراج مع ذكر السبب؟

ج: حكم من أنكر الإسراء والمعراج أنه كافر لأنه مما توافر خبره ولأنه جاحد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[1].

---

(١) سورة الإسراء: الآية (١).

س ٣- بين مذاهب الناس في شأن الإسراء والمعراج مع ذكر الدليل للقول الذي ترجحه؟

ج : للناس في ذلك أربعة أقوال :

القول الأول: إن الإسراء كان بروحه وجسده من المسجد الحرام إلى بيت المقدس ثم إلى السماء بعد البعثة وقبل الهجرة بسنة مرة واحدة وهو المختار.

الثاني: قول عائشة ومعاوية رضي الله عنهما إن الإسراء بروحه ولم يفقد جسده.

الثالث: أن الإسراء كان مناما وأنه رأى أنه عرج به إلى السماء.

الرابع: أنه كان مرتين مرة يقظة ومرة مناما وأصحاب هذا القول كأنهم أرادوا الجمع بين حديث شريك وقوله (ثم استيقظت)[١] وبين سائر الروايات[٢].

وقيل كان الإسراء ثلاث مرات مرة قبل الوحي ومرتين بعده وشبهه هؤلاء أنه كلما اشتبه عليهم لفظ أرادوا مرة للتوفيق وهذا يفعله ضعفاء أهل الحديث.

س ٤- وضح الفرق بين القول بأن الإسراء والمعراج كان مناماً وبين القول أنه بالروح دون الجسد؟

ج : الفرق بينهما أن ما يراه النائم قد يكون أمثالاً مضروبة للعموم في الصورة فيرى كأنه عرج به إلى السماء وذهب إلى مكة وروحه لم تصعد ولم تذهب وإنما ملك الرؤيا ضرب له الأمثال.

---

(١) البخاري / التوحيد/ باب ما جاء في قوله عز وجل (وكلم الله موسى تكليما) ح/ ٧٥١٧.

(٢) راجع الروايات التي ذكرها ابن كثير في التفسير (أول سورة الإسراء).

وأما من قال بروحه دون جسده لم يرد أن الإسراء كان مناماً وإنما أراد أن الروح ذاتها أسرى بها ففارقت الجسد ثم عادت إليه ويجعلان هذا من خصائصه، فإن غيره لاتنال ذات روحه الصعود الكامل إلى السماء إلا بعد الممات.

س ٥- ما الذي دفع بعض العلماء إلى القول بتعدد حادثة الإسراء؟ وما موقفك من هذا؟

ج: الحامل لهم بالقول بتعدد الإسراء أنه كلما اشتبه عليهم لفظ زادوا مرة للتوفيق وهذا يفعله ضعفاء أهل الحديث وهو مردود من وجوه:

١- أنه خلاف ماجاء به أئمة النقل من أهل السير أن الإسراء كان مرة واحدة قبل الهجرة بسنة وقيل بسنة وشهرين.

٢- لايستساغ أنه في كل مرة يفرض عليهم الصلوات خمسين ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا فيقول فرضت فريضتي وخففت عن عبادي ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ثم يحطها إلى خمس.

٣- إن الحفاظ غلطوا شُريكاً في ألفاظ من حديث الإسراء. ومسلم أورد المسند منه ثم قال (وقدم فيه شيئاً وأخر وزاد ونقص)[١].

س ٦- وضح الشبهة التي اعتمد عليها من قال إن الإسراء كان مرة مناماً ومرة يقظة؟

ج: أشكل عليهم رواية حديث شريك وفيها (ثم استيقظت) حيث أن سائر الروايات لم يأت فيها ذكر النوم والاستيقاظ فأرادوا الجمع بين تلك الروايات فقالوا بأن الإسراء كان مرة مناما ومرة يقظة.

س ٧- ما هي حقيقة الإسراء مع الاستدلال لما تقول؟

ج: القول الصحيح في حقيقة الإسراء هو أنه ﷺ أسرى بشخصه (أي بروحه وجسده) وذلك من وجوه:

---

(١) قاله مسلم بعد الحديث (١٦٢) عبدالباقي، (٢/ ٥٧٥) شرح النووي. ط الشيخ خليل الميس.

١- قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[1] فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظما.

٢- إنه لو كان مناماً لما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم.

٣- إن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال تعالى ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.

٤- وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾[2] والبصر من آلات الذات لا الروح.

٥- وإنه ﷺ قد حمل على البراق وإنما يكون هذا للبدن لا للروح لأنها لاتحتاج حركاتها إلى حمل ومركب تركب عليه والله أعلم.

٦- إنه لايستبعد عقلا.

٧- إنه لو جاز استبعاد صعود النبي ﷺ لجاز استبعاد نزول الملائكة وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة ومن ينكرها فهو كافر.

٨- إن العلم الحديث دل على صدق الرسول ﷺ حين أخبر أنه ذهب إلى بيت المقدس ورجع من ليلته حيث إن الإنسان في هذا العصر يستطيع أن يجوب الأرض بظرف ساعات قليلة فكيف بقدرة الله تعالى.

---

(١) سورة الإسراء، الآية (١).

(٢) سورة النجم: الآية (١٧).

س ٨- اذكر الأقوال في مسألة رؤية النبي ﷺ ربه مع بيان الأرجح والاستدلال له.

ج : للناس في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: إنه رأى ربه بعينه ومن قال ذلك استدل بآية ـ النجم ـ ولكن النزاع فيهما موثوق والاحتمال ممكن.

الثاني: إنه رآه بقلبه وهذا مروى عن ابن عباس[*].

الثالث: إنه لم يره بعينه وهذا هو الراجح لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال قلت لرسول الله ﷺ هل رأيت ربك فقال (نور أَنَّى أراه)[١] أي كيف أراه والنور حجاب بيني وبينه بمعنى يمنعني عن رؤيته فهذا أصرح في نفي الرؤية وحكى اتفاق الصحابة على ذلك.

س ٩- من هو المرئي المقصود في قوله تعالى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾[٢] وقوله ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾[٣]؟

ج : المراد بالمرئي بذلك جبريل عليه السلام رآه الرسول ﷺ مرتين مرة على صورته في الأرض ومرة عند سدرة المنتهي.

س ١٠- علام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[٤] وهل هما نفس الدنو والتدلي المذكورين في قصة حديث الإسراء أم لا مع التوجيه؟

(*) أقول: قول ابن عباس هذا ليس مذهباً مستقلا وليس هذا يخالف الثالث. فالصواب أن يقال: مذهب من يقول يرى ربه بقلبه ومذهب من يقول لم يره بعينه.

(١) رواه مسلم (١٧٨) الإيمان.

(٢) سورة النجم: الآية (١١).

(٣) سورة النجم: الآية (١٣).

(٤) سورة النجم: الآية (٨).

ج : فاعل الدنو والتدلي المذكورين في سورة النجم (ثم دنى فتدلى) هو جبرائيل وفاعل المذكورين في قصة حديث الإسراء هو الله سبحانه وتعالى وتوجيه ذلك قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[1]. والضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوي.

س ١١- لماذا كان الإسراء إلى بيت المقدس ثم العروج من هناك؟ وما الحكمة في ذلك؟

ج : الحكمة في ذلك والله أعلم من أربعة وجوه:

الأول: إنه كان اظهاراً لصدق دعوى النبي ﷺ فحين سألته قريش عن نعت بيت المقدس فنعته لهم وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك إذ لا يمكن اطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه وقد اطلعوا على بيت المقدس فأخبرهم بنعته.

الثاني: الصعود بالنبي ﷺ بالمعراج تسهيلاً له وتأميناً.

الثالث: إنه جمع له الأنبياء عليهم السلام وصلى بهم إماما فبان فضله عليهم بالصلاة.

الرابع: ليمر وهو في طريقه بمكان كلم الله فيه موسى ثم يصعد الرسول ﷺ لما هو أعلى من ذلك حيث كلمه الله وهو في السماء لبيان فضله ﷺ على موسى.

س ١٢- اذكر الأمور المستفادة من قصة الإسراء مع ذكر مادلت عليه من صفات الله عز وجل؟

ج : الفوائد هي:

---

(١) سورة النجم: الآيات (٥ - ٨).

أولا: الابتلاء والامتحان ليتبين المؤمن الذي يصدق بما جاء به الرسول ﷺ من الكافر الذي لايصدق بذلك.

ثانيا: تضعيف الصلاة حيث أنقصها سبحانه إلى خمس وإضعاف أجرها إلى خمسين صلاة رحمة منه لعباده.

ثالثا: ما للصلاة من مكانة في الإسلام حيث تولى الله سبحانه وتعالى فريضتها في السماء من بين سائر العبادات.

رابعاً: جواز النسخ قبل التمكن من الفعل فقد نسخت الصلاة من خمسين إلى خمس قبل أن يتمكن المسلمون من أدائها.

خامساً: مشاورة أهل الفضل حيث استشار الرسول ﷺ جبريل في الرجوع إلى الله ليخفف عنه من الصلاة عندما أشار عليه موسى بذلك فأشار جبريل أي نعم إن شئت.

سادساً: كما تدل هذه القصة على صفة العلو لله سبحانه وتعالى.

سابعا: أنها معجزة الرسالة المحمدية.

مبحث الحوض

س- قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: (والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثا لأمته - حق) عرِّف ما هو الحوض لغة وشرعا؟ ثم اذكر حكم الإيمان به.

ج: الحوض لغة مجمع الماء وهو مادة مشتقة من السيلان ومنه الحيض، ومنه حاض الوادي إذا سال وشرعاً هو حوض الرسول ﷺ المورود في عرصات القيامة والعرصات المكان الواسع والمراد بها مواقف العرض والحساب وحكمه اتفاق أهل السنة أنه حق ثابت ومن الأدلة الثابتة على صحته هي كما يلي:

الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر رواها من الصحابة بضعة وثلاثون صحابيا فمن الأحاديث:

١- ماروا البخاري رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال (أن قدر حوضي كما بين آيلة إلى صنعاء باليمن وإن فيه من الأباريق عدد نجوم السماء)[١] وعنه عن النبي ﷺ قال (ليردن عليَّ أناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقول لاتدري ما أحدثوا بعدك)[٢] متفق عليه.

٢- حديث (حوضي ما بين عدن وعمان البلقا)[٣]، وحديث (حوضي ما بين المدينة وعمان)[٤].

---

(١) البخاري / الرقاق/ باب في الحوض (٦٥٨٠) ومسلم (٢٣٠٣).
(٢) البخاري / الرقاق/ باب في الحوض (٦٥٨٢) ومسلم (٢٣٠٤).
(٣) صحيح. رواه الترمذي (٢٤٤٤) وأحمد (٥/ ٢٧٥).
(٤) رواه مسلم (٢٣٠٣) وابن ماجة (٤٣٠٤) وأحمد (٣/ ١٣٣ - ٢١٦ - ٢١٩).

س- ذكرت مسافات مختلفة في أحاديث الحوض فكيف يجمع بين هذه الأحاديث؟

ج : الجمع بين هذه الأحاديث من وجوه وأرجحها :

أولا : قيل إن الاختلاف إنما أتى بحسب مايعرفه السائل من حجازي ويماني وشامي فلا ينظر إلى الطول والعرض وإنما ينظر إلى السائل.

ثانيا : قيل إن الاختلاف بالنسبة للمجتهد في السير والبطيء فيه.

س- أيهما يأتيه الناس أولا : الميزان أم الحوض؟ اذكر الخلاف في ذلك مع التوجيه لما تختار؟

ج : للناس في ذلك قولان :

أولاً : الميزان قبل الحوض.

الثاني : وهو المختار أن الحوض قبل الميزان.

والتوجيه : وهو أن يخرجوا عطاشى - أي يخرجون من قبورهم عطاشا فهذا يدل على أنه متقدم على الميزان.

س- بين الأقوال في أسبقية الحوض على الصراط مع التوجيه لما تختار؟

ج : للناس في ذلك قولان كما في الخلاف في تقديمه على الميزان والصحيح أنه مقدم عليه أي الحوض على الصراط.

التوجيه : هذا من وجهين قيل إن الحوض بعد الصراط، وقيل إنه قبل الصراط وهذا هو الراجح.

الأول : أن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً.

الثاني : أنه يختلج عنه ويمنع عنه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم[1] ومثل هؤلاء لايجوزون الصراط.

---

(١) البخاري (٦٥٧٦) ومسلم (٢٢٢٧)

س- بين صفة الحوض والكوثر اللذين أعطاهما الله لرسوله ﷺ، خاصين بالنبي ﷺ ثم بين هل لكل نبي حوض مع بيان الفرق بينهما وبين حوض النبي ﷺ؟

ج : الحوض هو مورد كريم يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحاً من المسك وهو غاية في الاتساع عرضه وطوله سواء كل زاوية من زواياه مسيرة شهر وقد جاء أنه كلما شرب منه هو في ازدياد واتساع وإنه ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب ويثمر ألوان الجواهر، وهما خاصان بالنبي ﷺ كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة وكل نبي له حوض كما ورد بذلك إلا أن حوض نبينا أعظمها واحلاها وأكثرها وارداً[1] جعلنا الله من الواردين له.

س: ما حكم من أنكر الحوض والكوثر؟

ج : هو كافر إذا تبين له الأدلة على ثبوتهما.

س- أوضح الاختلاف بين الحوض والكوثر مع بيان موضعهما؟

ج : الفرق في ذلك أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة فهو أصل، أما الحوض فهو يكون في الموقف في الأرض المبدلة وهي أرض بيضاء كالفضة فهو فرع من الكوثر.

س- بين كيف يمكن الجمع بين حديث (هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال هو نهر أعطانيه ربي في الجنة)[2] وبين حديث (يرد عليَّ أناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني الخ) مع ذكر أول من يرد على الحوض مع الدليل؟

---

(١) حسن. أخرجه الترمذي (٢٤٤٣) وغيره. وراجع الصحيحة (١٥٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٠). وأخرج البخاري نحوه (٤٩٦٥).

ج : الجمع بينهما أن المراد بالكوثر النهر الذي في الجنة كما في الحديث. وأول من يرد على الحوض هو النبي ﷺ والدليل قوله عليه السلام (أنا فرطكم على الحوض)[1] والفرط الذي يسبق على الحوض.

(١) البخاري (٦٥٨٢) الرقاق/ باب في الحوض، ومسلم (٢٣٠٤).

مبحث الشفاعة

س- قال الطحاوي في عقيدته: (والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار) اذكر ما هي الشفاعة لغة وشرعا؟ مع بيان أنواعها وإيراد دليل لكل نوع منها.

ج : الشفاعة لغة طلب الوسيلة وشرعا طلب الخير للغير.

وأنواعها ثمانية وهي:

أولاً: الشفاعة العظمى الخاصة بالنبي ﷺ في أهل الموقف لفصل القضاء ودليلها ما روي من حديث أبي هريرة (إن الناس يذهبون إلى آدم وإلى أولي العزم من الرسل وكل واحد منهم يقول اذهبوا إلى فلان حتى يصلوا إلى محمد ﷺ فيقول أنا لها فيسجد تحت العرش ويحمدالله عز وجل ثم يقال له ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فيشفع للناس)[1].

ثانيا: شفاعته ﷺ بالإذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة كما قال ﷺ (أنا أول شفيع في الجنة)[2].

ثالثا: شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب[3].

رابعاً: شفاعته ﷺ في أقوام قد أمر بهم إلى النار وهؤلاء هم عصاة الموحدين وهذا غير خاص بالنبي ﷺ فيشترك معه فيها غيره من الرسل.

---

(١) البخاري (٤٧١٢) / التفسير/ باب ذرية من حملنا مع نوح، ومسلم (٤٧٢) وأحمد (٢/ ٤٣٥).

(٢) رواه مسلم (١٩٦)، وأحمد (٣/ ١٤٠).

(٣) البخاري (٣٨٨٣ - ٦٢٠٨)، مسلم (٢٠٩).

خامسا: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم ويشترك في هذه شفاعة النبي عليه السلام وغيره من الأنبياء والصالحين والوالدين بأولادهم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾[1].

سادسا: شفاعته ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم إلى أن يدخلوا الجنة وهم أهل الأعراف ومن شابههم.

سابعا: شفاعته ﷺ في أناس أن يدخلوا الجنة بغير حساب دليلة (حديث عكاشة بن محصن حيث دعا الرسول له أن يجعله الله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب)[2].

ثامنا: شفاعته ﷺ في أهل الكبائر ممن دخلوا النار أن يخرج منها وخالف في هذه المعتزلة جهلا منهم في صحة الأحاديث وعنادا ممن علم ذلك واتبعهم في ذلك الخوارج وهذه يشاركه فيها غيره من الملائكة والنبيين والمؤمنين أيضا.

س- بيِّن ما هي الشفاعة التي تتكرر من النبي ﷺ، ثم وضِّح أيا من أنواع الشفاعة يختص بالنبي ﷺ وأيها يشترك معه فيه غيره؟

ج : الذي تكرر من الشفاعة شفاعته ﷺ في أهل الكبائر فيمن دخل النار أن يخرج منها وهي تتكرر أربع مرات الأولى بقوله تعالى: (**أخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان**)[3].

---

(١) سورة الطور /الآية (٢١).

(٢) البخاري (٥٧٠٥) /الطب/ باب من اكتوى. (وأطرافه: ٥٧٥٢ - ٦٥٤١) ومسلم (٢١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٠) التوحيد /باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ومسلم (١٩٣).

الثانية: بقوله (**انطلق فأخرج من كان في قلبه ذرة وخردلة من إيمان**)[1].

الثالثة: لقوله (**انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان**)[2].

الرابعة: بقوله (**انطلق فأخرج من قال لا إله إلا الله**)[3]. والذي يختص به ﷺ دون غيره أربع.

أولا: الشفاعة العظمى وهي شفاعته في أهل الموقف.

ثانياً: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

ثالثا: شفاعته في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب.

رابعا: شفاعته في أناس أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

س- ما هي أقوال الناس في الشفاعة؟ واذكر شروط ثبوتها مع الدليل لكل شرط؟

ج: **الأول**: المشركون والنصارى والمبتدعة جعلوا شفاعة ما يعظمونه من الأصنام والأوثان عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا بحيث أن المشفوع عنده شفع للشفيع إما رغبة في نيل الجزاء منه أو رهبة منه ولا يشترطون في الشفاعة عند الله أن يأذن ولا أن يرضى.

الثاني: المعتزلة والخوارج أنكروا بعض أنواع الشفاعة وأقروا ببعضها فأنكروا شفاعته في خروج العصاة من النار فمن استحقها - أي الشفاعة - لا يدخلها - أي النار - وقالوا بذلك ليؤيدوا قولهم في تخليد صاحب الكبائر في النار. ودليلهم أن عموم الآيات تنفي الشفاعة كقوله تعالى: ﴿فَمَا

(١، ٢، ٣) أخرجه البخاري (٧٥١٠) التوحيد / باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) ومسلم (١٩٣).

﴿نَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[1] ويرد عليهم بأن الآية تنفي الشفاعة عن الكفار والمشركين وليس في أصل الشفاعة ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[2].

الثالث: أهل السنة والجماعة يثبتون الأنواع الثابتة بالنصوص ويشترطون لها شرطين:

١- الإذن للشافع أن يشفع ودليله قوله ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[3].

٢- الرضاء عن الشخص المشفوع له ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[4].

س- كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[5] وبين ما ورد من شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب؟

ج : الجمع من وجهين:

الوجه الأول: المراد بقوله تعالى ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[6] أي الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة وأبو طالب لم يخرج من النار وإنما خفف عنه العذاب فخرجه من غمرات الجحيم إلى ضحضاح يغلي منه دماغه فأثبت الخروج فيكون الجمع بالعموم والخصوص أولى.

الوجه الثاني: قيل - وهو الراجح - إن الآية عامة والحديث خاص

---

(١) سورة المدثر/ الآية (٤٨).

(٢)، (٣) سورة البقرة/ الآية (٢٥٥).

(٤) سورة الأنبياء/ الآية (٢٨).

(٥)، (٦) سورة المدثر/ الآية (٤٨).

فيحمل العام على الخاص فيقال خص شخصا واحدا من هؤلاء الكفار أما بقية الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين.

س- لماذا أورد كثير من الأئمة حديث الشفاعة ولم يذكروا الشفاعة العظمى؟

جـ- السبب في إيراد كثير من الأئمة حديث الشفاعة وعدم ذكر الشفاعة العظمى أن هذه الشفاعة محل اتفاق وكذلك هم لا يذكرون إلا ما كان فيه شاهد لهم كي يردوا فيه على المعتزلة والخوارج للذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها.

س- ظاهر قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾[1] أن من يدخل النار فإنه لا تنفعه الشفاعة فكيف تجمع بينها وبين ما ثبت من الشفاعة لأهل النار؟

جـ- الجمع يكون بأن المراد في الآية أن من يدخل النار وهو مخلد فيها وهذا بالاتفاق لا تنفعه الشفاعة أما غير المخلد فله الشفاعة كما تقدم.

س- وعد الشرع بالشفاعة جزاء بعض الأعمال، اذكر شيئاً من هذه الأعمال.

جـ- الأعمال هي:

١- الإخلاص بالتوحيد لله لحديث (من أحق الناس بشفاعتك قال من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)[2].

٢- الدعاء بما ورد عند الأذان لما جاء في الحديث أن من داوم عليه حلت له شفاعته ﷺ[3].

---

(١) سورة آل عمران/ الآية (١٩٢).

(٢) البخاري (٩٩) العلم/ باب الحرص على الحديث. وطرفه في (٦٥٧٠).

(٣) البخاري (٦١٤) الأذان/ باب الدعاء عند النداء، ومسلم (٣٨٤).

٣- الصبر على شدة المدينة وجدبها[١].

٤- الموت في أحد الحرمين لحديث (من مات في أحدالحرمين حلت له شفاعتي)[٢] وهذا ليس على الإطلاق وإنما ذلك إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع.

٥- الصلاة على النبي ﷺ عشرا في الصباح وعشرا في المساء لحديث (من صلى عليّ حين يصبح وصلى عليّ حين يمسي عشرا كنت له شفيعا يوم القيامة)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٧٤ - ١٣٧٧) والترمذي (٣٩١٨) وغيرهما.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦١٠٤) والبيهقي في الشعب (٤١٨٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣١٩) رواه الطبراني في الكبير وفيه عبدالغفور بن سعيد وهو متروك. وقال: الشوكاني في الفوائد المجموعة (٣٢٢) رواه ابن شاهين عن سلمان الفارسي مرفوعاً وفي إسناده عبدالغفور بن سعيد الواسطي وضاع.. إلى آخر كلامه فليراجع.

قلت: قد ثبت الحديث في فضل الموت بالمدينة: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني اشفع لمن يموت بها) أخرجه الترمذي (٣٩١٧/ وابن ماجة (٣١١٢) وغيرهما وهو صحيح.

(٣) حسن. أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء، وانظر صحيح الجامع (٦٣٥٧) وصحيح الترغيب (٦٥٦). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٢٠) رواه الطبراني باسنادين وإسناد أحدهما جيد ورجاله وثقوا.

مبحث الاستشفاع

س- هل يجوز التوسل بالنبي ﷺ؟

جـ- التوسل أمر مجمل يحتمل ثلاثة أمور:

الأول: التوسل بمحبته وطاعته والاقتداء به والإيمان به وهذا أمر جائز وهذا من أحسن ما يكون من الدعاء والتوسل والاستشفاع.

الثاني: التوسل بدعائه فهذا جائز إذا كان بحياته ﷺ وحضوره يوم القيامة أما بعد وفاته في الدنيا فلا يجوز.

الثالث: التوسل بذاته والإقسام به على الله وهذا لا يجوز كأن تقول أسألك بحق نبيك.

س- هل يجوز أن يقول الإنسان في دعائه (اللهم إني أسألك بحق نبيك)؟

جـ- هذا غير جائز لثلاثة محاذير:

أ- إن هذا إقسام وحلف بغير الله لأن الباء للقسم والقسم بغير الله حرام لقول الرسول ﷺ (من حلف بغير الله فقد أشرك)[1].

ب- أنه جعل ما ليس سببا شرعيا ولا عقليا ولا عاديا سببا لإجابة دعائه.

جـ- إن ذلك لم يرد عن الرسول ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن أحد من سلف الأمة وإنما ذلك من التعدي بالدعاء، والله يقول ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾[2].

---

(١) إسناده صحيح. رواه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وأحمد (٢/ ٣٤ و٦٩ و٨٦ و٨٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية (٥٥).

س- ما حكم قول الداعي (اللهم إني أسألك بحق فلان)؟

جـ- لا يجوز لما تقدم من المحاذير من قوله (اللهم إني أسألك بحق نبيك) وزيادة بمحذور رابع وهو أنه ليس لأحد حق على الله حتى يسأله بحق فلان إلا مما أحقه الله على نفسه كما قال تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1]. وقوله عليه السلام لمعاذ (أتدري ما حق الله على العباد قال الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه ألا يعذبهم)[2].

س- هل هناك فرق بين قول القائل (اللهم أني أسألك بحق فلان) وبين ما جاء في الحديث (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك)[3]؟ وكيف يمكن الجمع بين هذا وهذا؟

جـ- يمكن أن نتخلص من هذا الإشكال بوجهين:

الأول: أن يقال هذا الحديث ضعيف لأنه من رواية عطية العوفي فلا حاجة لنا إلى الجمع بين هذا وهذا.

الثاني: أنه إذا فرض صحة هذا الحديث فإن قول السائل اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك كأنه يرى أن يقول أنك وعدت السائلين بالإجابة والمثوبة وأنا من جملة السائلين فأجب دعائي بخلاف قول بحق فلان فإنه وإن كان له حق على الله بوعده الصادق فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة ودعاء هذا السائل كأنه يقول لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة وإنما ذلك من الاعتداء في

---

(١) سورة الروم: الآية (٤٧).

(٢) البخاري (٢٨٥٦) الجهاد/ باب اسم الفرس والحمار. ومسلم (٣٠).

(٣) ضعيف. اخرجه ابن ماجة (٧٧٨) وأحمد (٣/ ٢١) وانظر الضعيفة (٢٤).

الدعاء والله يقول ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾[1] بل إن مثل ذلك لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة والتابعين والدعاء من أفضل العبادات.

س- قول عمر رضي الله عنه (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا بنبينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا)[2] لماذا عدل عمر عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس؟

جـ- أن يقال إن عمر وغيره من الصحابة كانوا يتوسلون بدعاء النبي ﷺ لا بذاته ولا بإقسام على الله بمخلوق لأنه لو كان هذا هو المقصود لكان ممكنا حتى بعد موته ﷺ ولما عدلوا إلى العباس لأن ذات الرسول أفضل من ذات العباس.

س- أجاز البعض التوسل بالنبي ﷺ ما أدلتهم على ذلك؟ وما موقفك منها؟

جـ- أدلة من توسل بالنبي ﷺ هي:

١- فعل عمر المتقدم وتقدمت الإجابة عليه.

٢- حديث اللهم إنا نسألك بحق السائلين عليك[3].

٣- وحديث الأعمى[4] الذي طلب من الرسول ﷺ أن يدعو له بأن يرد عليه بصره فقال الرسول ﷺ إن شئت دعوت الله لك فقال بل ادعه فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ويقول اللهم إني أسألك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله إنِّي أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه أن يقضيها اللهم فشفعه فيَّ. وفي

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٥٥).

(٢) البخاري (١٠١٠) الاستسقاء/ باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء اذا قحطوا.

(٣) سبق تخريجه قريباً.

(٤) صحيح. رواه الترمذي (٣٥٧٨) وابن ماجة (١٣٨٥) وغيرهما.

رواية شفعني فيه. وأجيب عن هذا التوسل هنا إنما كان بدعائه لدليل (إن شئت صبرت وإن شئت دعوت الله لك وكذلك قوله وفشفعه في) هذا أدل على أنه بدعائه لا بذاته.

س- هل هناك فرق بين السؤال بالشيء وبين الإقسام به؟

جـ- هذا أمر مجمل يحتمل أمرين:

الأول: السؤال لكونه سببا في حصول المطلوب فهذا جائز ومن ذلك قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار فهؤلاء دعوا الله بصالح الأعمال وهي أعظم ما يتوسل به العبد.

الثاني: الإقسام بهذا الشيء فهذا ممنوع والفرق بين الإقسام بالشيء والسؤال بالشيء كما يلي:

أ- أن المقسم طالب مؤكد طلبه بالقسم ويقسم على من يبر قسمه.

ب- أما السؤال فهو خاضع لمن سأله.

س- اذكر ما هي أنواع التوسل؟ وما الحكمة من الشفاعة؟

جـ- أنواع التوسل:

أ- التوسل لحصول الثواب به.

ب- التوسل لإجابة الدعاء. والحكمة من الشفاعة إكرام الشفيع وفي الحديث (اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء)[1].

س- ما هي أبرز الفروق بين الشفاعة عند الله والشفاعة عند البشر؟

جـ- الفرق هو أن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفعته في

---

(١) البخاري (١٤٣١) الزكاة/ باب (التحريض على الصدقة والشفاعة فيها). ومسلم (٢٦٢٧).

الطلب بمعنى أنه صار مشفعا فيه بعد أن كان وترا وهو أيضا شافع للمشفوع إليه فهو بشفاعته صار شافعاً للطالب. والمطلوب منه بخلاف الله عز وجل فإنه وتر لا يشفعه أحد ولا يشفع عنده إلا بإذنه بالأمر كله إليه قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾[1] وقوله ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[2] والشفاعة عند البشر يريدون إذن الشفيع وقد يجيبه المشفوع عنده وإن لم يرض على المشفوع له، بخلاف المولى سبحانه وتعالى حينما يقبل دعاء الشفيع فليس هذا هو المؤثر فيه كما يؤثر المخلوق وإنما فعل ذلك بإرادته ومشيئته فإنه هو الذي جعل هذا يدعو ويشفع وهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه عليه.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٥٤).

(٢) سورة الأعراف: (٥٤).

مبحث الميثاق

قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: (والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق).

س- وضح المقصود بالميثاق لغة وشرعا؟ مع بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾؟[1].

ج: الميثاق لغة: مطلق العهد، وشرعا العهد الذي أخذه الله على ذرية بني آدم.

شرح الآية:

أخبر الله سبحانه بهذه الآية أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم بأن الله هو ربهم وخالقهم ومليكهم وأنه لا إله يستحق العبادة سواه جل وعلا.

س- بم عرف العلماء الميثاق المذكور في الآية؟ اذكر الأقوال في ذلك مع ترجيح ما تختاره؟

ج: للعلماء في ذلك قولان:

القول الأول: إن هذا الميثاق أخذه الله على بني آدم في عالم الذر حيث إن الله استخرج ذرية آدم من ظهره كالذر وأكد عليهم بلسان المقال لا بلسان الحال واستندوا لقولهم:

أ- بحديث (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فاخرج

(١) سورة الأعراف: الآية (١٧٢).

من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه ثم كلمهم قائلا ألست بربكم قالوا بلى شهدنا إلى قوله (المبطلون)[(١)].

ب- وبحديث عمر وفيه أن الرسول ﷺ سئل عن هذه الآية فقال (إن الله خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء إلى الجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون)[(٢)].

جـ: وبحديث (قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي)[(٣)].

القول الثاني: إن الله استخرج ذرية بني آدم بعضهم من بعض والاشهاد هو ما فطرهم عليه من التوحيد بأن نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته فشهدت بها عقولهم وبصائرهم لأن كل بالغ يعلم أن له ربا واحداً جل شأنه وقام ذلك مقام الإشهاد بلسان الحال لا بلسان المقال وهذا هو الراجح لما يأتي:

١- حديث (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه)[(٤)] الحديث.

٢- حديث (خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين)[(٥)] ومما يضعف القول الأول:

---

(١) حسن، أخرجه أحمد (١/ ٢٧٢) والحاكم (٢/ ٥٤٤) وصححه ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٨٨ - ١٨٩) وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وانظر الصحيحة (١٦٢٣).

(٢) صحيح لغيره، أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٦٨٥) / القدر/ باب (النهي عن القول في القدر)، وأحمد (١/ ٤٤) وأبو داود (٤٧٠٣) والترمذي (٣٠٧٥) وغيرهم، وانظر المشكاة (٩٥).

(٣) البخاري (٦٥٥٧) الرقاق / باب (صفة الجنة والنار) ومسلم (٢٨٠٥).

(٤) البخاري (١٣٥٨) الجنائز/ باب (إذا أسلم الصبي. .) ومسلم (٢٦٥٨).

(٥) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) وأحمد (٤/ ١٦٢).

أ- كون الناس يتكلمون حينئذ وأقروا بالإيمان وإنه بهذا تقوم عليهم الحجة يوم القيامة وذلك لم يتم.

ب- كون الآية دلت على ذلك وهي لم تدل عليه لأمور يأتي ذكرها.

س- هناك عشرة أوجه ترد بها على من حمل الآية على أخذ العهد في عالم الذر، اذكر هذه الأوجه؟

ج: ١ - أنه فعل من بني آدم ولم يقل من آدم.

٢- أنه قال من ظهورهم ولم يقل من ظهره.

٣- أنه قال ذرياتهم ولم يقل ذريته.

٤- أنه قال وأشهدهم على أنفسهم ولابد أن يكون الشاهد ذاكراً لما شهد به وهو إنما يذكر شهادته بعد خروجه إلى هذه الدار ولا يذكر شهادته قبله.

٥- إن الله تعالى أخبر عن حكمته لهذا الإشهاد وهي إقامة الحجة عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة (**إنا كنا عن هذا غافلين**)[1] والحجة إنما قامت عليهم بالرسل والفطرة قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[2].

٦- تذكيرهم بذلك لئلا يقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[3].

٧- قال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾[4] فذكر حكمتين للإشهاد:

(١) سورة الأعراف: الآية (١٧٢).

(٢) سورة النساء: الآية (١٦٥).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٧٢).

(٤) سورة الأعراف: الآية (١٧٣).

١- لأجل عدم الغفلة.

٢- أو ادعاء التقليد ولايترتبان إلا على من قامت عليه الحجة بالرسل والفطرة.

٨- قوله **(أفتهلكنا بما فعل المبطلون)** أي توعده بجحودهم وشركهم لما قالوا ذلك.

٩- إنه سبحانه أشهد كل واحد أنه ربه ومليكه وهذه هي الحكمة التي أشهدهم بمضمونها وذكرتهم بها الرسل قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

١٠- إنه جعل هذه الآية وهي الدلالة الواضحة المستلزمة لمدلولها وكل آيات الله كذلك قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾[2] وإنما ذلك بالفطر التي فطر الناس عليها.

س- وردت آثار تدل على أن الله استخرج ذرية آدم من ظهره كالذر وأخذ عليهم العهد وأنطقهم بذلك، فهل تدل هذه الآثار على أن الأرواح قبل الأجساد أم لا؟ اشرح ذلك؟

ج: الموقف أن يقال إن هذه الآثار لاتدل على سبق أرواح الأجسام سبقا مستمرا ثابتا وإنما تدل على أن الله صور الناس قدر خلقها وأجلها وعملها واستخرج هذه الصور عن مادتها ثم أعادها إليها وقدر خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له فالله يخلق منها جملة بعد جملة على الوجه الذي سيعيد به التقدير أو لا يحيى الخلق الخارج مطابقاً للتقدير السابق فهذه الآثار إنما تدل على التقدير السابق وبعضها يدل

---

(١) سورة إبراهيم: الآية (١٠).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٧٤).

على أنه سبحانه استخرج أمثالهم وصورهم وميز أهل السعادة من أهل الشقاوة أما الاستشهاد عليهم هناك فلا تدل عليه ولا يرد إلا في حديثين موقوفين[١] على ابن عباس وعمر رضي الله عنهما.

س- **ما الحكمة من الإشهاد في قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[٢]** اشرح ذلك مع بيان القائل وتوضيح الضمير في قوله شهدنا؟

جـ : الحكمة من الإشهاد في قوله **(بلى شهدنا)** إقامة الحجة عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة **(إنا كنا عن هذا غافلين)** وكذلك لئلا يدعوا التقليد قال تعالى **﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ﴾**[٣] والحجة إنما كانت بإرسال الرسل والفطرة التي فطروا عليها. أما القائل فقد:

١- قيل هو من قول بني آدم ويكون معناه لست بربكم قالوا بلى شهدنا بأنَّك ربنا فالضمير يرجع إلى بني آدم هذا قول كعب وابن عباس.

٢- وقيل أشهد بعضهم بعضا وهو لابن عباس.

٣- وقيل قوله شهدنا من قول الملائكة فشهدنا عليكم باقراركم بأن تقولوا يوم القيامة **(إنا كنا عن هذا غافلين)** والوقف على قوله **﴿بَلَىٰ﴾**[٤] وهذا قول الضحاك والسدى.

---

(١) راجع تفسير ابن كثير: سورة الأعراف: الآية (١٧٢).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٧٢).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٧٣).

(٤) سورة الأعراف: الآية (١٧٢).

٤- وقيل هذا هو من قول الله تعالى يخبر عن نفسه وعن ملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم والراجح الأول لأن ظاهر الآية يشهد له وبقية الأقوال احتمالات لا دليل عليها.

س- ما الفرق بين دين التربية والعادة وبين دين العلم والعقل؟ وأيهما يجوز فيه تقليد الآباء؟

ج: دين التربية والعادة هو ما يأخذه الصبي عن أبويه لأجل مصلحة الدنيا فإن الطفل لابد له من كافل وأحق الناس به أبواه إما في دين العلم والعقل فهو ماجاءت به الرسل فإن كان أبواه على حق تبعهم كيوسف حيث قال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾[١] وإن كان الآباء مخالفين للرسل كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ﴾[٢] والذي يجوز فيه تقاليد الآباء هو دين العلم والعقل.

س- وضح المقصود بقول المؤلف (مسلمة الدار ومسلمة الاختيار) مع بيان الفرق بين النوعين؟

ج: المراد بمسلمة الدار من يتبع آباءه سواء كانوا على حق أو على ضلال قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[٣] وأما مسلمة الاختيار فهم من يتبع ما جاء به الرسل قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ﴾[٤].

---

(١) سورة يوسف: الآية (٣٨).
(٢) سورة العنكبوت: الآية (٨).
(٣) سورة البقرة: الآية (١٧٠).
(٤) سورة لقمان: الآية (١٥).

س- ما هي الأحكام التي تجري على الصبي في الدنيا والآخرة؟

ج : يعامل في الدنيا معاملة والديه بأحكام الدنيا الظاهرة، وفي الآخرة الصحيح إنه لايعاقب على هذا الدين حتى يبلغ ويعقل.

س- بماذا تجيب على من احتج على تقليد الآباء في الشرك بالتقليد لهم في العادات من لبس ومطعم؟

ج : يرد عليهم بأن يقال لهم إنكم كنتم مقرين بالصانع معترفين به فأنتم وذلك شهدتم على أنفسكم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[1] فجعل مجرد الإقرار شهادة. وليس أن يقول الإنسان شهدت على نفسي بكذا فلما عدلتم عن هذه المعرفة وهذا الإقرار الذي شهدتم به على أنفسكم إلى الشرك بل عدلتم عن المعلوم المتيقن إلى ما لا يعلم له حقيقة تقليدا لما لا حجة معه بخلاف اتباعهم في العادات الدنيوية فإنه ليس عندكم ما يعلم به فسادها وفيه مصلحة لكم. أما الشرك فإن عندكم من المعرفة والإقرار ما يدل على فساده وعدلكم فيه عن الصواب.

س- كيف يمكن أن نجعل من مراحل خلق الإنسان من نطفة فما بعدها دليلاً على توحيد الربوبية؟

ج : وجه ذلك هو أن الإنسان كان نطفة خارجة من بين الصلب والترائب فصارت إلى قرار مكين في ظلمات ثلاث (هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة) وانقطع عنها تدبير الأبوين وسائر الخلائق ولو كانت موضوعة على طبق أو لوح واجتمع عليها حكماء العالم على أن يصوروا منها شيئاً لم يقدروا على ذلك وكذلك يستحيل أن تعمل الطبائع فيها لأنها موات عاجزة لا توصف بحياة ولا يأتي من

---

(١) سورة النساء: الآية (١٣٥).

الموات فعل ولا تدبير فإذا تفكر الإنسان بذلك وتفكر بانتقال النطفة من حال إلى حال علم بذلك توحيد الربوبية وإن الله صانع ذلك كله.

س- كيف يمكن الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية؟

ج : كيفية ذلك أن الإنسان إذا علم أن له ربا أوجده من العدم كيف يليق به أن يعبد غيره فانتقل بذلك من توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية وكلما تدبر وتفكر زاد توحيده يقينا.

مبحث القضاء والقدر

قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن حرامه. . . .).

س- عرّف القدر لغة وشرعاً، مع بيان منزلته بين أركان الإيمان، ثم بين حكم منكر القدر؟

جـ : القدر في اللغة مصدر قدرت الشيء إذا أخذت مقداره وشرعاً متعلق بعلم الله وإرادته أزلا بالكائنات قبل وجودها.

ومنزلة الإيمان بالقدر أصل من أصول الدين وهو الأصل السادس وأصل القدر سر الله في خلقه والدليل حديث جبريل:

(الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره)[١].

وحكم من أنكره: أن من أنكر القدر فقد جحد أصلاً من أصول الشريعة فيدخل في قوله ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[٢] ومن أنكر العلم فقد كفر وقال ابن القيم (من لم يؤمن بالقدر فقد انسلخ من التوحيد)[٣].

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة (٥٠) الإيمان/ باب سؤال جبريل. ومسلم (٩ و١٠) وتفرد به مسلم من حديث عمر بن الخطاب (٨) الإيمان.

(٢) سورة البقرة: الآية (٨٥).

(٣) لقد أفرد ابن القيم رحمه الله تعالى كتابا في القدر باسم (شفاء العليل من مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) وأنصح بقراءته.

س- اذكر متى ظهر الكلام في القدر ومن الذي أظهره؟ ومن أدرك ذلك من الصحابة مع بيان موقفه من هذه المقالة.

ج : حدث القول بالقدر بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين بعد إمارة معاوية بن أبي سفيان في الفتنة التي كانت بين عبدالله بن الزبير وبين بني أمية وأول من أظهر هذه المقالة معبد الجهني[1] في البصرة وأدركها من الصحابة عبدالله بن عمر وابن عباس وجابر بن عبد الله وواثلة بن الأسقع وغيرهم من الصحابة.

وقولهم في القدرية أنهم أنكروا على القدرية وردوا مقالتهم حتى قال عبد الله بن عمر لمن سأله عن القدرية إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء وأنهم مني براء وقد حكم أئمة الإسلام كمالك والشافعي وأحمد أن من أنكر علم الله المتقدم بالحوادث قبل وجودها فهو كافر حتى قال الشافعي رضي الله عنه ناظروا القدرية بالعلم فإن جحدوه كفروا وإن أقروا به خصموا.

س- اذكركم عدد مراتب القدر مع بيانها؟

ج : مراتب القدر أربع هي:

١- علمه سبحانه وتعالى بكل شيء.

٢- خلقه وإيجاده.

٣- كتابته مقادير كل شيء.

٤- الإرادة والمشيئة.

س- قال الطحاوي: «وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزداد في ذلك العدد

---

(١) هو معبد بن عبدالله بن عويمر وقيل ابن عبدالله ابن عكيم الجهني نزيل البصرة وهو أول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة وكان من علماء الوقت على بدعته. (سير اعلام النبلاء ٤/ ١٨٥) وله تراجم عديدة، منها ترجمته في تهذيب الكمال (٢٨/ ٢٤٤) ط الرسالة، وقال الحافظ في التقريب (ص ٩٥٧) ط دار العاصمة: صدوق مبتدع وهو أول من أظهر القدر بالبصرة.

ولاينقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه..»، اذكر الدليل على أن الله علم من يدخل الجنة ومن يدخل النار علما أزليا وعلم أفعالهم كذلك؟

ج : إن الله تبارك وتعالى موصوف بأنه بكل شيء عليم أزلا وأبداً ولم يتقدم عليه بالأشياء جهالة والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾[1] وقوله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[2] ويدل من ذلك ماورد بالحديث أن الرسول ﷺ قال (ما من نفس منفوسة إلا قد كتب الله مكانتها في الجنة أو النار وإلا قد كتب شقية أو سعيدة)[3].

س- من الذي أنكر المرتبة الأولى من مراتب القدر؟ وفي عهد مَن من الصحابة؟

ج : نعم أنكر هذه المرتبة القدرية المتقدمون الذين وُجدوا في عصر ابن عباس وهم يقولون إن هذا الأمر نفيه وإن الله لا يعلم بالأشياء إلا بعد وجودها وقد أجمع العلماء على تكفير هذا النوع من القدرية وقد انقرضوا.

قال الطحاوي: «وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله».

س- بم ترد على من يقول إن الله قدر السعادة والشقاوة على الإنسان ولذا فلا حاجة إلى العمل؟

ج : نقول له لاينبغي أن نحتج بالقدر لأنه ليس لديك علم متيقن أنك من أصحاب الجنة أو النار ولو كان عندك علم لما أمرناك ولا نهيناك

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٧٥) والتوبة (١١٥) والمجادلة (٧).

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٤٠) والفتح (٤).

(٣) البخاري (١٣٦٢) الجنائز/ باب موعظة المحدث عند القبر، ومسلم (٢٦٤٧) كتاب القدر.

ولكن اعمل وعسى الله أن يوفقك أن تكون من أصحاب الجنة فإن أصحاب الرسول ﷺ قالوا له يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فعاب عليهم وقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له.

س- ما معنى قول الطحاوي (القدر سر الله في خلقه)؟

ج: معنى ذلك أن الله قد أخفى علمه عن خلقه فلا يطلع عليه أحد لاملك مقرب ولا نبي مرسل بل هو سبحانه أوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأمات وأحيا وأضل وهدى قال علي رضي الله عنه(القدر سر الله فلا نكشفه).

س- وضِّح مذاهب الناس في القدر مع ذكر دليل لكل قول، وترجيح ما تراه صوابا.

ج: للناس في القدر ثلاثة أقوال:

القول الأول:

القدرية والمعتزلة وهم الذين قالوا إن الله لم يخلق أفعال العباد بل هم خالقو أفعال أنفسهم، وأنه لا يعلم بها إلا بعد وقوعها فالله شاء الإيمان من الكافرين ولكن الكافر شاء الكفر وحجتهم قالوا إن الله لم يقدر المعاصي ولم يرضاها قضاء أو قدرا لأنا لو قلنا أنه شاءها وعذب عليها كان في ذلك نسبة الظلم إلى الله والله منزه عن ذلك.

ويرد عليهم بما يأتي:

أ- إن هذا القول مخالف للأدلة المثبتة لمشيئة الله سبحانه ومنها قوله ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾[1]

---

(١) سورة السجدة: الآية «١٣».

وقوله ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾[1] وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾[2].

ب- أنكم فررتم من شيء ووقعتم في أقبح منه فإنه يلزم من قولكم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله وهذا من أقبح الاعتقاد.

ج- أن الله قدر الخير والشر وحذر من الشر وحث على الخير وجعل للبشر عقولا يميزون بها الخير من الشر قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾[3] وأرسل الرسل وقامت عليهم الحجة فلا يكون بعد ذلك ظالما لهم.

القول الثاني:

الجبرية وهم الذين غلوا في إثبات القدر والإرادة لله وقالوا كل ما يفعله الإنسان مجبور عليه وليس في نفسه صرفه بل كالريشة في الهواء وإنما تنسب إليه الأفعال مجازا كقولهم سار النهر. وقالوا إن كل ما يفعل العبد فهو طاعة محضة سواء كان كفرا أو إيمانا طاعة أو معصية وحجتهم كتابة الله كل ما هو كائن في اللوح المحفوظ فعلى ذلك فهو مجبور عليه ولا يمكن أن يخرج عنه وهذا مذهب ظاهر الفساد لأمور:

أ- أن هناك فرقاً بين حركة البطش وحركة الارتعاش فإن الارتعاش بدون اختيار وحركة البطش باختيار.

---

(١) سورة الإنسان: الآية «٣٠».

(٢) سورة الأنعام: الآية «١٢٥».

(٣) سورة الشمس: الآيتان «٧ و٨».

ب- أن العبد لو لم يكن له فعل لما صح أن تنسب الأفعال إليه ولما صح إن نسبت إليه مجازا أنه يجازى بالثواب عند الطاعة والعقاب عند المعصية.

وقد وردت نصوص كثيرة تدل على نسبة أفعال العبد إليه قال تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾[1] وقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾[2] وقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾[3].

أنه يلزم على قولكم تعطيل الشرائع والكتب والرسل لأن العبد لا صرفة له حتى يهتدي بما جاء به.

القول الثالث:

أهل السنة والجماعة وهم يقولون إن الله له إرادة ومشيئة والعبد له إرادة ومشيئة. وإرادة العبد متوقفة على إرادة الله ومشيئته فالله سبحانه وتعالى أراد الخير والشر بمشيئته الكونية ولم يرض من العبد الكفر والمعاصي شرعا ودينا قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾[4] وقوله: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾[5] وقال الرسول ﷺ: (إن الله كره القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)[6] وهذا القول هو المختار لتوسطه بين القولين.

س- لماذا قال ابن عباس حين أخبر عن مذهب القدرية(هذا أول شرك في الإسلام) ولماذا يعد التكذيب بالقدر شركا؟

---

(١) سورة الأحقاف: الآية (١٤) والواقعة (٢٤).
(٢) سورة البقرة: الآية (١٨٥).
(٣) سورة الكهف: الآية (٢٩).
(٤) سورة القمر: الآية (٤٩).
(٥) سورة الزمر: الآية (٧).
(٦) أخرجه البخاري (٢٤٠٨) الاستقراض/ باب (ما ينهي عن إضاعة المال). ومسلم (١٧١٥).

ج : معنى ذلك أن الذي قاله القدرية شرك حيث إنهم أشركوا مع الله غيره وهو المخلوق لأنهم زعموا أن المخلوق هو الذي يخلق أفعال نفسه فإن من وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده ووجه كون التكذيب بالقدر شركا ما يلزم عنه من كون العبد شريكا لله في خلقه.

س- هل ترى فرقا بين قول ابن عباس في مقالة القدرية (هذا أول شرك في الإسلام)[1] وبين قوله(القدر نظام التوحيد)؟[2]

ج : لا فرق بينهما وذلك أن مراده أن إيمان المرء لا ينتظم ويوجد إلا بتوحيد الله بكل شيء ومن جملة توحيد الله إيمانه أن الله خالق الخلق وخالق أفعالهم ومن زعم أن الله لم يخلق أفعال العباد فقد اختل نظام التوحيد عنده وأشرك مع الله غيره.

س- ما السبب في ضلال كلٍ من الجبرية والقدرية؟ وكيف تجيب عليهم؟

ج : منشأ ضلالهما هو التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضاء والإرادة فقد سوى بينهما الجبرية والقدرية ثم اختلفوا فقالت القدرية أن الله لم يرد المعاصي ولم يرضها وليست مقدرة ولا مقتضية وهي خارجة عن مشيئة الله وخلقه.

وقالت الجبرية: الكون كله بإرادة الله وقدره أحبه ورضيه وكلا المذهبين خطأ لأن هناك فرقاً بين المشيئة والمحبة وقد دل على ذلك الكتاب والسنة فقال في المشيئة قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن

---

(١) إسناده ضعيف. رواه أحمد (١/ ٣٣٠) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة. ح(١١١٦) وراجع تحقيق الشيخ الألباني (حاشية شرح الطحاوية) ح/ ٢٤٤.

(٢) إسناده ضعيف مرفوعاً وموقوفاً. فالمرفوع رواه الطبراني في الأوسط (٣٥٩٧) وفيه هانئ بن المتوكل ضعيف، قاله الهيثمي (مجمع الزوائد ٧/ ١٩٧). وأما الموقوف: رواه ابن بطة في الإبانة (كتاب القدر) ح (١٦١٨ و١٦١٩ و١٦٢٤) ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ح(١١١٢ و١٢٢٤) وغيرهما وراجع تحقيق الشيخ الألباني (حاشيته على شرح الطحاوية) ح(٢٤٥).

يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾[2] وقال في المحبة والرضاء ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[3] وقوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[4] وقال الرسول ﷺ: (إن الله كره القيل والقال الحديث)[5] وقال عليه الصلاة والسلام (إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتي معاصيه)[6].

س- ما السبب الذي دعا القدرية إلى القول بأن العبد يخلق أفعال نفسه؟

ج: الحامل للقدرية هو تنزيه الله عن الظلم في زعمهم فإنهم قالوا لو كان الله خالقا لفعل العبد لما صح أن يعذب الكافر والعاصي لأن الله قد قدره عليهما فيكون تعذيبه على شيء قدره لهما وهو ظلم والله منزه عن الظلم فيبطل تقديره عليهما.

س- كيف يمكن الجمع بين الإقرار بأن الله تعالى قدر على العباد كل شيء وبين تكليفه لهم؟

ج: أ - الجمع بين ذلك أن يقال إن الله قدر على عباده ما قدر من خير أو شر من باب ربط الأسباب بالمسببات فإذا قدر على عبد أن يموت على الإسلام فلا بد من أن يهيىء له أسباب تجعله يبقى على ذلك حتى يموت وإذا أراد من عبده أن يموت على الكفر فلا بد أن يهيىء له من الأسباب ما تجعله يبقى على ذلك حتى يموت .

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٣٩).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥٣).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٠٥).

(٤) سورة الزمر: الآية (٧).

(٥) سبق تخريجه قريباً.

(٦) إسناده صحيح، رواه أحمد (١٠٨/٢) وابن حبان (٢٧٤٢) وغيرهما، راجع إرواء الغليل (٣/ ٩) ح(٥٦٤).

ب - ثم إن تكليفه وإنزال الكتب والشرائع لنزول الحجة لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل.

س- ماالفرق بين الاستعاذة برضا الله من سخطه وبمعافاته عن عقوبته وبين قول النبي ﷺ (وبك منك)[1] باعتبار شمول ذلك اللفظ لما قبله؟

ج: الفرق واضح وبيِّن **فالأولى** هي الصفة التي يتصف بها ربنا **والثانية** آثار الرضاء المعافاة وآثار السخط العقوبة فالرسول استعاذ بفعل المعافاة من فعل العقوبة. ووجه شمول قول الرسول ﷺ (بك منك) لهما هو أن الرسول ﷺ قال (إن ما استعيذ به فهو حاصل بإرادتك ومشيئتك، وما أستعيذ منه فهو حاصل أيضا بقدرتك ومشيئتك فأنا عبدك على كل حال فإن شئت عافيتني وإن شئت عاقبتني فعياذي بك أن يحل بي شيء أكرهه منك.

س- كيف تجمع بين الإرادة الكونية القدرية وبين الكراهية والبغض للشيء؟

ج: الجمع هو أن يقال إن الشيء الذي قدره الله له جهتان:

الأولى: أن يكون مراداً لغيره كالمعاصي والفسوق وجميع قوى الشر التي قدرها الله وأرادها، فالله لم يردها لذاتها وإنما أرادها لأنها توصله إلى غايات وحكم لا يعلمها إلا الله فهذا سر إيجاد قوى الشر وتقديرها أولا.

الثانية: إنه يريد لنفسه فهذا يكون مطلوباً محبوباً لذاته مراداً فيه الخير فهو مراد إرادة الغاية.

س- ما هي الحِكَم التي بيَّن بها الشارع حكمته في خلق إبليس وغيره من

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٥) وأبو داود (١٤٢٧) والترمذي (٣٥٦٦)، والنسائي ح(١٦٩ و١٠٩٩) ط. دار المعرفة المرقمة، وابن ماجة (١١٧٩).

قوى الشر؟ ثم بين كيف ترد على من قال هل يكون وجود تلك الحكم بدون هذه الأسباب؟

ج : هي :

أولا: ظهور قدرته على خلقه المتضادات والمتقابلات فخلق ذات جبريل ذات الخير والبركة وخلق ذات إبليس ذات الشر وخلق الليل والنهار والموت والحياة والخير والشر وذلك من أكبر دليل على كمال قدرته وملكه وسلطانه، فخلو الكون من بعض هذه المتضادات تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبيره.

ثانيا: ظهور بعض أسمائه وصفاته القهرية مثل المنتقم والجبار والقهار فإن هذه الأسماء والصفات كمال ولا بد من وجود متعلقها ولو كان الإنس والجن على طبيعة الملائكة لم تظهر آثار هذه الأسماء.

ثالثا: ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحفظه وعهده ومغفرته وعتقه لمن شاء من عباده ولولا خلق ما يكره من الأسباب المغضبة إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد وقد أشار النبي ﷺ بقوله: (ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم)[١].

رابعا: ظهور آثار أسمائه الدالة على حكمته وخبرته مثل حكيم وخبير، فهو حكيم لا يضع الأشياء في غير موضعها، وخبير لا ينزلها إلا في منازلها اللائقة بها فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ممن لا يصلح لذلك فلو قدر تعطيل هذه الأسباب المكروهة لما فيها من الشر لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب، وهذا مثل المطر والسماء والرياح ونحوها التي فيها من المصالح للبشر أضعاف ما فيها من الفساد.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٨ و٢٧٤٩) عن أبي أيوب الأنصاري وأبي هريرة.

خامسا: تقرب عباده إليه بأنواع الطاعات والقربة فلو كان إبليس لم يخلق لكان الناس كلهم مطيعين ولما كان هناك عبادة اسمها الجهاد وما يترتب عليها من الموالات في الله والمعاداة فيه ولما كان هناك عبادة اسمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك.

والرد على ما قال هل يمكن وجود هذه الحكم بدون هذه الأسباب؟ هذا سؤال فاسد وباطل وهو فرض وجود الملزوم بدون لازم كفرض وجود الابن بدون أب والتوبة بدون تائب والحركة بدون متحرك.

س- هل يجب على الإنسان أن يرضى بقوى الشر أم لا؟

ج : في هذا تفصيل:

١- فمن حيث إنها واقعة بتقدير الله ومشيئته ورضاه فيجب التسليم والرضاء بما كتب الله وقدره.

٢- أما من جهة أنها صادرة من العبد وهي من فعله واختياره فعليه أن يكره ويسخط لفعله ويحاول التخلص منها حيث أن الخير إليه والمكروه إلى عباده.

س- كيف نوفق بين تقدير الله لقوى الشر وبين قوله ﷺ (والشر ليس إليك)؟[١] ثم بيِّن أسباب الخير الثلاثة ولماذا لم يسو الله بين عباده فيها؟

ج : الموقف إنه يقال أنه ليس إليك إمداده وإعداده. أما من ناحية الإيجاد فهو إليك لأن الله حينما خلق عباده منهم من أمده وأعده ومنهم من لم يعده ولم يمده وأسباب الخير ثلاثة:

١ - إيجاد.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧١) والنسائي (٢/ ١٣٠) الإفتتاح/ نوع آخر من الذكر والدعاء.

٢ - إعداد.

٣ - إمداد.

والإيجاد خير وإنما التفاوت بالإعداد، فقد يرى أن الخير يقتضي أن هذا الشخص يحصل له إمداد وإعداد، فإذا لم يحصل ذلك جاءه الشر وحصل له بسبب العدم الذي ليس هو إلى الفاعل وإنما إليه ضده. فإن قيل ولماذا لم يمده إذ أوجده؟ قلنا ما اقتضت الحكمة إمداده إنما اقتضت الإيجاد وترك الإمداد فإيجاده خير والشر من إمداده أما القول بأن الله لم يسوِّ بينهما في أسباب الخير فنقول إن الله خلق النفوس الشريرة فالشر لم يأتها من حيث أنها ذات فهي متحركة قابلة للخير والشر ولم يسو بين عباده لأن هذا يرجع لحكمة عامة وهي أن الله علم من هذا الخير والصلاح فأعده وأمده والآخر علم فيه الشر فلم يمده ويعده فإن الله سبحانه هدى من هدى لحكمته وأضل من أضل لحكمته فإن استعصى عليك هذا فدعه وراجع قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

س- هل يمكن أن يرضى الله لعبده شيئاً ثم لايعينه عليه؟ وضح ذلك؟

ج: الله يرضي لعبده الخير ولا يعينه عليه لأنه قد يكون واقع الطاعة من ذلك العبد يتضمن مفسدةً هي أكره إليه سبحانه وتعالى من محبته لتلك الطاعة مثال ذلك أن الله كره من المنافق الغزو مع الرسول ﷺ قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾(١) والغزو محبوب إليه سبحانه وإنما كرهه لما يترتب عليه من المفاسد التي هي أعظم كراهة عند الله من محبته لهذه الطاعة وقد أشارت الآية هذه إلى المفاسد بقوله

(١) سورة التوبة/ الآية (٤٦).

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾[1] فاقتضت حكمة الله ورحمته أن أقعدهم عن الجهاد.

س- يزعم البعض أن مشاهدة العبد تقدير الله للمعاصي تحول دون التوبة والمشاهدة، فكيف تجيب عليهم؟

ج: هذه الشبهة هي التي أوقعت كثيراً ممن عميت بصائرهم في الخطأ، وشهود تقدير الله على ماهو عليه وظنوا أن طاعة العبد إنما هي في مطابقة العبد فيما قدر الله له في الأزل. وقالوا إذا عصينا أمر الله فقد أطعنا إرادته قال بعضهم:

أصبحت منفعلا لما يختار مني ... ففعلي كله طاعات

ولكن الأمر ليس كذلك ولكن الطاعة في الحقيقة هي موافقة العبد لأمر الله الشرعي الديني، فإنه يلزم من قولهم أن لا فائدة من الرسل والشرائع والكتب ويلزم على ذلك أن يكون إبليس من أعظم المطيعين وكذلك قوم نوح وغيرهم لأن هؤلاء لم يكفروا إلا بقضاء الله وقدره.

س- كيف يتم الجمع بين رضا العبد بما قدر الله عليه، وبين بغضه للمعاصي، ووجوب بعده عنها؟

ج: الجواب أن يقال العبد ليس مطالباً أن يرضي بكل ماقدره الله عليه، فالمقضي منه ما يرضي ومنه مايسخط. وبيان ذلك أن القدر له وجهان:

١- قضاء الله وهو الفعل المتعلق بذاته وهذا يجب على العبد الرضاء عن خيره وشره فإنه كله عدل وخير.

٢- أما ما قضى الله وهو المنفصل عن ذاته ففيه تفصيل:

---

(١) سورة التوبة/ الآية (٤٧).

١- ما يرضي به وهو أن العبد إذا أصابته مصيبة ورضي بها لأن الله هو الذي قدرها عليه وأنه ما أصابه إلا ماكتبه عليه.

٢- ومنه ما هو من جهة العبد من حيث تعلقه به ووقوعه منه فله حالتان: مايرضي به كالبر والطاعة وما لايرضي به كالسرقة والزنا ونحوه بل عليه أن يسخطه وينفر منه ويحاول التخلص من هذه المعصية ومثال ذلك:

قتل النفس له وجهان:

١- من حيث أن الله قدره عليه وجعله نهاية أجله يرضي به.

٢- من حيث فعل القاتل وإقامته عليه باختياره وعصيانه ربه، بذلك نسخطه ولانرضى به.

قال الطحاوي: (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولانبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة الخذلان).

س- وضح ما معنى التعمق بالقدر؟ ولماذا كان ذريعة للخذلان؟

ج: التعمق في الشيء هو المبالغة فيه، أما التعلق بالقدر فهو المبالغة في طلب أسراره وحكمه والخوض ببحره المتلاطم.

وبيان كيف كان ذريعة للخذلان هو أن الإنسان متى تعمق بالقدر وبالغ فيه فلا شك أنه سيكون ذريعة للخذلان لأنه يجد أمامه عدة شبهات قد يكون لها جواب وقد لايكون لها جواب فينقله إلى الإلحاد والفسوق.

س- هات دليلاً من الكتاب والسنة على منع الخوض في القدر، ثم وضح مرجع الإشارة في قول الرسول ﷺ: (ذلك صريح الإيمان)[١] لمن سأله عما يتعاظم الكلام به من الوساوس الشيطانية؟

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٢) وأحمد (٢/ ٣٥٦).

ج : الدليل من الكتاب ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ﴾[١].

الدليل من السنة ما روى عن النبي ﷺ (لما سمع أصحابه يخوضون بالقدر احمر وجهه وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب قال لهم مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم)[٢] أو كما قال. أما مرجع الإشارة في حديث أبي هريرة وهو أنه قال جاء أناس من أصحاب الرسول ﷺ إنا نجد من أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال وقد وجدتموه قالوا نعم قال (ذلك صريح الإيمان)[٣]. فمرجع الإشارة إلى تعاظم الصحابة وعدم استطاعتهم بالنطق به فهذا يدل على قوة إيمانهم.

س- وضح كيف قال الرسول ﷺ لما سئل عن الوساوس واستعظامها قال: تلك محض الإيمان؟[٤].

ج : معنى ذلك إن مرافقة الوسوسة الشيطانية واستعظامها صريح الإيمان بالله والتسليم لقضائه وقدره.

س- ما الواجب على المسلم فعله إذا وجد شيئاً من الوساوس الشيطانية.

ج : يجب عليه أن يقف موقف الصحابة رضي الله عنهم ويجب عليه أن يترك الخوض فيها وأن يبتعد عن الشكوك السيئة المفضية به إلى الشرك.

---

(١) سورة التوبة: الآية (٦٩).

(٢) صحيح. رواه أحمد (٢/ ١٧٨).

(٣) سبق قريباً.

(٤) أخرجه مسلم (١٣٣).

س- ما المقصود من قوله تعالى ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ﴾[1] الآية، وماوجه الاستدلال على المنع من الخوض في القدر؟

ج : يخبر الله سبحانه وتعالى أنكم أيها المخاطبون من أمة محمد قد تمتعتم بنصيبكم كالخوض الذي خاضوه في معرفة كثير من أسرار الله سبحانه وتعالى ووجه الدلالة هو أن هؤلاء هلكوا بسببين:

الشهوة والشبهات ومن أعظم الشبهات الخوض في القدر وأسراره فذم الله هؤلاء الذين خاضوا وأنكر عليهم ذلك.

س- لم جيء بالموصول مفردا وبصلته جمعا في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾[2]؟ ولم جمع الله بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض؟

ج : الجواب عن الأول أن «الذي» في هذه الآية بمعنى «الذين» فقد يقع الموصول مفردا ويراد به الجمع أو «الذي» صفة لمحذوف وهو «الخوض» أو «الفوج» أو «الجيل» أو «النصيب».

والجواب عن الثاني: أن الله جمع بين الاستمتاع بالخلاق والخوض لأن فساد الدين إما في العمل من جهة الشهوات وإما في الاعتقاد من جهة الشبهات.

س- ما أسباب ظهور البدع وانتشارها وتفرق الأمة؟

ج : سبب ذلك إثارة الشكوك والشبهة والمجادلة بالباطل والخوض في القدر.

س- متى يمكن اعتبار قول القائل (لم فعل الله كذا؟) ردا لحكم الكتاب؟ ثم أوضح الفرق بينه وبين قول القائل (بم أمر الله)؟

ج : يكون قول القائل لم فعل كذا ردا لحكم الكتاب إذا قال ذلك متعنتا غير متفقه ولا متعلم إما من سأل مستفهما لم فعل الله فكأنه يسأله عن الحكمة والسر من الأوامر والنواهي فإن صلحت له أخذ بها وإلا تركه

(١ ، ٢) سورة التوبة: الآية (٦٩).

إما قوله بما أمر الله فإن السائل يسأل عما أمر ربنا حتى يعمل ويجتهد ويطيع الله فيما أمره به وهذا جائز وقد قيل أنه ورد في التوراة والانجيل (يابني إسرائيل لاتقولوا لم أمر ربنا ولكن قولوا بم أمر ربنا).

س- لتعظيم أمر الله سبحانه مراتب، اذكرها؟

ج : هي خمس مراتب:

١- التصديق بالأمر.

٢- العزم الجازم على امتثاله.

٣- بذل الجهد والنصح في الإتيان بالأمر على الوجه الأكمل.

٤- المسارعة إلى الأمر والمبادرة به والحذر من القواطع والموانع.

٥- فعل الأمر بكونه مأموراً به بحيث لايتوقف الإتيان به على معرفة حكمته فإن ظهرت فعله وإلا عطله فإن هذا ينافي الانقياد ويقدح في الامتثال.

س- متى يكون رد حكم الكتاب كفرا ومتى لايكون كذلك؟ وما معنى قوله ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

ج : يكون رد حكم الكتاب كفراً إذا كان من غير تأويل وإنما القصد التعنت والعناد ولايكون كفراً إذا كان مؤولاً لحكم الكتاب لشبهة عرضت له فإنه يبين له الحق والصواب ليرجع إليه.

ومعنى الآية: إن الله سبحانه لايسأل عما يفعل لكمال حكمته وعدله فإنه سبحانه لايعمل بمجرد قهره وقدرته كما قال الجهم بن صفوان وأتباعه بل يجازي كلاً بعمله. وقوله (وهم يسألون) أي أن الله يسأل عباده عما عملوه في الحياة الدنيا.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٢٣).

قال الطحاوي: (لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود..».

س- وضح مرجع الإشارة في قول المؤلف (فهذا حماية) وما معنى قول الطحاوي (علم في الخلق موجود)؟ وما حكمه قبولا وردا؟ ومعنى قوله (وعلم في الخلق مفقود)؟ وما حكمه تفويضا وادعاء؟

ج: الإشارة ترجع إلى ما تقدم ذكره فيما يجب اعتقاده والعمل به مما جاءت به الشريعة. ومعنى قوله (علم في الخلق موجود) العلم الموجود في الخلق هو علم الشريعة وأصولها وفروعها وحكمه يجب أن تصدق به وتؤمن، ومن أنكر شيئاً مما جاء به الرسول كان كافراً ومعنى قوله(وعلم في الخلق مفقود) أي علم القدر الذي طواه عن أنامه ونهاهم عن مرامه. وحكمه يجب أن تفوض علمه إلى الله عز وجل ولايخوض فيه ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين قال تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ (١) وقال ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾(٢).

س- هل يلزم من الجهل بالحكمة عدمها؟ وضح ذلك؟

ج: لايلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها ولا من جهلنا انتفاء حكمته ألا ترى أن خفاء حكمة الله علينا في خلق الحيات والعقارب والفأر والحشرات التي لايعلم منها إلا المضرة لم ينف أن يكون الله خالقاً لها ولايلزم أن يكون فيها حكمة خفيت علينا لأن عدم العلم لايكون علما بالمعدوم.

---

(١) سورة الجن: الآيتان (٢٦ - ٢٧).

(٢) سورة لقمان: الآية (٣٤).

القلم واللوح وهما من مباحث القدر

س- قال الطحاوي: (ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قدر رقم...).

ما المراد باللوح والقلم في قول المصنف (ونؤمن باللوح والقلم) وما حكم الإيمان بهما؟

ج: المراد **باللوح** هو الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق والمراد بـ **(القلم)** هو آلة من نور خلقها الله وكتب به مقادير الخلق في اللوح المتقدم.

وحكم الإيمان بهما واجب فمن أنكره فهو كافر.

س- اختلف الناس في أول المخلوقات على قولين، اذكرهما مع الترجيح والتدليل لما تختار.

ج: للعلماء في ذلك قولان:

الأول: قيل إن العرش مخلوق قبل القلم والدليل على ذلك في حديث عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)[1].

الثاني: قيل إن القلم قبل العرش واستدل من قال به بحديث عبادة بن الصامت (أول ما خلق الله القلم قال له اكتب)[2] والراجح القول الأول لما يأتي:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) صحيح أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) وغيره. راجع المشكاة (٩٤) وحاشية شرح الطحاوية (٢٦٤). للشيخ الألباني.

١- إن حديث عبد الله بن عمر صريح في أسبقية العرش.

٢- إن حديث عبادة يمكن الجمع بينه وبين حديث عبدالله بن عمر بأن يقال الأولية مقيدة بالكتابة أي عند أول خلقه للقلم قال له اكتب وهذا على رواية نصب أول على أنه ظرف ونصب القلم على أنه مفعول والكلام جملة واحدة وهذا هو الصحيح ويؤيده رواية (لما خلق الله القلم) فهذه مقيدة بالكتابة والتقدير مقارن للخلق فيدفعهم الحديث مع حديث ابن عمر وعلى رواية رفع أول والقلم ـ على أنهما جملة (وقال له اكتب جملة) أخرى والكلام يكون من جملتين فيكون معنى الحديث أن أول المخلوقات في العالم المشاهد القلم قال له اكتب مقادير الخلائق فيتفق معنى الحديثين بذلك إذ حديث ابن عمر صريح في أن العرش سابق على التقدير ـ والتقدير مقارن لخلق القلم.

س- هل كتبت جميع المقادير بقلم واحد أم لا؟ وضح ذلك مع بيان أنواع الأقلام.

جـ : **الأول**: القلم الشامل لجميع المخلوقات المتقدم ذكره.

الثاني: القلم الذي هو خبر خلق آدم وهو قلم عام أيضاً لكن بني آدم وقد وردت آثار تدل على أن الله قدر مقادير بني آدم بعد خلق أبيهم منها حديث عمر ـ إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته)[1] الحديث.

الثالث: القلم الذي مع الملك (ويؤمر بأربع كلمات حين يرسل إلى الجنين في بطن أمه فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات ـ رزقه ـ وأجله ـ وشقي أو سعيد)[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري ٣٣٣٢ الأنبياء/ خلق آدم وذريته، ومسلم (٣٦٤٣).

الرابع: قلم التكليف الموضوع على العبد عند بلوغه بأيدي الكرام الكاتبين الذين يكتبون مايفعله بنو آدم.

س- هل تكون التقوى للخالق أم المخلوق؟ بين ذلك؟

ج: الإنسان في هذه الحياة لابد له أن يتقي - والتقوى إما للمخلوق وإما للخالق. وأما التقوى للمخلوق فإن ضررها راجح على نفعها بل رضاء الخلق لامقدور ولا مأمور قال الشافعي رحمه الله (رضاء الناس غاية لاتدرك) فعند ذلك يجب على العبد أن يفرد الله بالتقوى فإن رضي الله مقدور ومأمور ومتى اتقي العبد ربه كفاه مؤنة الناس روى أن عائشة كتبت إلى معاوية (من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس له ذاماً)[1] وروى ذلك موقوفاً والأولى مرفوعا وتقوى الله سبحانه هي التي تحصل بها السعادة في الدنيا والآخرة فهو سبحانه أهل التقوى قال تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ (البقرة آية ٤٠) وهو سبحانه أهل المغفرة الذي يغفر الذنوب ويجزي عنها وإنما القادر على ذلك هو الله قال بعض السلف الصالح (ما احتاج تقي قط) لقوله تعالى ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[2].

س- يزعم بعض الصوفية والجهمية أن الأخذ بالأسباب ينافي التوكل، فكيف تجيب عليهم؟

ج: هذه الدعوى باطلة لأن الاكتساب وتعاطي الأسباب لاينافي التوكل بل الاكتساب منه ما هو واجب وما هو مستحب وما هو مباح وماهو مكروه

---

(١) صحيح مرفوعاً وموقوفاً. رواه أحمد في الزهد (١٦٤) والحميدي (٢٦٦)، وابن المبارك في الزهد (١٨٨) والترمذي (٢٤١٤) مرفوعاً وموقوفاً وابن حبان (٢٧٦ - ٢٧٧) وغيرهم، وراجع (حاشية شرح الطحاوية) ص ٢٦٨، ح (٢٧٨) والصحيحة (٢٢٣١)، للشيخ الألباني.

(٢) سورة الطلاق: الآية (٣).

وما هو حرام وقد كان الرسول ﷺ **أفضل المتوكلين على الله ويلبس في** الحرب ويمشي في الأسواق للاكتساب. حتى قال عنه المشركون ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾(1).

س- ما مقصود الرسول ﷺ قوله (رفعت الأقلام وجفت الصحف)؟(2).

ج: معنى ذلك أن هذا الأمر قد فرغ منه فلا تغير فيه ولاتبديل، فكلٌّ يجري عليه ما كتب له إن خيراً فخير وإن شراً فشر (إعلموا فكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فييسرون إلى عمل أهل السعادة وأهل الشقاوة فييسرون إلى عمل أهل الشقاوة)(3).

قال الطحاوي (وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة... وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه...).

س- وضح ما موقف أهل السنة ومخالفيهم من سبق علم الله للمخلوقات قبل إيجادها، ثم وضح كيف ترد على المخالف؟

ج: **أولا**: أهل السنة والجماعة يقولون: إن الله قد سبق علمه بالكائنات، وقد قدر مقاديرها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ووضع كل شيء على ما علم وقدره ورضي به.

الثاني: وأنكر غلاة القدرية والمعتزلة أن الله كان عالما بالأزل وقالوا إن الله لايعلم أفعال العباد حتى يفعلوها تنزه الله عن قولهم.

ويرد عليهم بما يأتي:

1- من الكتاب ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾(4).

---

(1) سورة الفرقان: الآية (7).

(2) صحيح أخرجه الترمذي (2516) وأحمد (1/ 293).

(3) البخاري (1362) الجنائز/ موعظة المحدث عند القبر، ومسلم (2647).

(4) سورة الملك: الآية (14).

٢- ومن السنة قول الرسول ﷺ (قدر الله مقادير الخلائق)[١] الحديث.

٣- دليل عقلي وهو أننا نرى في هذه المخلوقات من الغرائب والحكم ما لايتصور إيجاده إلا إله عالم سبق علمه إيجاده.

س- ما معنى قول الشافعي (ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروا كفروا؟

ج : معنى ذلك أن يقال للقدرية هل أنتم تثبتون لله علما فإن أقروا قلنا لهم لم تثبتون له علما في بعض وتنفونه عن البعض الآخر؟ إنكم كما قال الله سبحانه ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[٢] وإن نفوا العلم وقالوا لانقر وإن لله علما فهم كفار لأنهم أنكروا صفة من صفات الله وبهذا يخصمون وتقوم عليهم الحجة.

س- ماتقول فيما تراه المعتزلة من قولهم يلزم أن يكون العبد قادرا على تغيير علم الله علم أنه لايفعل فإذا قدر على الفعل قدر على تغيير علم الله؟

ج : القول أن قدرته على الفعل لا تستلزم تغير العلم، إنما ظننتم أنه يتغير العلم إذا وقع الفعل ولو وقع الفعل لكان هو المعلوم لعدم الوقوع لأنه يستحيل وقوع الفعل مع علم الله بعدم وقوعه ولكن إن وقع كان الله قد علم أنه يقع وإن لم يقع كان الله قد علم أنه لايقع. وعلم الله لانعلمه إلا بما ظهر لنا.

س- وضِّح كيف يشتمل الإيمان بالقدر على الاعتراف بالله وربوبيته؟

ج : بيان ذلك أنه لايتم الاعتراف بالله وربوبيته إلا بالإيمان بصفاته دون صفات العلم فوجب الإيمان به.

---

(١) سبق تخريجه ص: ٢٠٨.

(٢) سورة البقرة: الآية (٨٥).

س- ما حكم الشرع فيمن زعم أن العباد يخلقون أفعال أنفسهم؟ ولم؟

جـ : حكمه مشرك لأنه زعم أن لله شريكا في خلقه.

س- اذكر بعضا مما ورد من النصوص في شأن القدرية.

جـ ١- منها (القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودهم وإن ماتوا فلا تشهدهم)[1].

٢- ومنها ما روى عن عمر عن النبي ﷺ قال: (لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم)[2]. وكل ما روي مرفوعا للنبي ﷺ فهو ضعيف وإنما الصحيح الموقوف منها وأصحابها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده)[3].

س- ما وجه اعتبار (القدرية) مجوس هذه الأمة؟

جـ : وجهه هو أن المجوس يدعون أن للكون خالقين هما النور إله الخير، والظلمة إله الشر. والقدرية زعموا أن للكون خالقين غير الله، فالناس عندهم إنما يخلقون أفعال أنفسهم فهم شاركوهم من حيث تعدد الإله.

---

(١) حسن لغيره. أخرجه أبو داود (٤٦٩١) وابن ماجة (٩٢)، وأحمد (٢/ ٨٦) وابن ابي عاصم في السنة (٣٣٨ - ٣٤٢) والحاكم (١/ ٨٥). والطبراني في الأوسط (٢٥١٥) وابن بطه في الابانة/ كتاب القدر (١٥٠٩) وما بعده واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١١٥٠) وما بعده، والكناني في تنزيه الشريعة (١/ ٣١٦ - ٣١٧) وغيرهم وراجع المشكاة (١/ ٣٨) وتخريج السنة (٣٣٨ - ٣٤٢).

(٢) إسناده ضعيف. أخرجه أبو داود (٤٧١٠ - ٤٧٢٠) وأحمد (١/ ٣٠) والحاكم (١/ ٨٥) وغيرهم وانظر المشكاة (١/ ٣٨).

(٣) سبق تخريجه ص: ١٩٦.

س- فسّر معنى قول ابن عباس: القدر نظام التوحيد؟

ج: إن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله والعلم صفة من صفاته وهو من توحيد الأسماء والصفات فيجب الإيمان بعلم الله القديم وما أظهره من علمه الذي لا يحاط به وكتابته مقادير الخلائق.

س- ما هي أصول التقدير المطابق للعلم وما لازم كل أصل؟

ج: الأصول خمسة:

الأول: أنه عالم بالأمور المقدرة قبل كونها ولازمه إثبات علم الله القديم وفيه رد على من نفى علم الله القديم.

الثاني: التقدير يتضمن مقادير المخلوقات فالله جعل لكل شيء قدرا وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝﴾[1] فهو عالم بالكليات والجزئيات.

الثالث: أنه يتضمن أنه أخبر بذلك وأظهره قبل وجود المخلوقات إخبارا مفصلا فيقتضي أنه يمكن أن يعلم العباد الأمور قبل وجودها علما مفصلا فيدل ذلك بطريق التسمية أن الخالق أولى بهذا العلم فكيف إذا كان يعلم بذلك كيف لا يعلمه وهو لازمه إثبات علم الله القديم. إذا كان يعلم عباده.

الرابع: أنه يتضمن أنه مختار في كل ما يفعله محدثا له بمشيئته وإرادته ليس لازماً لذاته، ولازمه إثبات علم الله القديم.

الخامس: أنه يدل على حديث هذا المقدور أنه كان بعد أن لم يكن فإنه يقدره ثم يخلقه ولازمه إثبات علم الله القديم.

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٢).

مبحث حياة القلب وموته

س- ما الدليل على أن للقلب حياةً وموتاً ومرضاً وشفاءً؟

ج : الدليل قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[2].

س- ما علامة القلب الصحيح الحي والقلب الميت؟

ج : القلب الحي هو الذي يفرق بين الطبائع ولا تضره الفتن ولا يلتفت إليها.

والقلب الميت هو الذي لا يفرق بين الحسن والقبيح والطاعة والمعصية ولا غيرها. قال ابن مسعود (هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر).

س- ما أنواع مرض القلب وما علامة مرض كل منها وأي الأنواع أخطر؟ وضح ذلك؟

ج : مرض القلب نوعان وهي:

الأول: مرض شبهة وعلامته أن يميل إلى كل شبهة تعرض له وهذا النوع أخطرهما لأنه خاص بالعقيدة فيؤدي بالإنسان الى الكفر، أما الشهوة فيفعلها الإنسان وهو معتقد أنها حرام.

الثاني: مرض شهوة وعلامته أن يميل إلى الشهوات المخالفة لشرع الله.

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٢٢).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٤٩).

س- اذكر الدواء النافع لهذين النوعين؟

ج : دواء ذلك اتباع ما جاء في الكتاب والسنة فإن أنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، والصبر على الإيمان، ومخالفة الهوى. قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[2].

س- ما هي شروط الاستفادة من التداوي بالقرآن؟ اذكرها مع بيان موانع تأثير الدعاء؟

ج : الشروط هي:

الأول: أن يحسن العليل التداوي به.

ثانيا: أن يضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام.

والموانع هي:

١ - ضعف الدعاء.

٢ - ضعف القلب وضعفه على الله وقت الدعاء.

٣ - وجود موانع عن قبوله كأكل الحرام.

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٨٢).

(٢) سورة فصلت: الآية (٤٤).

(العرش والكرسي)

س- قال الطحاوي رحمه الله تعالى: «والعرش والكرسي حق، وهو مستغن عن العرش وما دونه».

وضِّح ما هو العرش لغة واصطلاحا مع بيان الأدلة على ثبوته.

ج : لغةً: سرير المَلِك قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[١].

وشرعا: هو سرير ذو قوائم[٢] تحمله الملائكة خلقه الله واستوى عليه.

وهو سقف هذا العالم وهو كالقبة فوق المخلوقات.

الأدلة على ثبوته:

أ- من الكتاب ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾[٣]. ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾[٤]. ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾[٥] إلى غير ذلك.

ب- من السنة حديث دعاء الكرب (لا إله إلا الله العلي العظيم لا إله إلا الله رب العرش الكريم)[٦].

---

(١) سورة النمل: الآية (٢٣).

(٢) وصرح بذكر القوائم في قوله ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش» الحديث. أخرجه البخاري (٢٤١٢) الخصومات/ ما يذكر من الأشخاص والملازمة. ومسلم (٢٣٧٣).

(٣) سورة البروج: الآية (١٥).

(٤) سورة غافر: الآية (١٥).

(٥) سورة المؤمنون: الآية (١١٦).

(٦) البخاري (٦٣٤٥) الدعوات/ الدعاء عند الكرب، ومسلم (٢٧٣٠).

وحديث (إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن)[1].

وقول ابن رواحة:

وإن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمين

س- ما المقصود بالعرش عند الفلاسفة والمتكلمين وعند أهل السنة والجماعة مع الرد على الفرق المخالفة لأهل السنة.

ج: العرش عند أهل السنة هو السرير ذو القوائم إلى قوله وهو سقف المخلوقات. روى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[2] قال (الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى)[3].

قول الفلاسفة: إن العرش عبارة عن الملك.

وقال بعض المتكلمين: إن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل وجه وربما سموه الفلك الأطلس والفلك التاسع ويرد على الفلاسفة والمتكلمين بما يأتي:

أولا: إن قولهم مخالف للغة العرش فإن العرش عندهم عبارة عن العهد الذي للملك قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[4] وليس ملكا

---

(١) البخاري (٢٧٩٠) / الجهاد/ درجات المجاهدين، وأحمد (٢/ ٣٣٥ - ٣٣٩).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥٥).

(٣) صحيح موقوفاً وضعيف مرفوعاً. أخرجه الحاكم (٢/ ٢٨٢) وصححه ووافقه الذهبي. وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٢٥١-٢٥٢) وغيرهما راجع حاشية الطحاوية للشيخ الالباني ح(٢٩٩).

(٤) سورة النمل: الآية (٢٣).

ولا فلكا ولا تفهم منه العرب ذلك والقرآن إنما نزل بلغتهم.

ثانيا: ويرد عليهم بقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[1] فهل يقال ويحمل ملكه يومئذ ثمانية. وقد ثبت أن له قوائم خلافا لمن قال هو فلك مستدير لا منافذ له وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[2] فهل يقال كان ملكه على الماء.

ثالثا: يقول الرسول ﷺ (فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ولا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور)[3] فلا يعقل أن يقال إن موسى آخذ بقائمة من قوائم الملك فالأدلة أثبتت القوائم.

س- ما مقصود من فسر (العرش) بالملك أو الفلك؟

ج: غرضهم من ذلك نفي العلو والاستواء إذ يقولون (استوى) بمعنى استولى وأن الله ليس له جهة لئلا يقال بالتحيز فيدعو إلى التجسيم والتشبيه بالمخلوقات تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

س- عرف الكرسي لغة وشرعا. مع بيان الفارق بينه وبين العرش.

ج: لغة يطلق عليها السرير وقيل العلم وشرعا (هو مخلوق عظيم وهو موضع قدمي الرب جل وعلا).

والفرق بين الكرسي والعرش هو أن العرش سرير الملك والكرسي هو موضع القدمين والأدلة علي ثبوت الكرسي من الكتاب: قول الله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[4].

---

(١) سورة الحاقة: الآية (١٧).

(٢) سورة هود: الآية (٧).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سورة البقرة: الآية (٢٥٥).

ومن السنة: قال أبو ذر (سمعت رسول الله ﷺ يقول (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض)[1].

س- ما المراد بالكرسي واذكر خلاف العلماء فيه؟

جـ- أ- أهل السنة والجماعة أن الكرسي موضع القدمين لله وهو الصحيح لثبوت ذلك قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[2].

ب- وقال بعض الناس إن الكرسي هو العرش وهذا ليس صحيحاً لأنه قد وردت آثار تدل على أن الكرسي بين يدي العرش كما قال ﷺ (ما الكرسي بين يدي العرش إلا كحلقة من حديد)[3].

ج- وقيل كرسيه علمه وهو للمتكلمين وغرضهم من عدم إثبات الكرسي هو نفي العلو.

س- قال الطحاوي: (وهو سبحانه مستغنٍ عن العرش وما دونه محيط بكل شيءٍ وفوقه) وذلك بعد ذكره للعرش والكرسي. فما غرضه بذلك؟

جـ: غرضه بذلك بيان أن الله مستغنٍ عن العرش مع أنه مستوٍ عليه فليس هو محتاجا إليه بل له بذلك حكمة اقتضت كون العالي فوق السافل لا يلزم منه أن يكون السافل حاويا للعالي محيطا به حاملا له. ولا يلزم منه أن الأعلى مفتقر إليه فالله أعظم من أن يلزم من علوه ذلك.

س- هات مثالا من المخلوقات يبين استغناء الله تعالى عن العرش مع استوائه عليه.

---

(١) صحيح لغيره، وأخرجه ابن جرير في التفسير (٥٧٩٥) وغيره وراجع الصحيحة (١٠٩).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥٥).

(٣) صحيح لغيره، وأخرجه ابن جرير في التفسير (٥٧٩٥) وغيره وراجع الصحيحة (١٠٩).

ج : مثال ذلك السماء والأرض فانظر إلى السماء وهي فوق الأرض وليست مع ذلك مفتقرة إليها فالرب أعظم من أن يلزم من علو ذلك.

س- دلل على استغناء الله تعالى عن خلقه.

ج : قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦﴾[1] وقوله: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾[2].

س- اذكر شيئا من لوازم علو الخالق على المخلوق ثم بيّن هل يمكن أن تتحقق هذه اللوازم في حق المخلوق؟

ج : لوازم علو الخالق على المخلوق:

١- حمله بقدرته للسافل.

٢- فقر السافل إليه.

٣- غناه سبحانه عن السافل.

٤- إحاطته سبحانه به، فهو سبحانه فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش وفقر العرش إليه وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له. وهذه لوازم منتفية عن المخلوق.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٦).

(٢) سورة فاطر: الآية (١٥).

الإحاطة

س- بيّن لماذا اختار الشارح إثبات الواو في قول الطحاوي (محيط بكل شيء وفوقه) وبيِّن وجه ما جاء به في بعض النسخ من حذفها وبين ما أبدته بإثباتها؟

ج : اختار الشارح إثبات الواو حتى لا يتوهم أن هناك شيئاً فوقه سبحانه لأن معنى العبارة بإثباتها أنه محيط سبحانه بكل شيء وفوق كل شيء، ومعنى العبارة بحذفها أنه محيط بكل شيء فوقه العرش فلزم منه أن يكون هناك شيء فوق العرش، تعالى الله عن ذلك.

وسبب حذف الواو:

١- إما أن بعض النساخ نسيها فأسقطها ثم استنسخ بعض الناس من هذه النسخة.

٢- أو أن إسقاطها من المحرفين قصدا للفساد وإنكارا لصفة العلو.

وأيد المصنف إثباتها بأن الدليل ثابت على أن العرش هو أعلى المخلوقات وأن الله فوقه فلا يبقى من قوله (محيط) بمعنى محيط بكل شيء فوق العرش والحالة هذه معنى إذ ليس فوقه من المخلوقات ما يحاط به فتعين ثبوت الواو.

س- ما الدليل على إحاطة الله تعالى لخلقه؟

ج : الدليل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾﴾[1] وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾﴾[2] وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾[3]. والمراد بالإحاطة إحاطة عظمته وسعة علمه

---

(١) سورة البروج: الآية (٢٠).

(٢) سورة فصلت: الآية (٥٤).

(٣) سورة النساء: الآية (١٢٦).

وقدرته وأن المخلوقات في يده كخردلة في يد أحدنا. قال ابن عباس رضي الله عنهما (ما السموات والأرض السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم)[1] وليس المراد من الإحاطة أنه كالفلك وأن المخلوقات داخله في ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٣٠٢١٢) تفسير سورة الزمر: الآية (٦٧)، وفيه عمرو بن مالك النكري (صدوق له أوهام)، وبقية رجاله ثقات.

علو الله على خلقه

س- قال الطحاوي: «محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه».

وضِّح ما هي أنواع الأدلة على علو الله على خلقه؟ مع إيراد شيء من الأدلة النقلية؟

ج: أنواع الأدلة ثلاثة:

١ - نقلية.

٢ - عقلية.

٣ - فطرية.

ومن الأدلة النقلية قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[١] وقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[٢] وقوله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[٣] وقوله ﴿**إني متوفيك ورافعك إلي**﴾[٤] وقوله عليه السلام لسعد: (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات)[٥] وحديث (الجارية؟ أين الله؟ قالت في السماء)[٦] وغيرها.

---

(١) سورة النحل: الآية (٥٠).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٨ و٦١).

(٣) سورة فاطر: الآية (١٠).

(٤) سورة آل عمران: الآية (٥).

(٥) البخاري (٣٠٤٣) الجهاد/إذا نزل الضرر على حكم رجل. ومسلم (١٧٦٨) دون قوله (من فوق سبع سماوات) وهي زيادة ضعيفة (راجع حاشية الطحاوية للشيخ الألباني ح (٣١٢).

(٦) أخرجه مسلم (٥٣٧) وأبو داود (٩٣٠) وأحمد (٥/٤٤٧-٤٤٨) وغيرهم.

س- اذكر الدليل العقلي على علو الله؟

ج : الدليل العقلي له وجوه ثلاثة:

الأول: العلم البديهي القاطع أن كل موجودين لا بد أن يكون أحدهما ساريا في الآخر سريان الصفة في الموصوف، وإما أن يكون كل واحد قائما بذاته منفصلا عن الآخر فالأول باطل باتفاق لأنه يقتضي كون العالم واقع خارج ذاته فيكون منفصلا فاقتضت المباينة لأن القول بأنه غير منفصل عن العالم وغير متصل به غير معقول.

الثاني: أن الله لما خلق العالم فإما أن يكون خلقه داخل ذاته أو خارجها فالأول باطل لأنه يلزم أن يكون الله محلا للخسائس والعيوب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والثاني يقضي أن يكون العالم واقعا خارج ذاته فيكون منفصلا فثبتت المباينة لأن القول بأنه غير منفصل عن العالم وغير متصل به غير معقول.

ثالثا: أن كونه سبحانه لا داخل العالم ولا خارجه يقضي نفي وجوده بالكلية لأنه غير معقول فيكون موجودا إما داخله أو خارجه الأول: باطل والثاني: متعين فلزمت المباينة.

س- اذكر الدليل الفطري على علو الله؟

ج : إن الخلق جميعهم بطبائعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى وقصة أبي المعالي وإعجاز الهمداني له مشهورة.

س- ما المقصود من قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1].

ج : إما أن تكون (في) بمعنى على وإما أن يراد بالسماء العلو.

---

(١) سورة الملك: (١٦).

س- كيف يتم الاستدلال بقوله تعالى ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾[1] الآية، على إثبات صفة العلو؟

ج: وجهه أن موسى قد أخبر فرعون أن الله في السماء فأنكر فرعون ذلك قال ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[2].

س- بيّن حكم أبي حنيفة على من أنكر أن يكون الله فوق العرش أو أقر بذلك ولكن لم يؤمن أن العرش فوق العالم؟ وما دليله على كلا الحكمين؟

ج: حكمه على من أنكر أن الله فوق العرش أنه كافر مستدلا بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[3] وعرشه فوق سمواته وحكمه على من لا يؤمن بأن العرش فوق العالم أنه كافر لأنه أنكر أن العرش في السماء ومن أنكر أنه في السماء فقد كفر وزاد غيره لأن الله في أعلى عليين وهو يدعى من أعلى لا من أسفل.

س- ما معنى قول الشارح (من نفى العلو فهو فرعوني ومن أثبته فهو موسوي محمدي)؟

ج: أي أن من نفى العلو فهو منسوب إلى إمامه بذلك فرعون حيث قد أنكر العلو فهو إمام الجهمية ومن أثبته فهو منسوب إلى موسى ومحمد فهما إماما له بذلك فقد ثبتت أخبار كثيرة عن الرسول ﷺ بإثبات العلو وصفته.

س- ذهبت طوائف من المعطلة إلى تفسير فوقيته تعالى على عباده بالخيرية والفضل، فكيف ترد عليهم؟

ج: يقال له: إن قولك مما تنفر منه العقول السليمة وتشمئز منه القلوب

---

(١)، (٢) سورة غافر: الآية (٣٦).

(٣) سورة طه: الآية (٥).

الصحيحة فإن قول القائل (إن الله خير من عباده) ونحوه مثل قول القائل: (محمد أفضل من اليهود) فإنه ليس في ذلك مدح ولا تعظيم ولا توحيد بل هو كلام من أقبح الكلام وأهجنه فكيف يليق هذا الفهم بكلام رب العالمين الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

ولو قال إنسان الجوهرة فوق البصل لضحك منه العقلاء للتفاوت فيما بينهما والتفاوت الذي بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم.

س- كيف ترد على من استدل بقوله تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾[1] على تفسير الفوقية بالخيرية؟ ومتى يصح أن يقال إن الله خير من عباده؟

ج: نقول له هذا الكلام لا يجوز ابتداء وإنما ذلك جائز إذا كان للاحتجاج والرد على باطل.

س- متى يقبل تفسير من فسر الفوقية بالخيرية بأنه صحيح؟

ج: يدخل ذلك ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه.

س- اذكر أنواع الفوقية والعلو مع بيان النوع الذي أنكرته الجهمية ولماذا أنكروه وكيف ترد عليهم؟

ج: أنواع الفوقية ثلاثة:

١ - علو الذات.

٢ - علو القهر.

٣ - علو القدر.

---

(١) سورة يوسف: الآية (٣٩).

وأنكرت الجهمية علو الذات فهم يؤولون العلو بالمكانة لاعتقادهم أن الله حال في كل مكان وهذا التأويل باطل.

والرد عليهم:

أن يقال إن المكانة تأنيث المكان والمنزل ولفظ المنزلة والمكانة تستعمل في المكانات النفسانية الروحانية كما تستعمل لفظ المكان والمنزل في الأمكنة الجسمانية الروحانية ومن أثبت البعض ونفي البعض فقد تنقض الله وعلوه المطلق من كل وجه.

س- اعترض بعض المبتدعة على الدليل العقلي لعلو الله، فلماذا كان هذا الاعتراض وكيف ترد عليهم؟

ج: اعترضوا عليه بإنكار بدهيته لأنه مختلف فيه حيث إنه قد أنكره - في رأيهم - جمهور العقلاء فهو قضية وهمية وخيالية.

ويرد عليهم:

إن كان العقل قبل قولكم فهو لقولنا أقبل، وإن كان قولنا قضية وهمية خيالية غير عقلي فقولكم أولى فإن دعوى الضرورة مشتركة بيننا وبينكم. فإن رده العقل فهو لقولكم أعظم ردا وإن كان قولنا باطلا في العقل فقولكم أبطل وإن كان قولكم حقا مقبولا في العقل بقولنا أولى أن يكون مقبولا في العقل وكل يدعي صدق ما يقوله وبطلان القول الآخر فترجحنا عليكم عقلا فنرجع إلى عامة فطر الناس ممن ليسوا منا ولا منكم فإنهم موافقون على قولنا بفطرهم فهم بفطرهم معنا لا معكم فترجحنا عليكم فطرة ونرجع إلى السمع وهو معنا وليس معكم ونحن مختصون به دونكم فترجحنا عليكم سمعاً وعقلاً وفطرة والعقل مشترك بيننا وبينكم ثم إن قولكم وإنما قال به طائفة من النظار وأول من عرف منه ذلك في الإسلام جهم بن صفوان وأتباعه فبطل دعوى الأكثرية.

س- أورد أهل الأهواء اعتراضا على الدليل الفطري لعلو الله تعالى، وضح هذا الاعتراض وكيف ترد عليه؟

ج : اعترض عليه أن ذلك إنما كان لكون السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة للصلاة ثم هو منقوض بوضع الجبهة على الأرض في السجود مع أنه ليس في جهة الأرض ويرد عليهم قولهم إن السماء قبلة للدعاء من وجوه:

الأول: إن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة وكان النبي ﷺ يستقبل القبلة في دعائه في كثير من المواطن فمن زعم أن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة أو أن له قبلتين إحداهما السماء والأخرى الكعبة فهو مخالف لإجماع المسلمين.

الثاني: أن هذا القول لم يقل به أحد من السلف ولا نزل به من الله سلطان ثم إن هذه الأمور الشرعية الدينية لا يجوز أن تخفى على جميع علماء الأمة.

الثالث: إن القبلة هي ما يستقبله العابد بوجهه كما يستقبل الكعبة بالصلاة والذبح ونحوهما فأما ما حاذاه المرء برأسه أو بيده أو جبهته فلا يسمى قبلة لا حقيقة ولا مجازا ثم إن الرسل لم تأمر الداعي أن يستقبل السماء بوجهه بل نهوه عن ذلك ثم إن أمر القبلة مما يقبل النسخ كما نسخت القبلة من الصخرة إلى الكعبة وأمر التوجه بالدعاء إلى جهة العلو مركوز في الفطرة والمستقبل للكعبة يعلم أن الله ليس هناك بخلاف الداعي فإنه يتوجه بقلبه إلى العلو فيرد ذلك بأنه فاسد لأن واضع الجبهة إنما قصد الخضوع لمن فوقه بالذل ولم يقصد أن الله في أسفل بل إن هذا لا يخطر بقلب ساجد إلا ما سمع عن المريسي أنه كان يقول في سجوده سبحان ربي الأسفل - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا..

صفة الخلة والمحبة

س- قال الطحاوي رحمه الله: «وأنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، ﷺ» وقال «ونقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلا..». وضِّح المراد بالخلة مع بيان الفرق بينها وبين المحبة؟

ج: المراد بالخلة كمال المحبة وخالصها وهي التي تخلل شعاب القلب فمسلكها مسلك الروح من الجسد. والفرق بين الخلة والمحبة:

إن الخلة أخص من المحبة وكل خلة محبة ولا عكس أي لا كل محبة خلة والمحبوب بالخلة لذاته لا ينسى أحدهما الآخر بخلاف المحبة.

س- من هم الذين أنكروا الخلة من الجانبين؟ وكيف تجيب على إنكارهم وشبهتهم؟

ج: الطائفة هي الجهمية قالوا لو كانت من جانب الرسول لم تكن من جانب الله وشبهتهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحبوب والمحب ولا مناسبة بين القديم والمحدث وفسروا الخلة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾[1] أي فقيرا ومحتاجا، ويرد عليهم: إن هذا التأويل باطل لأن الفقر والاحتياج لازم لكل أحد مخلوق وليس خاصا بإبراهيم وعلى ذلك لا تكون الخلة بإبراهيم ذات معنى وأيضا كل مخلوق يتصف بالفقر والاحتياج حتى عبدة الأوثان فيلزم من قولكم أن المؤمنين يحبون الله محبة حقيقية كما أنه سبحانه أحبهم محبة حقيقية واتخذ محمدا وإبراهيم أخلاء له حقيقة.

---

(١) سورة النساء: الآية (١٢٥).

س- قال الطحاوي: «ونقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلا، وكلم موسى تكليما، إيمانا وتصديقا وتسليما». وضِّح الدليل على تكليم الله لموسى عليه السلام، وهل ذلك خاص بموسى؟ اشرح ذلك مبينا من أنكر تكليم الله لعباده وحجتهم في ذلك.

ج: الدليل قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[1] وهو ليس خاصا بموسى فقد ثبت أن النبي ﷺ (كلمه الله ليلة أسرى به)[2] وكما ثبت (أن أهل الجنة يكلمهم الله ليس بينه وبينهم ترجمان)[3] والجهمية والمعتزلة أنكروا التكليم وشبهتهم لئلا يدعون إلى التجسيم لأننا لا نعرف المتكلم إلا للجسم. ويرد عليهم: إننا إذا أثبتنا صفة التكليم على ما يليق بعظمته فإنه لا يلزم التشبيه فإن الله أثبت للأيدي والجلود يوم القيامة كلاما مع أننا لا نعرف كيفيته كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ﴾[4] الآية فما دام أن للجلود كلاما لا نعرف كيفيته فالخالق أولى بذلك.

س- هات دليلا على إثبات الخلة لمحمد وإبراهيم عليهما السلام؟

ج: في رواية عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا»[5] وفي الحديث قال النبي عليه السلام: «لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا لكن صاحبكم خليل

---

(١) سورة النساء: الآية (١٦٤).

(٢) سبق حديث الإسراء.

(٣) البخاري (١٤١٣) الزكاة/ الصدقة قبل الرد. ومسلم (١٠١٦).

(٤) سورة يس، الآية (٦٥).

(٥) أخرجه مسلم (٥٣٢).

الرحمن»[1] وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾[2].

س- كيف يتم الجمع بين تبرؤ الرسول من أن يكون له خليل وقول أبي هريرة أوصاني خليلي؟

ج : الجمع أن الرسول يتبرأ من أن يتخذ هو أحدا خليلا غير الله أما الصحابي فإنه هو نفسه اتخذ الرسول خليلا وهذا واجب على كل مسلم فالرسول لم ينف أن يتخذه أحد خليلا وإنما نفى أن يتخذ هو أحدا خليلا.

س- كيف تجمع بين براءة الرسول من أن يكون له خليل وبين اتخاذه لبعض أصحابه حبيبا؟

ج : الجمع بين ذلك وقوله لمعاذ «والله إني أحبك»[3] وكان زيد حب رسول الله هو أن يقال الخلة أخص من مطلق المحبة والمحبوب بها يكون محبوبا لذاته لا لشيء آخر بخلاف المحبة.

س- كيف تجمع بين طلب الصلاة لمحمد مثل إبراهيم وآل إبراهيم مع أن المشبه فوق المشبه به؟

ج : لذلك جوابان:

الأول: أن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم فإذا طلب للنبي صلى الله عليه وسلم وآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء حصل لآل محمد ما يليق بهم لأنهم لا يرتقون مراتب الأنبياء

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٣) والترمذي (٣٦٥٥) وابن ماجة (٩٣) وغيرهم.

(٢) سورة النساء: الآية (١٢٥).

(٣) صحيح، أخرجه أبو داود (١٥٢٢) والنسائي (١٣٠٢) كتاب السهو/ نوع آخر من الدعاء وأحمد (٥/ ٢٤٥ - ٢٤٧) وغيرهم.

وتبقي الزيادة التي للأنبياء وفيهم إبراهيم لمحمد ﷺ فيحصل له من المزية ما لم يحصل لغيره.

الثاني: أن النبي ﷺ من آل إبراهيم بل هو أفضلهم فيكون قولنا كما صليت على آل إبراهيم متناولا الصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم وهو متناول لإبراهيم أيضا قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾**﴾[1] فإبراهيم وعمران دخلا في آل إبراهيم وآل عمران!

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٣٣).

أصول الإيمان عند أهل السنة ومخالفيهم

س- قال الطحاوي: «والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى». وضِّح ما هي أصول الإيمان عند أهل السنة مع بيان أدلتهم؟

ج: أصول الإيمان عند أهل السنة ستة:

١- الإيمان بالله.

٢- والملائكة.

٣- ورسله.

٤- وكتبه.

٥- واليوم الآخر.

٦- والإيمان بالقدر خيره وشره وزاد بعضهم أصلا.

٧- الإيمان بالجنة والنار.

دليلهم قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[١] وجواب الرسول ﷺ لجبريل حين سأله عن الإيمان قال (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[٢] وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[٣].

---

(١) سورة النساء الآية (١٣٦).

(٢) البخاري (٥٠) الإيمان/ سؤال جبريل ﷺ، ومسلم (٨) واللفظ له.

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

س- ما موقف الفلاسفة من هذه الأصول؟

ج : الفلاسفة ينكرون هذه الأصول وأعظم الناس إنكارا لها الفلاسفة المسمون عند من يعظمهم بالحكماء فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله ورسله وكتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر ولا بالجنة ولا بالنار.

١- إيمانهم بالله يقولون هو موجود لا حقيقة له ولا ماهية ولا هو يعلم الجزئيات بأعيانها ولا يفعل بقدرته ومشيئته والعالم لازم له أزلا وأبدا وليس مفعولا ولا مخلوقا ولا مقدورا عليه وينفون عن الله جميع صفاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

٢- وإيمانهم بالكتاب: هم لا يصفون الله بالتكلم وأنه لا يكلم ولا يتكلم ولا قال ولا يقول والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زاكي النفس طاهر متميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص:

١ - قوة الإدراك وسرعته.

٢ - قوة النفس.

٣ - قوة التخييل.

٣- إيمانهم بالملائكة قالوا إن الرسول خيل القوى الفعلية في أشكال محسوسة وهي الملائكة عندهم وليس لها في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل وتجيء وتذهب وترى وتخاطب الرسول وإنما هي أمور ذهنية لا وجود لها في الخارج.

٤- وإيمانهم باليوم الآخر هم أشد الناس تكذيبا له في الأعيان وعندهم أن كل ما ذكر عن يوم القيامة أمثال مضروبة لتفهم العوام لا حقيقة لها في الخارج كما يفهم منها أتباع الرسل

عليهم السلام فهذا إيمان هذه الطائفة الذليلة الحقيرة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

س- ما هي الأصول التي بنى عليها المعتزلة عقيدتهم؟ اذكرها مع بيان غرضهم منها.

ج : المعتزلة بنوا عقيدتهم على الجسم والعرض الذي هو الموصوف والصفات عندهم خمس:

١- العدل ويريدون به نفي القدرة.

٢- التوحيد ويريدون به نفي الصفات.

٣- المنزلة بين المنزلين وهي مسائل الأسماء والأحكام أي أن العاصي يخرج من الإسلام ولا يدخل في الكفر.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويريدون به الخروج على الأئمة.

٥- إنفاذ الوعيد ويريدون به نفي شفاعة الرسول ﷺ عن العصاة.

س- اذكر أصول اعتقاد الروافض، مع بيان ما وافقهم عليها المعتزلة.

ج : الأصول عندهم أربعة:

١ - التوحيد.

٢ - العدل.

٣ - النبوة.

٤ - الإمامة.

ويوافقون المعتزلة في التوحيد والعدل وهذا مذهب متأخريهم أما متقدميهم فإنهم يوافقون أهل السنة والجماعة في أغلب الأصول.

س- بيِّن لماذا كان للآيتين من آخر سورة البقرة شأن عظيم؟

ج : كان لهما هذا الشأن لاشتمالهما على أصول الإيمان روي عن ابن

مسعود عن الرسول ﷺ قال (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)[1].

س- هل يمكن أن يتصرف أحد من الملائكة فيما أوكل إليه من الأعمال استقلالا؟ دلل على ذلك.

ج: ليس لهم ذلك بل كل واحد منهم ينقاد لأمر مرسله وليس له من الأمر شيء والدليل قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾[2].

س- لماذا تكلم القرآن عن الملائكة بصيغة التأنيث في عدة مواضع من سوره؟

ج: وجه ذلك أن المراد به الفرق والطوائف والجماعات.

س- ما المقصود بالإيمان بكل من الملائكة والأنبياء والكتب المنزلة عليهم والقرآن؟

جـ - أ-

المراد بالإيمان بالملائكة أن تؤمن أن لله ملائكة يعملون بأمره وهم له يسبحون ونؤمن بالتفصيل بمن ورد ذكرهم في القرآن كجبريل وإسرافيل وميكائيل وغيرهم وأن جبريل أشرفهم وهو الروح الأمين قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[3] ونؤمن بالملائكة غير من ورد ذكرهم في القرآن إجمالا وأنه لا يعلم عددهم إلا الله.

ب- أما الإيمان بالأنبياء فيجب علينا الإيمان بالأنبياء والمرسلين تفصيلا بمن سمى الله في كتابه وإجمالا بمن لم يسم ونعتقد أن هناك رسلا غير من سمى الله في كتابه لا يعلم عددهم إلا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٠٨) المغازي بعد باب شهود الملائكة بدرا. ومسلم (٨٠٨) وغيرهما.

(٢) سورة التحريم: الآية (٦).

(٣) سورة الشعراء: الآية (١٩٣).

الله قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[1] أما محمد عليه السلام فإن علينا الإيمان به وتصديقه واتباعه فيما جاء به من الشرائع جملة وتفصيلا.

ج- أما الإيمان بالكتب فنؤمن أن لله كتبا منزلة على رسله ونؤمن بما سمى الله منها في القرآن وهي التوراة والإنجيل والزبور ونؤمن أن لله كتبا غيرها لا يعلم عددها وأسماءها إلا الله فنؤمن بها إجمالا.

د- أما الإيمان بالقرآن فالإقرار به واتباع ما جاء فيه جملة وتفصيلا واجب. قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[2] الآية وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾[3].

س- من هم الرسل أولوا العزم، ولماذا سماهم الله تعالى بذلك الاسم؟

ج: أولو العزم هم نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾[4] الآية. وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾[5] وسموا بذلك لأنهم أكثر الأنبياء ابتلاء وصبروا وتحملوا أكثر من غيرهم.

---

(١) سورة غافر: الآية (٨٧).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٨٥).

(٣) سورة آل عمران: الآية (٤).

(٤) سورة الأحزاب: الآية (٧).

(٥) سورة الشورى: الآية (١٣).

س- قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين) ما مراده بأهل القبلة؟ وما مقصده «بمسلمين مؤمنين»؟

ج : المراد بهم هم من يدعي الإسلام ويستقبل القبلة وإن كانوا من أهل الأهواء ومن أهل المعاصي ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول. والمراد بمسلمين مؤمنين يشير بذلك إلى أن الإسلام والإيمان واحد وأن المؤمن لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله.

س- قال الطحاوي: (ولا نخوض في الله ولا نماري في دين الله) وضِّح متى يكون الكلام في الله خوضا ومتى يكون حقا؟

ج : يكون خوضا إذا كان بمجرد الهوى والظن والأدلة العقلية وهذا خوض مذموم ويكون حقا إذا كان مستندا على الكتاب والسنة.

س- قال الطحاوي: (ولا نجادل في القرآن) وضِّح المقصود بالجدال المذكور.

ج : يحتمل ذلك معنيين:

الأول: أن لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق بل نقول كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين.

الثاني: أو أنه أراد أنَّا لا نجادل في القراءات الثابتة بل بقراءة كل ما ثبت وصح وكلا المعنيين صحيح ويشهد بصحة المعنى ما روي عن عبدالله بن مسعود أنه قال سمعت رجلا قرأ آية سمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلافها فأخذت بيده وانطلقت به إلى رسول الله فذكرت ذلك فعرفت في وجهه الكراهية وقال (كلاهما محسن لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)(١).

---

(١) رواه البخاري (٢٤١٠) الخصومات/ ما يذكر من الاشخاص والملازمة. وأحمد (١/٣٩٣ و٤١٢ و٤٥٦).

س- ما السبب الذي حدا بأبي بكر وعثمان إلى جمع القرآن؟

ج : الحامل لأبي بكر هو أنه قتل في موقعة اليمامة عدد كبير من القراء والذي خاف ذلك هو عمر رضي الله عنه وقد تردد أبو بكر كثيرا في ذلك حتى شرح الله صدره فأمر بجمعه.

وأما الحامل لعثمان فهو مخافة الفتنة باختلاف القراءة.

س- هل يجوز جمع الناس على القراءة بحرف واحد؟ دلل على ذلك.

ج : نعم لأن الصحابة أجمعوا على ذلك فإجماعهم سائغ لأنهم من الخطاء لأنهم لا يجتمعون على ضلالة ولم يكن في ذلك ترك لواجب ولا فعل لمحظور إذا كانت قراءة القرآن على سبعة أحرف جائزة لا واجبة رخصة من الله وقد جعل الاختيار إليهم في أي حرف اختاروه.

س- هل كان ترتيب السور والآيات اجتهادا أم توقيفا؟ دلل على ما تختار.

ج : ترتيب الآيات في كل سورة أمر توقيفي والدليل هو أن النبي ﷺ كان إذا نزلت آية قال (ضعوها في مكان كذا من السورة أي من سورة كذا)[1]. فهو منصوص على مكانها. وأما ترتيب السور في المصحف فهو أمر اجتهادي توفيقي.

والدليل على ترتيب السور بالاجتهاد هو اختلاف ترتيب مصاحف الصحابة فمثلا مصحف ابن مسعود على غير ترتيب مصحف عثمان وغيره.

س- ذكر البعض أن القراءة بالأحرف السبعة كانت أول الأمر ثم نسخت،

---

(١) إسناده ضعيف جدا رواه أبو داود (٧٥٦) والترمذي (٣٠٨٦) (٣٠٨٦) وأحمد (١/ ٥٧ - ٦٩). وراجع تعليق الشيخ أحمد شاكر على الحديث في المسند (٣٩٩)، وراجع ضعيف أبي داود للشيخ الألباني (١٦٨).

فما تقول في ذلك؟ مع بيان حقيقة ما نقل عن ابن مسعود من جواز قراءة القرآن بالمعنى؟

ج: أ - قيل إن الترخيص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام لما في المحافظة على الحرف الواحد من المشقة عليهم أولا. فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيرا أجمعوا على الحرف الذي كان في العرضة الأخيرة.

ب- وقال جماعة من الفقهاء وأهل الكلام إن المصحف العثماني مشتمل على الأحرف السبعة وقد اتفق الجميع على نقل المصحف العثماني وترك ماسواه أما من قال إن ابن مسعود كان يجوّز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه فإنما قال نظرت في القرّاء فرأيت قراءاتهم متقاربة إنما هو كقولكم هلم وأقبل وتعال فاقرؤوا كما علمتم.

س- من هو الروح الأمين المذكور في قوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[1]**؟ ولماذا سمي روحا؟**

ج: المراد به جبريل عليه السلام. وسمي روحا لأنه حامل الوحي الذي فيه حياة القلوب إلى محمد ﷺ.

س- ما المراد بالرسول في سورة التكوير ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾[2] وقوله في سورة الحاقة ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾[3] الآية؟

---

(١) سورة الشعراء: الآية/ ١٩٣.

(٢) سورة التكوير: الآيتان (١٩ - ٢٠).

(٣) سورة الحاقة: الآيتان (٤٠ - ٤١).

ج : الرسول في سورة التكوير (جبريل) والرسول في سورة الحاقة هو محمد (ﷺ).

س- ما حكم القول بخلق القرآن مع بيان مذهب السلف في هذا الباب.

ج : حكمه أنه كافر مخالف لجماعة المسلمين وإنما قال ذلك لينكر صفة الكلام ومذهب السلف أنه كلام الله نزل به جبريل على قلب محمد ﷺ وأنه متعبد بتلاوته فهو منزل غير مخلوق.

(تكفير أصحاب المعاصي والبدع من أهل القبلة)

س- قال الطحاوي (ولانكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله) ما الفرق بين هذا القول وبين القول بأننا لانكفر أحداً بكل ذنب؟ مع التوجيه؟

ج : الفرق بينهما هو أن **الأول** كأنه قال لايضر مع الطاعة معصية وهو قول المرجئة فهو نفي عام بمعنى أننا لانكفر مطلقاً على جميع الذنوب فيدخل فيه المنافقون وجاحدوا الواجبات فيكون مؤمنا. هذا صحيح باتفاق الأمة فإن المنافقين فيهم من هو أشد كفرا من اليهود والنصارى وجاحد الواجبات يستتاب ثلاثاً فإن تاب وإلا قتل.

الثاني: وهو لانكفر أحداً بكل ذنب فهذا نفي العموم أي نكفر بذنب دون ذنب فهذا تعبير لا غبار عليه.

س- هناك إشكال ورد على قول الطحاوي (ولانكفر أحداً بذنب مالم يستحله) أذكره مع بيان الجواب عنه.

ج : هناك إشكالان في قوله (مالم يستحله):

الأول: أنه يظهر من كلامه النفي العام من الذنوب العملية والعلمية.

والإشكال هو أن الشارح لم يكتف من المكلف في العمليات بمجرد العمل دون العلم ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل. وليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح بل أعمال القلوب أصل لأعمال الجوارح

وأعمال الجوارح تبع وأجاب الشارح بقوله (إلا أن يضمن ما لم يستحله بمعنى يعتقده وهذا لم يزل الإشكال بل لازال باقيا).

الثاني: ويرد إشكال على قوله (ولانكفر أحداً بذنب مالم يستحله) وهو أن الشارح سمى بعض الذنوب كفرا كقوله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1] وقول الرسول (من حلف بغير الله فقد كفر)[2] وأجاب الشارح بأن أهل السنة متفقون على أن مرتكب الكبيرة لايكفر كفراً مخرجاً عن الملة ولا يخرج من الإيمان خلافا للخوارج الذين يقولون إن مرتكب الكبيرة يكفر كفراً ينقل عن الملة والمعتزلة قالوا يخرج عن الإيمان ولا يدخل في الكفر فالله سبحانه قد سمى مرتكب الكبيرة مؤمنا قال تعالى ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ﴾[3] فهاهم أخوة لهم مع أنهم ارتكبوا ذنباً ولم يخرجهم به عما سمى الإيمان وهذا الجواب من الشارح على مذهب الأحناف القائل إن الكفر واحد ولكن الأولى أن يقال الكفر نوعان: عملي واعتقادي وأن هذه النصوص كفرت المرتكب للذنب عمليا لا اعتقادياً.

س- اذكر خلاف الناس في تكفير أهل المقالات وأهل الكبائر العملية والعقائد المخالفة للحق مع بيان الحق في هذا الباب وكيف ترد عليهم؟

ج : اختلف الناس في ذلك على أقوال أربعة :

الأول: المرجئة قالوا لانكفر أحداً من أهل القبلة فلا يضر مع الإيمان

---

(١) سورة المائدة: الآية (٤٤).

(٢) إسناده صحيح، أخرجه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وأحمد (٢/ ٦٩ - ٨٧ - ١٢٥).

(٣) سورة الحجرات: الآيتان (٩ - ١٠).

ذنب كما لاينفع مع الكفر طاعة واستدلوا بنصوص الوعد كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1] وقول الرسول ﷺ (إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)[2].

وفي الحديث القدسي (ياابن آدم لو آتيتني بقراب الأرض خطايا لاتشرك بي لأتيتك بقرابها مغفرة)[3] ويرد عليهم من وجوه على المرجئة:

١- أن أهل القبلة فيهم المنافقون الذين هم أشد كفراً من اليهود والنصارى كما جاء في الكتاب والسنة قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[4] فكيف لايكفر مثلا هؤلاء.

٢- أنه لاخلاف بين المسلمين أن الإنسان لو أنكر الواجبات الثابتة والمحرمات الثابتة ونحو ذلك أنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً. وكل من النفاق والردة باطنها البدع والفجور كما ذكر الخلال في كتاب السنة بسنده إلى محمد بن سيرين أنه قال أن أسرع الناس ردة أهل الأهواء وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[5].

الثاني: الخوارج والمعتزلة قالت المعتزلة يحبط إيمانه ويكون في الدنيا بمنزلة بين منزلتين وقالت الخوارج يحبط إيمانه ويكون في الدنيا

---

(١) سورة النساء: الآيتان (٤٨ - ١١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥) الصلاة المساجد في البيوت، ومسلم (٣٣) وأحمد (٤/ ٤٤) و(٥/ ٤٤٩).

(٣) حديث حسن، رواه الترمذي (٣٥٣٤) وأحمد (٥/ ١٧٢) وغيرهما (الصحيحة: ١٢٧).

(٤) سورة النساء: الآية (١٤٥).

(٥) سورة الأنعام: الآية (٦٨).

كافراً. واتفق الجميع على أنه مخلد في النار فعند المعتزلة الناس ثلاثة: مسلم «أو كافر» وفاسق وعند الخوارج الناس قسمان «مسلم أو كافر» واستدلوا بأدلة الوعيد مثل قوله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1] وقال الرسول ﷺ (لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)[2] الحديث ويرد عليهم من وجوه.

١- إن الله جعل مرتكب الكبيرة من المؤمنين قال ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[3] فسمي القاتل مؤمنا وجعله أخا لولي القصاص والمراد أخوه في الدين قطعا.

٢- إن الرسول ﷺ نهي عن لعن شارب الخمر حين جيء به فجلده الرسول قال لاتلعنوه فما علمت عليه شيئا يوجب لعنا ثم قال (أنه يحب الله ورسوله)[4] فدل على أن مرتكب الكبيرة ليس كافراً ولو كان كافرا لاستحق المعاداة الخالصة.

الثالث: بعض أهل الكلام والفقه والحديث قالوا يكفر في البدع الاعتقادية مطلقاً سواء كان متأولاً أو غيره، أما البدع العملية فلا يكفر بها واستدلوا بنصوص الوعيد ويرد عليهم من وجوه:

١- أنه لافرق بين الكبائر العملية والاعتقادية بل هم جنس واحد يكون الرجل مؤمنا ظاهرا وباطنا لكن تأول تأويلا أخطأ فيه فبهذا أو بشرط الذنب فلا يقال أنه خرج من الإسلام بمجرد ذلك إلا إن دل عليه دليل شرعي فهذا القول من جنس قول الخوارج والمعتزلة.

---

(١) سورة المائدة: الآية (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) المظالم/ النهي بغير إذن صاحبه. ومسلم (٥٧) وغيرها.

(٣) سورة البقرة: الآية (١٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٧٨٠) الحدود/ مايكره من لعن شارب الخمر.

٢- إن النصوص المتواترة دلت على أنه (يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان)[١].

٣- أنه يلزم عليه أن يكفِّر أقواما ليسوا في الباطن منافقين بل هم في الباطن مؤمنون ويحبون الله ورسوله وإن كانوا مذنبين كما جاء في (قصة شارب الخمر)[٢] الحديث.

الرابع: قول أهل السنة والجماعة إنه مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته فهم لايكفرون كل أحد يفعل الذنب لاحتمال أن عنده شبهة أما إن كان مكابرا فهم يحكمون بكفر من فعل مثل فعله ولايحكمون على مؤمن بالكفر.

س- تكلم عن اختلاف الناس في شأن البدع، مع بيان مذاهبهم في ذلك.

جـ : للناس في البدع مذهبان:

الأول: قول بعض أهل الكلام وقد تقدم في القول الثالث مع الرد عليهم.

الثاني: قول أهل السنة والجماعة هو أن الأقوال البدعية والمتضمنة نفي ما أثبت الرسول ﷺ أو إثبات ما نفاه أو الأمر بما نهى عنه أو النهي بما أمر به يقال فيها الحق ويثبت فيها الوعيد الذي دلت عليه النصوص وبينت أنها كفر ويقال من قالها فهو كافر ونحو ذلك.

س- هل يجوز تكفير المعين أم لا؟ وهل يستتبع ذلك الجزم بأنه من أهل الوعيد؟ وضح ذلك؟

جـ : لايجوز الشهادة على شخص معين أنه من أهل الوعيد ولا أنه كافر

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠) التوحيد/كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء. ومسلم (١٨٤).

(٢) سبق تخريجه قريباً.

لأن هذا من البغي والتعالي على الله ويدل على ذلك ماورد عن الرسول ﷺ من قصة الرجلين من بني إسرائيل (وأنه كان أحدهما مجتهدا والآخر مذنباً وكان ينهاه عن الذنب حتى وجده يوماً على ذنب فقال له أقصر قال خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لايغفر الله لك ولا يدخلك الجنة فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا أنت على ما في يدي قادر قال اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به إلى النار)[١].

والأسباب هي:

١- لأن الشخص المعين إما أن يكون مجتهداً مخطئا فهو مغفور له.

٢- أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ماورد في ذلك من النصوص.

٣- ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له الرحمة من الله كما غفر للذي قال (إذا مت فاسحقوني ثم ذروني ثم غفر له الله لخشيته)[٢] وكان يظن أن الله لايقدر على جمعه وإعادته أو شكَّ في ذلك.

س- هل يكون عدم تكفير المعين عند من لم يكفره مانعاً من عقوبته في الدنيا؟

ج: هذا التوقف في أمر الآخرة ولايمنعنا أن نعاقبه في الدنيا لمنع بدعته وأن نستتيبه فإن تاب وإلا قتلناه ثم إن كان القول في نفسه كفرا قيل أنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع ولايكون ذلك إلا إذا صار منافقا زنديقا.

---

(١) حديث حسن، أخرجه أبو داود (٤٩٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٨ - ٣٤٧٩ - ٣٤٨١) الأنبياء بعد باب حديث الغار، ومسلم (٢٧٥٦ - ٢٧٥٧).

س- ماهي أصناف الناس في كتاب الله؟

ج : أصناف الناس في كتابه ثلاثة أصناف وهم :

١- صنف مؤمن ظاهرا وباطنا .

٢- وصنف كفار من المشركين وأهل الكتاب وهم الذين لايقرون بالشهادة .

٣- صنف أقر به ظاهرا لا باطنا وهذه الأصناف مذكورة في أول سورة البقرة .

س- قال الطحاوي رحمه الله : (والإيمان هو الإقرار باللسان ، والتصديق بالجنان) اختلف الحنفية مع جمهور أهل السنة في تعريف الإيمان ، فما منشأ هذا الخلاف؟ وما ثمرته؟

ج : **الجمهور**: الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

الحنفية: إن الإيمان هو التصديق بالجنان وإقرار باللسان ويتبع التصديق عمل القلب فقط .

منشأ الخلاف هو أن الجمهور قالوا إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص والحنفية قالوا إن الإيمان التصديق ولا يدخل العمل في مسمي الإيمان وثمرة الخلاف تكون على أن قول من قال الإيمان يزيد وينقص قالوا الكفر على مراتب كفر دون كفر فمن فعل كبيرة قلنا إنه كفر كفرا عمليا لا اعتقاديا ومن قال الإيمان هو التصديق لايزيد ولاينقص قال الكفر مرتبة واحدة وهي الجحود فمن ارتكب كبيرة سميناه كافراً مجازاً إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة .

س- ما موقف كل من الجمهور والحنفية مما جاء من النصوص في التكفير على بعض المعاصي؟

ج : الجمهور قالوا إن الكفر فيها كفر عملي لا اعتقادي .

وأما الحنفية فإنهم قالوا الكفر فيها مجازي غير حقيقي لأن الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن المله وهذا بناء على مذهبهم أن الإيمان لايزيد ولاينقص.

س- ماجواب مرجئة الفقهاء عن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[1]. ؟

ج: قالوا هذه الآية نزلت فيمن مات قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فقال الحنفية إن الله سبحانه سمى الصلاة إيمانا مجازاً لتوقف صحتها على الإيمان أو لدلالتها على الإيمان إذ هي تدل على أن مؤديها مؤمن ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا صلى كصلاتنا.

س- إن الحكم بغير ما أنزل الله أحيانا يكون كفراً أكبر وأحياناً يكون كفراً أصغر أو مجازياً، وأحيانا يكون خطأ يثاب عليه اشرح هذا الكلام بالتفصيل؟

ج: هذا بحسب حال الحاكم.

أ- فإن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم فهذا كفر أكبر.

ب- وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه عاصٍ مستحق للعقوبة فهو فاسق ويسمى كفر أصغر عند الجمهور وكفرا مجازيا عند الحنفية.

ج- وإن جهل حكم الله في هذه الواقعة مع شدة حرصه في طلبه واستغراق وسعه في معرفة الحكم وأخطأ فهذا مخطىء له أجره على اجتهاده وخطؤه مغفور.

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٤٣).

س- ماهي الأمور التي لابد من تحقيقها لكي يرجو الإنسان الشيء، وإذا انتفى شيء منها فما الحكم؟

ج : الأمور هي:

١- محبة مايرجوه.

٢- خوفه من فواته.

٣- سعيه في تحصيله بحسب الإمكان والرجاء الذي لايفارقه شيء منها فهو من باب الأماني، والأماني شيء والرجاء شيء آخر.

س- ماهي الدواوين عند الله يوم القيامة؟

ج : هي كما روى في الحديث المرفوع[1]، الدواوين عند الله ثلاثة:

أ- ديوان لايغفر الله منه شيئا وهو الشرك بالله ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾[2].

ب- ديوان لايترك الله منه شيئا وهو مظالم العباد بعضهم لبعض.

ج- ديوان لايعبأ الله به وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه.

س- عرف الصغائر والكبائر من الذنوب؟ ومتى تصبح الصغيرة كبيرة والكبيرة صغيرة؟

ج : تعريف الكبيرة: هي ما ترتب عليها حد أو لعنة أو وعيد أو غضب.

والصغيرة: ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة.

وتكون الكبيرة صغيرة إذا اقترن بها حياء من الله وخوف واستعظام لها.

---

(١) إسناده ضعيف: رواه أحمد (٦/ ٢٤٠) والحاكم (٤/ ٥٧٥ - ٥٧٦) وراجع المشكاة (٥١٣٣، وله رواية أخرى حسنها الشيخ الالباني في الصحيحة (١٩٢٧) عن أنس مرفوعاً (الظلم ثلاثة فظلم لا يتركه الله وظلم يغفر وظلم لا يغفر فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد فيما بينه وبين ربه وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد فيقتص الله بعضهم من بعض) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده وأبو نعيم في الحلية.

(٢) سورة النساء الآية (٤٨ - ١١٦).

وتكون الصغيرة كبيرة إذا اقترن بها قلة حياء وعدم مبالاة وترك الخوف والاستهانة بها وهذا الشيء قدر زائد على مجرد الفعل مرجعه في القلب.

س- ماهي الأمور التي تسقط عن المرء عذاب جهنم؟

ج: ١- التوبة النصوح قال تعالى ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾[١] وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾[٢].

٢- الاستغفار قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾[٣].

٣- الحسنات لقوله عليه السلام (الحسنة بعشر أمثالها)[٤]، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٥] وقال عليه السلام (أتبع السيئة الحسنة تمحها)[٦].

٤- المصائب الدنيوية: قال عليه السلام: (ما يصيب المؤمن وصب ولا نصب ولا غم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر بها من خطاياه[٧].

٥- عذاب القبر.

٦- دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة بعد الممات.

---

(١) سورة مريم: الآية (٦٠) والفرقان (٧٠).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٦٠) وغيرها.

(٣) سورة الأنفال: الآية (٣٣).

(٤) البخاري (٤١) الإيمان/ حسن إسلام المرء. ومسلم (١٢٩). عن أبي سعيد وأبي هريرة.

(٥) سورة هود: الآية (١١٤).

(٦) حديث حسن - أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٥٣ و١٥٨) وغيرهما.

(٧) أخرجه البخاري (٥٦٤١)، المرضى / كفارة المرض. ومسلم (٢٥٧٣).

٧- ما يهدي إليه بعد الموت من ثواب وصدقة ونحوهما.

٨- أهوال يوم القيامة وشدائدها.

٩- ما ثبت في الصحيحين (أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض فإذا هذبوا ونفوا أذن لهم في دخول الجنة)[1].

١٠- شفاعة الشافعين.

١١- عفوه سبحانه من غير شفاعة قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[2].

س- هل يشترط لصحة التوبة من الذنب عموم التوبة من جميع الذنوب؟

ج: الصحيح أنه لا يشترط أما لو أسلم وهو مصر على الذنب كالزنا والخمر مثلا فالصحيح أنه لا بد أن يتوب توبة عامة من كل ذنب مع إسلامه.

س- ما الفرق بين الاستغفار والتوبة؟

ج: إذا ذكرت التوبة وحدها شملت الاستغفار فالتوبة تتضمن الاستغفار وهو يتضمنها إذا ذكر وحده هذا في حالة الافتراق أو عند الافتراق فالتوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

والاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى ونظيره الإسلام والإيمان والفقير والمسكين فيتحدان عند الافتراق ويفترقان عند الجمع.

س- متى يكون العبد مثابا على المصيبة، ومتى يأثم؟

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٠) المظالم / قصاص المظالم، وأحمد (٣/ ١٣ و٥٧ و٦٣ و٧٤) وغيرهما.

(٢) سورة النساء، الآيتان (٤٨ و١١٦).

ج : إذا صبر العبد على المصيبة أثابه الله أما إذا سخطها فهو يأثم فالصبر والسخط غير المصيبة فالمصيبة من فعل الله لا من فعل العبد وهي جزاء من الله للعبد على فعل ذنبه ليكفره بها والصبر والسخط من فعل العبد وهو إنما يثاب على فعله.

س- اذكر الدليل على أن الله يرزق من غير سبب؟

ج : الدليل قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

س- ما هو الرجاء المحمود والرجاء المذموم وما هو الخوف المحمود والمذموم؟ واذكر بعض الأدلة على مدح الرجاء والخوف المحمودين؟

ج : الرجاء المحمود رجاء عبد عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه ـ أو رجل أذنب ذنبا ثم تاب إلى الله فهو راج لمغفرته.

الرجاء المذموم: رجاء إنسان تمادى في الخطايا والتفريط وانتهاك المحرمات من غير خوف الله.

الخوف المحمود: هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله.

الخوف المذموم: هو الخوف الذي لا رجاء معه فهو يأس وقنوط ومن الأدلة على مدح الرجاء والخوف المحمودين قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[2].

س- إن الرجاء يستلزم الخوف والخوف يستلزم الرجاء. وضِّح ذلك.

ج : الرجاء يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان أمنا ـ والخوف يستلزم الرجاء ولولاه لكان قنوطا.

---

(١) سورة النساء: الآية (٤٠).

(٢) سورة الزمر: الآية (٩).

مبحث الإيمان

س- اختلف الناس في تعريف الإيمان. اشرح هذا الكلام مبينا مذهب كل فريق.

ج : للعلماء في ذلك خمسة أقوال:

الأول قول الجمهور: التصديق بالجنان وإقرار اللسان وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

الثاني الحنفية يقولون: التصديق بالجنان وإقرار باللسان ويتبع التصديق عمل القلب فقط أما الجوارح فلا دخل لها في مسمى الإيمان.

الثالث قول الماتريدي: تصديق بالجنان وعمل بالأركان واللسان ركن زائد.

الرابع الكرامية والمرجئة: الإقرار باللسان فقط.

الخامس الجهمية: هو المعرفة بالقلب.

س- اشرح لازم تعريف الكرامية للإيمان وحصرهم له بأنه الإقرار باللسان فقط؟

ج : عليه يلزم أن يكون المنافقون مؤمنين كاملي الإيمان ولكن قالوا إنهم مستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به وهو قول فاسد.

س- اشرح لازم تعريف الجهمية للإيمان بأنه معرفة القلب.

ج : يلزم على تعريف الجهمية للإيمان بأنه معرفة بالقلب أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين فإنهم عرفوا صدق موسى ولم يؤمنوا به ولهذا قال موسى لفرعون ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾[1] ويلزم أن أهل الكتاب مؤمنون بمحمد ﷺ فإنهم

---

(١) سورة الإسراء: الآية (١٠٢).

كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ولكنهم به كافرون ويلزم أن أبا طالب مؤمن لأنه كان يعترف بالرسول وإنما ترك الإيمان خشية العار قال لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا محبا مبينا.

ويلزم عليه أن إبليس مؤمن كامل الإيمان لأنه لم يجهل ربه بل هو عارف به قال الله تعالى حكاية عنه ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦﴾[1] وخلاصة الكلام أنه يلزم أن فرعون وقومه وأهل الكتاب وأبا طالب وإبليس كلهم مؤمنون لأن كل أولئك معترفون بقلوبهم ولكنهم مع ذلك لم يكونوا مؤمنين بل كفروا وكانوا أشد عداوة لله.

س- بم أجاب العلماء عما ورد من نصوص الوعد مثل (إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله)[2] وحديث (لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله)[3] وما القول الصحيح في شأنها مع التوجيه؟

ج : اختلف العلماء في ذلك على أقوال:

الأول: قيل إنها منسوخة.

الثاني: وقيل ذلك قبل ورود الأوامر والنواهي.

الثالث: حملها بعضهم على نار المشركين.

الرابع: أوَّلَ بعضهم الدخول بالخلود.

القول الصحيح: أن من قال هذه الكلمة وعمل بمقتضاها لا مجرد صورة هذه الكلمة فالرسول لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد النطق باللسان فقط وهذا معروف من الدين بالضرورة فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم ومع

---

(١) سورة الحجر: الآية (٣٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) اخرجه البخاري نحوه (١٢٨) العلم، من خص بالعلم قوماً، ومسلم (٢٩ و٢٣) وانظر تخريج الحديث الذي قبله (إن الله حرم على النار..).

ذلك فالمشركون في الدرك الأسفل من النار قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1].

س- اشرح ما الذي تتفاوت به الأعمال ووجه ذلك؟

ج: الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها إنما تتفاضل بما في القلوب ويدل ذلك حديث البطاقة[2] التي توضع في كفه ويقابل ذلك تسعة وتسعون سجلا كل منها مد البصر ومع ذلك ترجح بها البطاقة ولا يعذب صاحبها ومعلوم أن كل واحد له مثل هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار ـ ويدل عليه ما وقع في قلب البغي من الإيمان حيث نزعت موقها وسقت به الكلب من الركية فغفر لها[3] وذلك مثل العقل أيضا يقبل التفاضل وأهله في أصله سواء حيث أنهم مستوون في أنهم عقلاء غير مجانين وبعضهم مع ذلك أعقل من بعض ونحو ذلك.

س- ما هي أدلة الحنفية على مذهبهم أن الإيمان هو التصديق والإقرار دون العمل؟

ج: أدلة الحنفية على مذهبهم استدلوا بخمسة أدلة:

١- أن الإيمان مرادف للتصديق في اللغة فالإيمان هو التصديق.

٢- أنه ضد الكفر والكفر هو التكذيب والجحود.

والتصديق هو الإيمان بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[4] أي بمصدق لنا أن التصديق بتأويل الكذب وهو الكفر والجحود وهو ما في

---

(١) سورة النساء: الآية (١٤٥).

(٢) حديث صحيح. أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجة (٤٣٠٠) وأحمد (٢/٢١٣ و٢٢١ - ٢٢٢) وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦٧) الأنبياء/ بعد باب حديث الغار، ومسلم (٢٢٤٥).

(٤) سورة يوسف: الآية (١٧).

القلب وكذلك ما يضادهما بدليل ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1] ودلت على أن موضع الإيمان القلب لا اللسان.

٣- أنه لو كان يزيد وينقص للزم من ذهاب جزئه ذهاب كله.

٤- أن الله تعالى عطف العمل على الإيمان في آيات متعددة قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[2] والعطف يقضي المغايرة!

٥- ما رواه الليث السمرقندي عن أبي هريرة أن وفد ثقيف قال يا رسول الله هل الإيمان يزيد وينقص قال (لا الإيمان أن تعمل في القلب زيادته كفر ونقصانه شرك)[3].

س- بم يجاب على الحنفية في قولهم إن الإيمان مرادف للتصديق؟

ج : يرد عليهم ذلك من وجهين:

الأول: منع الترادف وهو من عدة طرق:

١- أن نقول هب الإيمان مرادفاً للتصديق في حال دون حال لما قلتم أنه مرادف له مطلقا باستدلالكم بالجزء على الكل باطل كمن استدل على كريم هزيل على كرم محمد مثلا.

٢- أن اللغة فرقت بين الإيمان والتصديق فالتصديق يتعدى بلا وساطة ومادة آمن لا يتعدى إلا بوساطة قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾[4] وقال: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

---

(١) سورة النحل: الآية (١٠٦).

(٢) سورة الشعراء: الآية (١٢٢٧) وسورة ص (٢٤)، والانشقاق (٢٥)، والبروج (١١) والتين (٦) والعصر (٣).

(٣) حديث موضوع. كما نقل الشارح عن الحافظ ابن كثير، وانظر تنزيه الشريعة (١/١٤٩).

(٤) سورة العنكبوت: الآية (٢٦).

(٥) سورة التوبة: الآية (٦١).

٣- التصديق يقال للغائب والمشاهد فمن أخبر عن شيء غائب قيل له صدقت ومن أخبر عن شيء مشاهد مثل من قال الشمس طالعة قيل صدقت ولا يصح أن يقال له آمنت لك ومادة آمن لا تستعمل إلا لمن غاب.

٤- أن التصديق يقابل التكذيب والإيمان يقابل الكفر فقد يوجد التصديق دون إيمان فأبو طالب مصدق بمحمد ولم يؤمن به.

الثاني: وهو من عدة طرق أيضا:

١- وهو أن نسلم بأنه مرادف جدلا ولكن نقول إن التصديق كما أنه يكون بالقول يكون بالفعل قال النبي ﷺ (العينان تزنيان وزناهما النظر والأذنان تزنيان وزناهما السمع والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)[١].

فسمي العمل تصديقا لذا سلمنا أن التصديق يكون بالأفعال لكن الإيمان تصديق مخصوص فإن الله لم يأمر بإيمان مطلق بل بإيمان خاص وصفه وبينه.

٢- أن الإيمان وإن كان تصديقا أو مرادفا له فهو تصديق خاص أي من شيء جزئي كما جاء ذلك في الصلاة ونحوها إذا سميت إيمانا فأطلق الإيمان على الأفعال والرسول سمى الزكاة ونحوها إيمانا فالتصديق الشرعي مكون من عموم وخصوص أما ما قلتموه فهو تصديق خاص.

٣- أن التصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح انتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم الذي هو الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣) الاستئذان/ زنا الجوارح. ومسلم (٢٦٥٧).

٤- أن اللفظ باق على معناه في اللغة ولكن الشارع زاد فيه أحكاما.

٥- أن يكون الشارع قد استعمله في معناه المجازي فهو حقيقة شرعية مجازي في اللغة ويكون الإيمان هو التصديق بالأقوال والأفعال لا التصديق فقط فالتصديق داخل في مسمى الإيمان نفسه.

سلمنا أن الشارع يريد فيه أحكاما لكن الشارع استعمله في معناه المجازي فهذا حقيقة شرعية مجازي لغوي.

س- بم يجاب على الحنفية في قولهم إن الإيمان ضد الكفر والتكذيب وهو الجحود؟

ج: نرد على ذلك من وجهين:

الأول: بأن يقال إن الرسول ﷺ موافق لنا على معاني الإيمان مع علمنا من مراده علما ضروريا أن من صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان مع قدرته على ذلك أنه ليس بمؤمن. كما علمنا أنه رتب الفوز والفلاح على التكلم بالشهادتين مع إخلاص العمل بمقتضاها فالإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق أما الإيمان أصلا له شعب متعددة وكل منها تسمى إيمانا فالصلاة إيمان كذلك الحج وغيره والأعمال الباطنة تسمى إيمانا فالحياء والتوكل والخشية ونحوه ومن الأدلة مثل قوله عليه السلام (البذاذة من الإيمان)[1] إلى غير ذلك من الأحاديث مثل حديث (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[2]. والأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل.

---

(١) حسن، رواه أبو داود (٤١٦١) وابن ماجة (٤١١٨) وغيرهما، والبذاذة: هي التواضع في اللباس وترك التبجح به.

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) وابو داود (١١٤٠ و٤٣٤٠) والترمذي (٢١٧٢) والنسائي (٨/ ١١١ - ١١٢) وابن ماجة (١٢٧٥ و٤٠١٣) وغيرهم.

الثاني: مقول القول قسمان وقول القلب وهو الإعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بالشهادة والعمل قسمان عمل القلب بنية وإخلاص وعمل الجوارح فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله وإذا زال تصديق القلب زال الباقي فهو محل الخلاف ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب ويلزم من طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة قال ﷺ (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ألا وهي القلب . .)[1] ومن صلح قلبه صلح جسده بلا عكس.

س- تقول الحنفية إنه إذا ذهب بعض الإيمان ذهب كله، فكيف تجيب عليهم؟

ج : يقال إن أريد بذلك أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت فسليم ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء فيزول عنه الكمال فقط فإن شعب الإيمان البضع والسبعين منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعا كشعبة الشهادتين ومنها ما لا يزول إجماعا كإزالة إماطة الأذى عن الطريق ومنها شعب متفاوتة تفاوتا عظيما ومنها ما يقرب من شعبه الشهادتين ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى عن الطريق.

س- تستدل الحنفية على التغاير بين الإيمان والعمل بأن الله تعالى عطف العمل على الإيمان. فكيف ترد عليهم؟

ج : يقال لهم إن الإيمان يذكر تارة مطلقاً عن العمل وعن الإسلام وتارة يقرن بالعمل الصالح وتارة يقرن بالإسلام فالمطلق مستلزم للأعمال قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[2] وقال ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢) الإيمان/ فضل من استبرأ لدينه. ومسلم (١٥٩٩) وغيرهما.

(٢) سورة الأنفال: الآية (٢).

﴿ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[1] وقال ﷺ (لا تؤمنوا حتى تحابوا)[2] ، وقال (من حمل علينا السلاح فليس منا)[3] أما إذا عطف عليه العمل الصالح فإن عطف الشيء على الشيء يقضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الإشتراك في الحكم الذي ذكر لهما.

س- ماهي مراتب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه؟

ج : له أربع مراتب وهي :

١- أعلاها أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر ولاجزءا منه ولابينهما تلازم مثل قوله تعالى ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾[4] وهذا هو الغالب.

٢- أن يكون بينهما تلازم لقوله تعالى ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾[5].

٣- عطف بعض الشيء عليه نحو قوله تعالى ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[6]. وهنا وجهان :

١- أن يكون داخلاً في الأول فيكون مذكورا مرتين.

٢- إن عطفه عليه يقتضي أنه ليس فيه وإن كان داخلا فيه منفرداً.

٤- عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين كقوله تعالى ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾[7].

---

(١) سورة المائدة: الآية (٨١).

(٢) أخرجه مسلم (٥٤) وأبو داود (٥١٩٣) والترمذي (٢٦٨٨) وابن ماجة (٦٨ و٣٦٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٧٤) الديات/ باب قول الله تعالى ﴿ومن أحياها..﴾ ومسلم (١٠١).

(٤) سورة آل عمران: الآية (٣).

(٥) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٦) سورة البقرة: الآية (٢٣٨).

(٧) سورة غافر: الآية (٣).

س- استدلت الحنفية بحديث[1] أبي الليث السمرقندي على أن الإيمان لايزيد ولاينقص، فبم رد عليهم الجمهور؟

ج : رد ذلك أن الحديث ضعيف فقد سئل ابن كثير عنه فقال إن الإسناد من أبي الليث إلى أبي مطيع مجهول لايعرفون منه شيئاً من كتب التاريخ المشهور.

س- ماهو جواب النسفي عن حديث (الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة)؟[2] وما الموقف منه؟؟

ج : أجاب عن استدلال الجمهور بحديث (شعب الإيمان) هذا بجوابين:

الأول: إن الراوي شهد بغفلة نفسه حيث شك فقال بضع وسبعون ولايظن بالرسول الشك.

الثاني: إن الحديث مخالف الكتاب والموقف من هذا: إن طعنه بالحديث بغفلة الراوي لا يسلم له فإن تردد الراوي بين الستين والسبعين لايلزم عدم ضبطه مع أن البخاري رواه «بضع وستون» من غير شك.

وأما الطعن بمخالفة الكتاب فيقال إن الكتاب فيه مايدل على وفاقه وليس فيه مايدل على خلافه وإنما هذا الطعن من ثمرة شؤم التقليد والتعصب.

س- اذكر بعضا من الأدلة من الكتاب والسنة وكلام السلف تثبت زيادة الإيمان ونقصانه؟؟

ج : قال تعالى ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[3] وقوله ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾[4] وقوله **﴿ويزيد الله الذين اهتدوا**

---

(١) سبق الكلام عليه قريباً.

(٢) البخاري (٩) الإيمان/ أمور الإيمان. ومسلم (٣٥).

(٣) سورة الأنفال: الآية (٢).

(٤) سورة المدثر: الآية (٣١).

هدى﴾[1] ومن السنة في النساء، قوله عليه السلام (مارأيت من ناقصات عقل ودين)[2] أي النساء وحديث شعب الإيمان[3] وحديث الشفاعة (أنه يخرج من في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان)[4] الحديث.

ومن كلام السلف أن عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه (هلموا نزداد إيمانا فيذكرون الله)[5] وإن ابن مسعود يقول في دعائه (اللهم زدنا إيمانا)[6] وكان معاذ يقول (اجلس نؤمن ساعة)[7].

س- بم أجاب الحنفية عن الأدلة المصرحة بزيادة الإيمان ونقصانه مثل قوله ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾[8]؟

---

(١) سورة مريم: الآية (٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤) الحيض/ ترك الحائض الصوم ومسلم (٧٩).

(٣) سبق تخريجه قريباً.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه ابن ابي شبية في الإيمان (١٠٨) وضعفه الشيخ الألباني لأن ذرا وهو ابن عبدالله المرهبي لم يدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه (حاشية كتاب الإيمان لابن ابي شيبة ص ٣٦).
والأثر أخرجه ابن بطة في الابانة/ كتاب الإيمان (١١٣٤). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٧٠٠).
والبيهقي في شعب الإيمان (٣٧) كلها من طريق ذر بن عبدالله، ولكنه روى من طريق زر بن حبيش كما في المصنف لابن أبي شيبة (٣٠٣٥٧) بتحقيق محمد عبدالسلام شاهين. والشريعة للآجرى (١٠٨ - ١٠٩) بتحقيق محمد حامد فإن كان من طريق زر بن حبيش فالأثر صحيح. وإن كان من طريق ذر بن عبدالله فهو ضعيف. والله أعلم.

(٦) أثر صحيح رواه عبدالله بن احمد في السنة (٩٧) والطبراني في الكبير (٨٥٤٩) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٨٥) إسناده جيد وأخرجه الآجري في الشريعة (١٠٩) واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١٧٠٤).

(٧) أثر صحيح علقه البخاري في أول كتاب الإيمان ووصله عبدالله بن أحمد في السنة (٩٦، ١٠٢) وابن أبي شيبة في الايمان (١٠٥) وفي المصنف (٣٠٣٥٤) وابن بطه في الإبانة/الإيمان (١١٣٥) واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١٧٠٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤)، وقال الشيخ الألباني إسناده صحيح.

(٨) سورة الفتح: الآية (٤).

ج : قالوا الزيادة في ذلك ونحو ذلك باعتبار زيادة المؤمن به وفيه نظر.

س- ما أقوى وأصرح الأدلة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان؟؟

ج : هو ماجاء في الصحيح من قول الرسول ﷺ لوفد عبد قيس (آمركم بالإيمان بالله وحده أتدرون ما الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا الخمس من المغنم)[1] فعلم أن هذه الأعمال مع إيمان القلب هي الإيمان.

وليس فيها ذكر المنافقين ثم قال بعد ذلك ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾[2] ولو كانوا منافقين مانفعتهم الطاعة ثم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾[3] والمراد علم أن هؤلاء هم الكاملو الإيمان لا أنتم فانتفى عنكم الإيمان الكامل ويؤيد هذا أنه أذن لهم أن يقولوا أسلمنا والمنافق لايقول له ذلك ولو كانوا منافقين لنفي عنهم الإسلام كما نفي عنهم الإيمان فأثبت لهم الإسلام ونهاهم أن يمنوا به على رسوله ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً لقال لم تسلموا بل أنتم كاذبون كما كذب المنافقون في قوله ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ۝١﴾[4].

س- ما المقصود بشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)؟

ج : إذا افترقا كما في قول الرسول ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله)[5] فمن قالها لايستحق العصمة إلا إذا قالها وقام بحقها ولايتم له ذلك إلا لمن صدق بالرسالة ومن شهد أن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣) الإيمان/ أداء الخمس. ومسلم (١٧) وغيرهما.

(٢) سورة الحجرات: الآية (١٤).

(٣) سورة الحجرات: الآية (١٥).

(٤) سورة المنافقون: الآية (١).

(٥) أخرجه البخاري (٢٥) الإيمان/ باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة)، ومسلم (٢٢) وغيرهما.

محمد رسول الله لايكون قائماً لها حق القيام إلا إذا صدق فيما به متضمن التوحيد أما إذا اجتمعا كان المراد من شهادة لا إله إلا الله إثبات التوحيد ومن شهادة أن محمد رسول الله إثبات الرسالة.

س- إختلف العلماء في حكم الاستثناء في الإيمان وضح هذا؟

ج : للناس في ذلك ثلاثة أقوال:

١- قيل يجب.

٢- قيل حرام.

٣- والراجح جوازه باعتبار وعدم جوازه باعتبار.

س- ما دليل من أوجب الاستثناء في الإيمان وبم ترد عليه؟

ج : من أوجبه له مأخذان **الأول**: أن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان والإنسان إنما يكون مؤمنا أو كافرا باعتبار الوفاة وما سبق في علمه أن يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به والإيمان الذي يعقبه الكفر فيموت صاحبه كافرا ليس بإيمان كالصلاة التي أفسدها صاحبها قبل الكمال ـ الرد عليهم.

١- يلزم على قولهم أن الله يحب بالأزل من كان كافراً إذا علم أنه يموت مؤمنا فالصحابة كانوا محبوبين قبل إسلامهم وإبليس والمرتد عن دينه لايزال الله يبغضه وإن كان لم يكفر بعد.

٢- وهذا ليس قول السلف ولا كان يقول بهذا من يستثنى من السلف في الإيمان وهذا باطل.

٣- قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[1] فأخبر أنه يحبهم وإن اتبعوا الرسول فاتباع الرسول شرط في المحبة والمشروط يتأخر عن الشرط.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٣).

٤- وهو مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون في إيمانهم وهو أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله وترك مانهاه عنه الله فإذا قال الرجل (أنا مؤمن) فقد شهد لنفسه أنه من أولياء الله المقربين القائمين بجميع الأوامر والتاركين لكل النواهي وهذا من تزكية الإنسان لنفسه ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي أن يشهد له بالجنة إن مات على هذه الحالة واحتجوا أيضاً بجواز الاستثناء فيما لاشك فيه مثل قوله تعالى ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[1] وقول الرسول ﷺ (وإنا إن شاء الله بكم لاحقون)[2] وذلك حين وقف على المقابر والرسول لم يكن شاكا ولكنه يعلم أنه واجب.

س- ما جواب من حرم الاستثناء عن الاستثناء في قوله (لتدخلن المسجد) وما جواب العلماء عليهم؟ اشرح ذلك مع التدليل لما تختار؟

ج : كل من جعل الإيمان شيئاً واحداً فيقول أعلم أني مؤمن كما أعلم أني تكلمت بالشهادة فقولي أنا مؤمن كقولي أنا مسلم فمن استثنى في إيمانه فهو شاك وسموا المستثنين الشكاكة. وجوابهم عن الاستثناء في الآية بجوابين:

١- بأن الاستثناء في الآية يعود إلى الأمن والخوف أما الدخول فلا شك فيه، وقيل لتدخلن جميعكم أو بعضكم لأنه علم أن بعضهم يموت. والرد عليهم:

بأنهم وقعوا فيما فروا منه فأما الأمن والخوف فقد أخبرهم أنهم يدخلون آمنين مع علمه بذلك فلا شك في الدخول ولا في الأمن ولا في دخول الجميع أو البعض فإن الله قد علم من يدخل.

---

(١) سورة الفتح: الآية (٢٧).

(٢) رواه مسلم (٢٤٩) وأبو داود (٣٢٣٧) وغيرهما.

وإنما يجاب عن الآية بما يأتي:

١- هذا تحقيقاً للدخول كمن قال (والله لأفعلن كذا إن شاء الله) لايقولها شكا.

٢- وإن قال ذلك تعليما لنا كيف نستثني إذا أخبرنا عن المستقبل وفي كون هذا مراداً من النص نظر لأنه لم يسبق الكلام له إلا أن يكون مراداً من إشارة النص.

وأجاب الزمخشري بجوابين ـ ظاهري الفساد:

١- وهو أن الملك قد قال له فأثبت قرآنا.

٢- أو أن الرسول قاله وهذا مايلزم أن يكون القرآن غير كلام الله فيدخل في وعيد من قال ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾[1] وقانا الله ذلك.

س- اذكر القول الراجح في موضوع الاستثناء ثم بين متى يجوز ومتى يمتنع؟

ج: الأرجح من جواز الاستثناء تركه لأنه أقوى دليلا من الفريقين وخير الأمور أوسطها ويمتنع الاستثناء إذا أراد المستثني الشك في أصل الإيمان ويجوز في أحوال:

١- إذا أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله بقوله ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[2].

٢- من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة.

---

(١) سورة المدثر: الآية (٢٥).

(٢) سورة الحجرات: الآية (١٥).

٣- من استثنى تعليقا للأمر بمشيئة الله لاشاكا في إيمانه.

«خبر الآحاد والمتواتر»

س- قال الطحاوي (وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق) اشرح مقصوده بذلك، ثم بين مايقصده الجهمية والمعطلة من قولهم إن التواتر وإن كان قطعي السند إلا أنه ليس قطعي الدلالة؟

ج: يشير بذلك إلى الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة القائلين بأن الأخبار قسمان.

المتواتر والآحاد قالوا المتواتر وإن كان قطعي السند غير أنه ليس قطعي الدلالة فإن الدلالة اللفظية لاتفيد اليقين وقصدوا بذلك القدح في دلالة القرآن على الصفات.

س- اختلفت المعطلة والرافضة في دلالة المتواتر والآحاد هل يحتج بالآحاد أم لا؟ اشرح ذلك مع بيان موقف السنة من ذلك؟

ج: موقفهم من المتواتر تقدم في السؤال المتقدم. أما الآحاد فقالوا لايفيد العلم ولا حتى يحتج بها من جهة طريقها ولامن جهة متنها وهذا باطل لأنهم أفسدوا على القلوب معرفة الرب وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول ﷺ وأحالوا الناس إلى قضايا وهمية ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية وبراهين يقينية وهي في التحقيق ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾[1].

وأما أخبار الآحاد من جهة الاحتجاج وهو أن كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته وماظنه معقولاً فيما وافقه قال أنه محكم وقبله واحتج به وما خالفه قال إنه متشابه ثم رده تفويضاً أو حرفه ويسمي تحريفه تأويلاً.

---

(١) سورة النور: الآية (٣٩).

وموقف أهل السنة: أنهم لايعدلون عن النصوص الصحيحة ولايعارضون بالمعقول أو قول الإنسان. وما قاله الحميدي (كنا عند الشافعي فأتاه رجل فسأله عن مسألة فقال قضى فيها رسول الله ﷺ بكذا فقال الرجل للشافعي ماتقول أنت فقال سبحان الله تراني في كنيسة تراني في بيعة تراني على وسطى زنار؟ أقول لك قضي رسول الله ﷺ وأنت تقول ماتقول أنت)[١]. ونظائره من كلام السلف كثيرة وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٢].

س- ما الذي يفيده خبر الآحاد عند أهل السنة؟ وجِّهْ ذلك وأورد أمثلة عليه مع ذكر أدلة المحتجين به.

ج: عند الجمهور أن خبر الواحد إذ تلقته الأمة بالقبول عملا به وتصديقا له يفيد العلم اليقيني. وهذا أحد قسمي المتواتر ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع ومثاله حديث عمر (إنما الأعمال بالنيات)[٣] وخبر ابن عمر(نهى عن بيع الولاء وهبته)[٤] وخبر أبي هريرة(لاتنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها):[٥] وحديث (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)[٦] وحجة من استدل بالآحاد:

١- (خبر من أتى مسجد قباء وأخبرهم بتحويل القبلة واستداروا إليها)[٧] وكان الرسول ﷺ يرسل رسله آحاداً ويرسل كتبه مع

---

(١) الخبر في حلية الأولياء (٩/ ١٠٦) ومناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤٧٤ وغيرهما.

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٣٦).

(٣) البخاري (١) كتاب الوحي/كيف كان بدء الوحي. ومسلم (١٩٠٧) وغيرهما.

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٣٥) العتق/بيع الولاء وهبته. ومسلم/(١٥٠٦) وغيرهما.

(٥) أخرجه البخاري (٥١٠٩) النكاح/ لا تنكح المرأة على عمتها. ومسلم (١٤٠٨) وغيرهما.

(٦) أخرجه البخاري (٢٦٤٥) الشهادات/ الشهادة على الأنساب. ومسلم (١٤٤٧) وغيرهما.

(٧) أخرجه البخاري (٤٠٣) الصلاة/ باب ما جاء في القبلة، ومسلم (٥٢٦) وغيرهما.

الآحاد ولم يكن المرسل إليهم يقولون لانقبله لأنه خبر واحد.

٢- قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾(١) فلا بد أن يحفظ الله حججه وبيناته على خلقه لئلا يبطل حججه وبيناته على خلقه ومن أجل ذلك فضح الله من كذب على الرسول في حياته وبعد وفاته وبين حاله للناس قال سفيان بن عيينه ماستر الله أحداً يكذب في الحديث. وقال عبدالله بن المبارك لو هَمَّ رجل في البحر أن يكذب في الحديث لأصبح والناس يقولون كذاب ولكن من وقف على سيرة الرواة وقف على شدة حذرهم من الزلل وكانوا بحيث لو قتلوا لم يسامحوا أحداً بكلمة ينقلونها على الرسول ﷺ ولافعلوا بأنفسهم ذلك وقد نقلوا هذا الدين إلينا كما نقل إليهم فهم حماة الإسلام وعصابة الإيمان ونقاد الأخبار فمن ظهر له ذلك ظهر له العلم فيما نقلوه ورووه.

س- إلام يستند النفاة في نفيهم لظاهر الأحاديث الصحيحة؟

ج: مستندهم في رد الأحاديث الصحيحة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(٢) فكل ماجاءهم حديث يخالف قواعدهم وآراءهم وما وضعته خواطرهم وأفكارهم ردوه بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(٣) تلبيساً منهم. وتدليساً على من هو أعمى قلباً منهم وتحريفاً لمعنى الآي عن مواضعه ففهموا من أخبار الصفات ما لم يرده الله ولا رسوله ولا فهمه أحد من أئمة الإسلام أنه يقتضي إثباتها التمثيل بما للمخلوقين ثم استدلوا على بطلان ذلك بقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(٤).

---

(١) سورة التوبة: الآية (٣٣).

(٢، ٣، ٤) سورة الشورى: الآية (١١).

س- اشرح ما الذي لزم من قول النفاة ما وقعوا فيه من الضلال؟

ج : وقعوا في مفاسد منها :

١- إنهم حرفوا النصين .

٢- وضعوا الكتب ونسبوها إلى الله .

٣- فسروا كثيراً من القرآن بمجرد تلاوات من غير تدبر لمعناه .

س- هناك وجه شبه بين النفاة وأهل الكتاب، وضحه مستندا إلى القرآن في جوابك؟

ج : وجه الشبه :

١- أنهم حرفوا النصوص كما فعل ذلك أهل الكتاب قال الله فيهم ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١] .

٢- أنهم لايعلمون الكتاب إلا أماني أي مجرد تلاوته ويفسرون معناه من غير تدبير له كما أخذ رسوله أنه المعنى الذي أراده الله كما أن حال أهل الكتاب كانت كذلك وقال الله فيهم ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[٢] .

٣- أنهم نسبوا إلى الله ما ليس من عنده وصنفوا الكتاب بذلك كأن أهل الكتاب كانوا كذلك قال الله فيهم ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٣] .

---

(١) سورة البقرة: الآية (٧٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (٧٨).

(٣) سورة البقرة: الآية (٧٩).

س- إلى أي شيء يشير الشيخ الطحاوي بقوله (من الشرع والبيان)؟؟

ج : يشير بذلك إلى أن ما صح عن الرسول ﷺ نوعان:

١- شرعي ابتدائي.

٢- وبيان لما شرعه الله في كتابه العزيز وجميع ذلك واجب الاتباع وقيل شرع تأيدي.

الإيمان والإسلام

س- اختلف الناس في مسمى الإسلام والمراد به. اذكر القول الصحيح مع التوجيه.

جـ : اختلف في ذلك على ثلاثة أقوال:

١- قيل الإسلام هو الكلمة.

٢- وقيل الإسلام مرادف للإيمان.

٣- والذي عليه أهل السنة أنهما إذا اجتمعا فسروا الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة أما إذا افترقا فإنه يتضمن كل منهما الآخر فقد يكون مع الإسلام مؤمنا بلا نزاع وهذا هو الواجب وهو الراجح بدليل حديث جبريل[1] حيث فسر الرسول ﷺ الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأصول الخمسة. أنه يروي في كلام الرسول ﷺ والعرب كثير من الألفاظ التي كان الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا مثل الكفر والنفاق ومثل لفظ التوبة والاستغفار ولفظ الفقير والمسكين. ونها قوله تعالى ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[2].

س- يرى البعض أن الإسلام والإيمان مترادفان، فما دليلكم؟ وكيف ترد عليهم؟

جـ : استدلوا:

١- أنه لو كان الإسلام هو الأمور الظاهرة والإيمان الأمور الباطنة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة الحجرات: الآية (١٤).

لما قوبل الإيمان بالأمور الظاهرة في حديث عبد القيس الذي قال فيه (آمركم بالإيمان بالله وحده أتدرون ما الإيمان بالله وحده شهادة ألا إله إلا الله.. الحديث)[1] فلو كان كذلك لقابله بالأمور الباطنة لكنه قابل الإيمان بالأمور الظاهرة فدل على أنهما مترادفان ويرد هذا الدليل بأنهما إذا افترقا دخل أحدهما في الآخر أما إذا اجتمعا فإنه يراد بكل واحد معنى وليسا مترادفين مع تلازمهما.

٢- إذا آمن الإنسان ولم يسلم أو بالعكس فماذا يحكم عليه في الدنيا والآخرة فمن أثبت لأحدهما حكما ليس ثابتا للآخر ظهر بطلان قوله ويرد ذلك:

أن يقال هذا على أن المسلم هو المؤمن والله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[2] فجعلهما متغايرين. وقيل للرسول (ما لك عن فلان والله إني لا أراه مؤمنا؟ قال أو مسلما)[3] ثلاثا فأثبت له الإسلام وتوقف في اسم الإيمان فالإسلام فرق بينهما فدل أنهما إذا اجتمعا افترقا ومن قال أنهما سواء فهو مخالف والواجب رد النزاع إلى كتاب الله وسنة رسوله، واحتجوا لقوله ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[4] فقد دلت الآية على ترادفهما.

فيرد بأنه لا حجة فيها لأن أهل البيت كانوا متصفين بالإسلام والإيمان ولا يلزم من الإتصاف بهما ترادفهما.

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سورة الأحزاب: الآية (٣٥).
(٣) أخرجه البخاري (٢٧) الإيمان/ باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، ومسلم (١٥٠).
(٤) سورة الذاريات: الآيتان (٣٥ - ٣٦).

س- ما موقف الذين قالوا بترادف الإسلام والإيمان من حديث جبريل وآية الحجرات ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾[1] وكيف ترد عليهم؟

ج : جعلوا معنى قول الرسول ﷺ (الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة. الحديث)[2] شعائر الإسلام ويرد عليهم:

١- بأن الأصل عدم التقدير.

٢- ثم هم قالوا الإيمان هو التصديق بالقلب وقالوا الإسلام والإيمان شيء واحد فلزم أن يكون الإسلام هو التصديق على قولهم وهذا ما لم يقله أحد من أهل اللغة وإنما هو الانقياد والطاعة قال الرسول ﷺ (اللهم لك أسلمت وبك آمنت)[3] فسمي الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأصول الخمسة فليس لنا إذا جمعنا بينهما أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ وأجابوا عن آية الحجرات بأن قوله ﴿**أسلمنا**﴾ أي انقدنا بظواهرنا فهم منافقون حقيقة - وأجيب بأنهم غير كاملي الإيمان لأنهم أهل سباب وفسوق وعصيان كما نفى الإيمان عن القاتل والزاني وغيرهما ويؤيد هذا سياق الآية فإن من أولها هنا في النهي عن المعاصي وأحكام بعض العصاة وليس فيها ذكر المنافقين.

س- قال الشيخ الطحاوي في حقيقة الإيمان: «وأهله في أصله سواء» والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الهوى وبملازمة الأولى وفي بعض النسخ (بالخشية والتقى بدل الحقيقة) فما الفرق بين اللفظين؟

ج : الفرق أنه أراد بالأولى أن الكل مشتركون في أصل التصديق به ولكن

---

(١) سورة الحجرات: الآية (١٤).

(٢) متفق عليه وسبق تخريجه (حديث جبريل عليه السلام) واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه البخاري (١١٢٠) التهجد/ التهجد بالليل. ومسلم (٧٦٩) وغيرهما.

يكون بعضه أقوى من بعض ومثل ذلك البصر بعض الناس أقوى من بعض مع أنهم مشتركون في أصله وفي اللفظ الثاني يشير إلى التفاوت بين المؤمنين بأعمال القلوب وأما التصديق فلا تفاوت فيه والمعنى الأول أظهر قوةً. والله أعلم بالصواب.

«الولايــة»

س- ما المراد بالولاية في اللغة والشرع وما شرطهما؟

ج : الولاية في اللغة بفتح الواو منها العداوة وقد قرأ حمزة ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[1] بالكسر وقرأ الباقون بالفتح وقيل هما لغتان بالفتح النصرة وبالكسر الإمارة قال الزجاج وجاز الكسر لأن في تولي بعض القوم بعضا جنسا من الصناعة والعمل وكل ما كان كذلك كان مكسور الفاء مثل الخياطة.

وفي الشرع: هي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه ليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تملق ولا رياضة.

شرط الولاية: الإيمان بالله والتقوى.

س- ما أقسام أولياء الله عند الجمهور وأدلة ذلك؟ عرِّف من هو الولي وما الفرق بين ولاية المخلوق للمخلوق وولاية الخالق للمخلوق؟

ج : أقسام أولياء الله قسمان:

١- مقتصدون وهم الذين يتقربون إلى الله بالفرائض وترك المحرمات ولا يفعلون المندوبات من أعمال القلوب والجوارح.

٢- مقربون وهم السابقون الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ويتركون المحرمات والمكروهات ويفعلون المندوبات.

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٧٢).

وأدلة ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (يقول الله تعالى من عاد لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولأن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته)[1] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[2].

والولي: خلاف العدو وهو مشتق من الولاء وهو الدنو والتقرب فولي الله هو من والى الله بموافقته في محبوباته والتقرب إليه بمرضاته.

والفرق بين ولاية المخلوق للمخلوق وولاية الخالق للمخلوق: أن ولاية الخالق للمخلوق ولاية تكون من رحمته وإحسانه ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجته إليه قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾[3] فالله سبحانه ليس له ولي من الذل بل لله العزة جميعا.

خلاف المخلوق للمخلوق فإن الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذله وحاجته إلى ولي ينصره.

س- اذكر بعض الأدلة على الولاية وهل يجتمع في المؤمن ولاية من وجه

---

(١) البخاري (٦٥٠٢) الرقاق/ التواضع.

(٢) سورة فاطر: الآية (٣٢).

(٣) سورة الاسراء: الآية (١١١).

وعداوة من وجه وكيف تجيب عما يروى مرفوعا إلى النبي ﷺ (ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي الله لا هم يدرون به ولا هو يدري بنفسه؟)[1].

ج: الأدلة هي: قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[2] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾[3] الآية. وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾[4].

وحديث أبي هريرة في صحيح البخاري المتقدم (من عاد لي وليا فقد بارزني بالمحاربة) ويجتمع في المؤمن ولاية من وجه وعداوة من وجه كما قد يكون فيه كفر وإيمان وشرك وتوحيد وتقوى وفجور ونفاق وإيمان أما ما يروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال (ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي لله... الخ) فلا أصل له وهذا كلام باطل فإن الجماعة قد يكونون كفارا وقد يكونون فساقا ويموتون على الفسق.

س- ما أنواع الكرامات ولمن تكون الكرامة؟

ج: نوعان:

١- مكاشفات. أي اطلاع على بعض المغيبات الجزئية بالإلهام أو

---

(١) لا أصل له، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١/ ٦٠) من الأكاذيب ليس في شيء من دواوين الإسلام وكيف والجماعة قد يكونون كفاراً أو فساقاً يموتون على ذلك. انتهى. وقال الملا علي القارئ في الأسرار المرفوعة (٤٢٠): لا أصل له وهو كلام باطل فإن الجماعة قد يكونون فجاراً يموتون على الكفر أو الفجور.

(٢) سورة يونس: الآية (٦٢).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٥٧).

(٤) سورة محمد: الآية (١١).

المنام وليس هذا في علم الغيب إطلاقاً.

٢- وتأثيرات. أي إذا دعى الله تعالى لشفاء سقم وهلاك شخص فقد يستجاب له مثلا وليس هذا من التصرف في الكون من شيء.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[١] قال أبو ذر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ (يا أبا ذر لو عمل الناس بهذه الآية لكفتهم)[٢] فالمتقون يجعل الله لهم مخرجا مما ضاق على الناس ويرزقهم من حيث لا يحتسبون فيدفع عنهم المضار ويجلب لهم المنافع ويعطيهم الله أشياء يطول شرحها من المكاشفات والتأثيرات وتكون الكرامة لأولياء الله المتقين.

---

(١) سورة الطلاق: الآيتان (٢ - ٣).

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه ابن ماجة (٤٢٢٠) وأحمد في الزهد (١٨٢ - ١٨٣) والمسند (٥/ ١٧٨) والحاكم (٢/ ٤٩٢) وغيرهم.

حقيقة الإيمان

قال الطحاوي: «والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى».

س- عرف معنى الإيمان لغة واصطلاحا؟

ج: الإيمان لغة مصدر(*) من يؤمن إيمانا، فهو مؤمن، إذا صدق قال في لسان العرب «اتفق العلماء من اللغويين وغيرهم على أن الإيمان في اللغة هو التصديق، أما في الاصطلاح، فقد اختلف العلماء فيه على أقوال عدة نقتصر منها على أهمها:

أ- يرى جمهور العلماء أن الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالجوارح.

ب- نقل عن أبي حنيفة أن الإيمان تصديق بالجنان. وإقرار باللسان. ولادخل لعمل الجوارح فيه وهو قول كثير من أصحابه.

منشأ الإختلاف:

أن أبا حنيفة ومن تبعه نظر إلى معنى الإيمان اللغوي وهو التصديق، ولما كان أمراً باطنيا. لانعلم به. شرطنا إقرار اللسان، لأن الإقرار. هو مناط الأحكام في الدنيا. بينما نظر جمهور العلماء إلى المعنى اللغوي. وإلى أدلة من كلام الشارع. فهم ضموا إلى اللغة أدلة من كلام الشارع.

(*) أقول: التحقيق: أن «الإيمان» مصدر من باب الإفعال يقال: آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن. وهو في أصل اللغة: إعطاء الأمن والأمان وعدم تخويفه لأن مادة الإيمان من الفعل الثلاثي المجرد: أمن يأمن أمناً وأماناً.

ثم وسع فيه فتضمن الإيمان التصديق كأن المؤمِنَ أعطى المؤمَنَ أماناً من التكذيب، فصدّقه كأن المصدَّقَ أمن المصدِّق من خوف التكذيب.

لذا يقال: إن الإيمان في اللغة «التصديق» مع أن الإيمان في اصل اللغة هو «إعطاء الأمان».

أدلة كل طائفة:

أ- استدل أبو حنيفة بما يأتي:

١- إن الإيمان في اللغة ورد بمعنى التصديق **«وما أنت بمؤمن لنا»** [يوسف: ١٧] أي بمصدق.

٢- ولأن الإيمان ضد الكفر وهو التكذيب والجحود. وهما يكونان بالقلب فكذا مايضادهما.

٣- قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[١]، وهو يدل على أن القلب موضع الإيمان لا اللسان. ولأنه لو كان مركبا، من قول وعمل لزال كله بزوال جزئه.

٤- ولأن العمل قد عطف على الايمان. والعطف يقتضي المغايرة. قال تعالى ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[٢].

٥- ماروٰه الليث السمرقندي عن أبي هريرة أن وفد ثقيف قالوا يارسول الله هل الإيمان يزيد أو ينقص. قال: لا: الإيمان أن تعمل في القلب. (زيادته كفر ونقصانه شرك)[٣].

أدلة الجمهور:

أ- من الكتاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٤] وجه الدلالة أن الآية حصرت المؤمنين في الذين توجل قلوبهم عند ذكر الله مع الأعمال الأخرى المذكورة في الآية. وهي أعمال بدنية وقلبية.

---

(١) سورة النحل: الآية (١٠٦).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥) وغيرها.

(٣) سبق الكلام عليه وهو لا يصح.

(٤) سورة الأنفال: الآية (٢).

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1] الآية وجه الدلالة أن الآية ذكرت الإيمان القلبي ثم العمل بمقتضى ذلك من الجهاد ونحوه.

٢- قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[2] وجه الدلالة: أن الله نفى عنهم الإيمان حتى توجد هذه الغاية. وهي تحكيم الرسول ﷺ في خصوماتهم ثم الرضا بذلك. ظاهرا أو باطنا مع العمل به. فدل على أن هذه الغاية فرض على جميع الناس ومن تركها. لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب. الذي وعد أهل الجنة به.

ب- من السنة. حديث وفد عبد القيس المتفق على صحته حين قال لهم.. (آمركم بالإيمان بالله وحده. أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وأن تؤدوا خمس ما غنمتم)[3].. وجه الدلالة: أنه جعل الإيمان هو الاعتقاد بوحدانية الله تعالى وذلك من أعمال القلب ولم يكتف بذلك. بل أضاف الصلاة، والزكاة وتأدية الخمس من المغنم إليه. قال ابن القيم فيه - إن الايمان مجموع الأمرين من القول والعمل. هل هناك تعارض بين حديث وفد عبد القيس حيث فسر الإيمان بما ذكر وحديث جبريل حيث فسر الإيمان بأن تؤمن بالله وملائكته.. الخ.. يدعى بعضهم بأن الحديثين متعارضان وبيان ذلك أنه فسر الإيمان في حديث جبريل بالتصديق دون العمل. وفي حديث عبد القيس فسر الإيمان بالعمل دون التصديق والصحيح أنه لاتعارض بين التفسيرين فقد فسر

---

(١) سورة الحجرات: الآية (١٥).

(٢) سورة النساء: الآية (٦٥).

(٣) سبق تخريجه.

حديث جبريل الإيمان بعد تفسيره للإسلام. فكان مقتضى كلامه أن تؤمن بالله أي علاوة على ما سبق في تفسير الإسلام كما أن الإحسان الذي سأل عنه أخيراً متضمن للإيمان خلاف حديث وفد عبد القيس. فقد فسر الإيمان بالأعمال الظاهرة. وأغفل الأمور الباطنة استناداً إلى علم المخاطبين بأن الأعمال الظاهرة لاتنفع من دون إقرار القلب واعتقاده.

جـ: ما حكمة اقتصاره ﷺ في حديث جبريل على الأمور الخمسة الظاهرة مع أن ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من ذلك؟

الحكمة في اقتصاره ﷺ على ذلك في تفسيره للإسلام أحد أمرين:

أولهما: أن هذه الأمور الخمسة هي أظهر شعائر الدين وأعظمها وإتيان المرء عليها دليل على كمال انقياده واستسلامه لله في أوامره وعدم إتيانه بها يشعر بانحلاله قيد انقياده وتركه ماسواها.

ثانيهما: أن الرسول ﷺ ذكر الأمور التي تجب على العباد عبادة محضه خالصة لله سبحانه على الأعيان، وما سوى ذلك فإنما يجب بأسباب مصالح فلا يعم وجوبها جميع الناس. فهي إنما تجب:

أ- إما بفروض الكفاية كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والفتيا.

ب- وإما بسبب حقوق الآدميين فيختص به من وجب له وعليه. وقد يسقط بإسقاطه من قضاء الديون. ورد الأمانات. وحقوق الوالدين والأولاد وصلة الأرحام. والإنصاف من المظالم. ونحو ذلك.

اعتراض متوقع:

إن الزكاة حق مالي وليست عبادة محضة ولهذا بينت مصارفها الثمانية فلماذا ذكرها ﷺ والجواب: أن بينها وبين حقوق العباد فروقا فهي عبادة

محضة. ولهذا وجبت فيها النية ولم يجز أن يفعلها الغير بلا إذنه. ولم تطلب من الكفار بخلاف حقوق العباد. فلا يشترط لها النية. ولو أداها غيره عنه. بغير إذنه. برئت ذمته ويطالب بها الكفار. وكون الأصناف الثمانية مصارف لها. لايدل على كونها حقاً للآدميين. وما يجب يكون حقا لله تعالى محضا. غير الخمسة كالكفارات فهو بسبب من العبد وفيها معنى العقوبة.

فصل: الإيمان بالقضاء والقدر

قال الطحاوي: «والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله، وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه. . » الخ،

س- عرف القضاء والقدر لغة واصطلاحا؟

ج : القضاء في اللغة: بالمد مصدر قضي يقضي. وهو إتمام الشيء قولاً كان أو فعلاً أو إرادة أو غير ذلك. فمثال القضاء في القول قوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾(١) أي أتم نهيه عن عبادة غيره(*).

في الفعل: قوله سبحانه ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾(٢)، أي أتم خلقهن.

في الإرادة: قوله سبحانه ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا﴾(٣) أي إذا تمت إرادته بإيجاد شيء.

والقدر - لغة: بفتح الدال، وقد تسكن. وهي تبيين كمية الشيء - واصطلاحاً: إرادة الله سبحانه بإيجاد شيء على وجه مخصوص ثم إيجاده على ذلك الوجه المخصوص.

(*) الأولى أن يقال:
(القضاء) لغة يأتي بعدة معانٍ:
١ - فعل الشيء وأداؤه: نحو: «فإذا قضيتَ الصلاة» أي أديت.
٢ - والأمر والحكم: نحو: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه» أي حكم ربك وأمر، ومنه قضاء القاضي بين المتخاصمين.
٣ - والخلق والإنشاء نحو (فقضاهن سبع سموات) أي خلقهن.
٤ - وإرادة الشيء: نحو (إذا قضى أمراً) أي إذا اراد أمراً.

(١) سورة الاسراء: الآية (٢٣).
(٢) سورة فصلت: الآية (١٢).
(٣) سورة آل عمران: الآية (٤٧).

س- اذكر بعض الأدلة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر؟

ج : لقد دل على وجوب الإيمان بهما الكتاب والسنة والإجماع.

١- فأما الكتاب قوله تعالى ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[1] وقوله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[2].

٢- وأما من السنة. فحديث جبريل[3] حينما فسر ﷺ الإيمان بأن نؤمن بالله ونؤمن بالقدر خيره وشره. فقد جعله ركنا من أركان الإيمان.

٣- وأما الإجماع فقد أجمع أصحاب رسول الله ﷺ وسلف الأمة على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره.. فمن أنكر القضاء والقدر فقد كفر بالله سبحانه لأنه منكر لما علم من الدين بالضرورة.

س- ماهي مراتب القضاء والقدر. وما حكم الإيمان بها؟..

جـ : القضاء والقدر أربع مراتب يجب الإيمان بها. ولايعتبر الشخص مؤمنا بالقضاء والقدر إلا إذا كان مؤمنا بها..

١- علم الله سبحانه بالأشياء قبل كونها. قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[4] وقال ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[5].

٢- كتابته سبحانه للأشياء قبل كونها قال تعالى ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[6] ومن السنة قوله ﷺ (كتب الله مقادير

---

(١) سورة التوبة: الآية (٥١).

(٢) سورة النساء: الآية (٧٨).

(٣) سبق تخريجه ص: ١٩٠.

(٤) سورة لقمان: الآية (٣٤).

(٥) سورة الجاثية: الآية (٢٣).

(٦) سورة التوبة: الآية (٥١).

الخلائق. قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)[1].

٣- المشيئة والإرادة. ودليلها قول تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[2]، وقوله ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[3].

٤- الخلق والإيجاد ودليل ذلك. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[4].

س- قد يبدو وكأن هناك تعارضاً بين قوله تعالى ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾[5] وبين قوله تعالى ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾[6] فكيف يتم الجمع بين الآيتين؟

ج: لاتعارض بين هاتين الآيتين. فقد أضاف سبحانه وتعالى في الآية الأولى الحسنة والسيئة إليه. إضافة خلق وإيجاد وتقدير. وأضافها في الآية الثانية إلى العبد إضافة تسبب وكسب. ومباشرة. وقوله «فمن نفسك» أي من ذنب نفسك عقوبة لك. كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[7] ويدل لذلك قراءة ابن عباس «وما أصابك من سيئة فمن نفسك» و«أنا كتبتها عليك».

س- احتجت المعتزلة والقدرية بقوله تعالى ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾[8] على أن العبد يخلق فعل نفسه، فكيف ترد عليهم؟

---

(١) سبق تخريجه ص: ٢٠٨.
(٢) سورة التكوير: الآية (٢٩).
(٣) سورة الانعام: الآية (١٢٥).
(٤) سورة الرعد: الآية (١٦)، والرمز الآية (٦٢).
(٥) سورة النساء: الآية (٨٧).
(٦) سورة النساء: الآية (٧٩).
(٧) سورة الشورى: الآية (٣٠).
(٨) سورة النساء: الآية (٧٩).

ج : لا دلالة للمعتزلة والقدرية بهذه الآية على مازعموه لأمرين:

أولهما: أن الله فرق بين الحسنة والسيئة، فأضاف الحسنة إليه. والسيئة إلى العبد والمعتزلة لايفرقون بينهما، بل يقولون أن كلا منهما مخلوق للعبد.

ثانيهما: أن الله قال في الآية التي قبلها ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1] فإضافتها إليه خلقاً وإيجاداً، وتقديراً، فدل ذلك على أن إضافة السيئة إلى العبد إضافة تسبب ومباشرة لا كما تزعم المعتزلة والقدرية.

س- قال تعالى ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[2]؟ اشرح معنى الحسنة والسيئة، في الآية ثم بين الحكمة من إضافة الحسنة إلى الله والسيئة إلى النفس فيها؟

ج : **أولا**: معنى الحسنة والسيئة اختلف العلماء فيه على أقوال:

١- الجمهور: على أن المراد بالحسنة، النعمة، وبالسيئة، البلية.

٢- وقيل الحسنة هي الطاعة والسيئة هي المعصية.

٣- وقيل الحسنة ما أصابه يوم بدر. والسيئة: ما أصابه يوم أحد - قال الشارح «والقول الأول هو أصح الأقوال لأنه شامل لمعنى القول الثالث، والمعنى الثاني، ليس مرادا دون الأول قطعا».

ثانياً: الحكمة من إضافة الحسنة إلى الله والسيئة إلى العبد في الآية:

١- فإضافة الحسنة إليه سبحانه في صدر الآية لأنه هو خالقها ومقدرها وهي الحسنة من كل وجه. فما من وجه من وجوهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه.

٢- وإضافة السيئة إلى العبد لأن الله إنما خلقها لحكمة وهو

---

(١) سورة النساء: الآية (٧٨).

(٢) سورة النساء: الآية (٧٩).

باعتبار ذلك الحكمة من إحسانه. فإن الرب لايفعل سيئة قط.. بل فعله كله حسنة وخير. وأما من جهة العبد فهي سيئة اقترفها ولهذا أضيفت إليه إضافة تسبب ومباشرة قال الشارح «ولكن لا منافاة بين أن تكون سيئة العمل وسيئة الجزاء من نفسه مع أن الجميع مقدر فإن المعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى: فتكون من سيئات الجزاء مع أنها من سيئات العمل. والحسنة الثانية قد تكون من ثواب الدنيا كما دل على ذلك الكتاب والسنة..

س- اشرح الفوائد المستنبطة من قوله تعالى ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾؟.

هناك فوائد كثيرة ومن أهمها:

ج: ١ - أن العبد لايطمئن إلى نفسه ولايسكن إليها. لأن الشر كامن فيها وقد ورد أن الرسول ﷺ قال «نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا»[١].

٢- أن على العبد ألا يشتغل بكلام الناس وذمهم. إذا أساؤوا إليه فإن ذلك من السيئات التي أصابته بذنوبه. فعليه أن يستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله. ويسأل الله أن يعينه على طاعته.

س- كان النبي ﷺ يقول في استفتاح الصلاة «والخير كله بيديك والشر ليس إليك. فما المقصود بقوله - والشر ليس إليك»؟[٢].

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٢١١٨) والترمذي (١١١١) والنسائي وابن ماجة وغيرهم.

(٢) رواه مسلم (٧١) وأبو داود (٧٦٠) والترمذي (٣٤٢٢) وغيرهم.

ج : المعني: أنك لاتخلق شراً محضا بل كل ما تخلقه فيه حكمة. وهي في حد ذاتها خير ولكن قد يكون فيه شر. لبعض الناس. فهذا شر جزئي إضافي فأما الشر الكلي أو الشر المطلق فالرب سبحانه وتعالى. منزه عنه وهذا هو الشر الذي ليس إليه..

س- هل تجوز إضافة الشر مفرداً إلى الله تعالى؟ ولماذا؟ اشرح ذلك موضحاً أساليب القرآن الكريم في ذلك؟

ج : الشر لايضاف مفرداً إلى الله، وذلك لأمرين:

أولهما: للتأدب معه سبحانه. فهو خالق كل شيء.. ولهذا لما سئل بعض العلماء. وهل خلق الله الكلاب؟ قال: الله خالق كل شيء.

ثانيهما: لأن الله سبحانه لايخلق شراً محضا. وما كان من الأشياء فيه شر. فهو شر جزئي إضافي بالنسبة لبعض المخلوقات.. وقد يكون خيراً له فيما بعد: أو يكون خيراً لغيره من المخلوقات «ومصائب قوم عند قوم فوائد» ولذلك لم يرد في القرآن الكريم إضافة الشر مفردا إلى الله.. بل إما:

١- أن يضاف في عموم المخلوقات كما في قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[١] وقوله ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٢] «يعني الخير والشر معا»..

٢- أو يضاف إلى سببه كما في قوله تعالى ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾[٣] وقوله ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٤].

---

(١) سورة الزمر: الآية (٦٢).

(٢) سورة النساء: الآية (٧٨).

(٣) سورة الفلق: الآية (٢).

(٤) سورة النساء: الآية (٧٩).

وبحذف فاعله - كما في قوله تعالى حكاية عن الحق ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾[1].

قال الشارح (وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان، لايكون فيه حكمة.. بل لله من الرحمة والحكمة ما لا يقدر قدره إلا الله. وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة يكون شراً كليا عاما. بل الأمور العامة الكلية لاتكون إلا خيراً أو مصلحة للعباد كالمطر وكإرسال رسول عام.. وهذا مما يقتضي أنه لايجوز أن يؤيد كذّاباً عليه بالمعجزات التي أيد بها الصادقين. فإن هذا شر عام للناس. يضلهم فيفسد عليهم دينهم ودنياهم وأخراهم وليس هذا كالملك الظالم. ولهذا يبقى الظلمة. أما المتنبؤون الكاذبون فلا يطيل تمكينهم. بل لا بد أن يهلكهم. لأن فسادهم عام شامل قال تعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾[2]..

س: - تأييد الله للملوك الظالمين. ألا يعتبر شراً محضاً. ولماذا؟

ج: - لايعتبر شراً محضا لأمرين:

١- لأن الله سبحانه يدفع بالملوك الظلمة من الشر أكثر من ظلمهم. ولهذا قيل: ستون سنة بإمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام...

٢- ولأنه لو قدر كثرة ظلمهم للناس. فإن ذلك يكون خيراً للرعية حيث يكون تكفيراً للذنوب التي ارتكبوها. لعلهم أن يرجعوا.

س: - دعاء الفاتحة.. ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، الآيات ولم كان أعظم الدعاء وأنفعه. ولم أمر الناس به في كل صلاة..؟

ج: أ- كان أعظم الدعاء وأنفعه. لأنه سؤال للهداية إلى الصراط

---

(١) سورة الجن: الآية (١٠).

(٢) سورة الحاقة: الآيات (٤٤ - ٤٦).

المستقيم. فإذا هداهم إليه. فقد أعانهم على فعل الطاعة، واجتناب المعصية فلا يصيبهم شر في الدارين. لا في الدنيا. ولا في الآخرة.

ب- وأمر الناس به في كل صلاة. لمسيس حاجتهم إليه. فهي أشد من احتياجهم إلى الطعام والشراب. لأن الذنوب هي لوازم نفس الإنسان وهو محتاج إلى الهدى في كل لحظة. ذلك، لأن الهداية على أنواع أربعة:

١- هدايتهم للدخول في الإسلام.

٢- هدايتهم بأن يعلمهم الله مايتعلق بتفاصيل أحوالهم.

٣- هدايتهم بأن يلهمهم العمل بما علموه. وإلا كان حجة عليهم.

٤- هدايتهم بأن يجعلهم قادرين على فعل ماطلب منهم.

فإذا هدوا إلى هذه الأمور، فالدعاء طلب منهم للثبات والمزيد: ثم هو لطلب هداية أخرى وهي هدايتهم إلى الجنة في الدار الآخرة..

س: اعتراض:

فإن قيل الذي يدعو بهذا هو المؤمن. وقد هداه الله لما ذكره فكيف يطلبه..؟

ج:- الجواب: بأحد الأمرين:

١- أن المراد بالهداية حينئذ طلب التثبيت والمزيد.

٢- أن الهداية أنواع فهو يطلب أصولها له كلها.

س- كان رسول الله ﷺ يجمع في صلاته بين توحيد الله واستغفاره وتعظيمه وشكره بين ذلك؟

ج: أما توحيد الله فهو في دعاء الاستفتاح[1] وفي التشهد وفي الفاتحة

(١) رواه مسلم (٧٧١) وغيره.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وأما استغفاره فقد كان يستغفر بين السجدتين[1] وأما تعظيمه ففي حالات التكبير والتسبيح وأما الشكر ففي قوله في الفاتحة (الحمدلله)، وقوله ﷺ: (ربنا ولك الحمد. . لا مانع لما أعطيت). الحديث[2] متضمن لتحقيق التوحيد بنوعيه بين ذلك. . ؟

هذا الحديث متضمن لتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية:

أ- فأما توحيد الربوبية. وهو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه. ولايقع في هذا الكون إلا مايريد متضمنه في - (لا مانع لما أعطيت).

ب- وأما توحيد الألوهية فهو إفراد الله سبحانه بالعبادة دون ماسواه شرعاً وأمرا ونهيا متضمنه في - (وكلنا لك عبد) - وكذا قوله - (ولاينفع ذا الجد منك الجد) أي لايخلصه من عقابه إذا استحقه. .

س- اشرح المراد من قوله ﷺ (ولاينفع ذا الجد منك الجد) ولم قال منك ولم يقل عندك؟

ج: الجد: بمعنى الحظ والنصيب. المعنى: لايخلصه ولاينجيه إذا استحق عقابك وقال - منك - ولم يقل «عندك» لأنه لو قال «عندك» لأوهم أنه لايتقرب بالجد إليك. لكن قد لايضره. إذ لايفهم من هذا اللفظ أنه لايخلصه جده من عقابك.

قال الشارح (فتضمن هذا الكلام تحقيق التوحيد، أو تحقيق قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة. فإنه إلى قوله (وأما أن يكون في المخلوقات علة تامة. تستلزم معلولها. فهذا باطل)[3] والله أعلم. . .

---

(١) رواه أبو داود (٨٧٤) وابن ماجة (٨٩٧) وغيرهما وهو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٤٧٧) وأبو داود (٨٤٧) وغيرهما.

(٣) انظر ص ٤١٩.

س- وضح الواجب علينا من الإيمان الإجمالي والتفصيلي..؟

ج: ما ورد في الشرع مفصلا يجب الإيمان به مفصلاً. وما لم يفصل نؤمن به مجملا. ومن أمثلة ذلك. الملائكة والكتب فنؤمن بهم إجمالاً وتفصيلاً. فمن ورد ذكرهم في الكتاب والسنة نؤمن بهم تفصيلاً ومن لم يرد النص بذكرهم نؤمن بهم إجمالاً...

قال الطحاوي (ونحن مؤمنون بذلك كله لانفرق بين أحد من رسله ونصدقهم كلهم على ماجاؤوا به).

س- بعض الناس يؤمن ببعض الرسل ويكفر بالبعض الآخر، فما حكمه؟ مع ذكر الدليل النقلي والعقلي؟

ج: من آمن ببعض الرسل فقط دون بعض يُعَدُّ كافراً. وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع والعقل.

أ- فأما الكتاب فقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾[1].

ب- ومن السنة: حديث جبريل. فقوله «ورسله» يدل على وجوب الإيمان بهم جميعا وأن الشخص لايكون مؤمنا إلا بالإيمان بهم جميعاً.

ج: وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة استناداً إلى ماذكره على أن من فرق بين الرسل لايعتبر من المؤمنين بل يعتبر كافراً.

د- وأما الدليل العقلي، فقد ذكر الشارح دليلين:

أولهما: أن المعنى الذي من أجله آمن بمن آمن به من الرسل موجود

---

(١) سورة النساء: الآيتان (١٥٠ - ١٥١).

في الذي لم يؤمن به منهم - فكان إيمانهم بالبعض وكفره بالبعض الآخر. تفريقاً بين المتماثلين والعقل يقتضي المساواة بينهم.

ثانيهما: أن الرسول الذي آمن به جاء بتصديق من لم يؤمن به من الرسل فكان مقتضى إيمانه بذلك الرسول أن يؤمن ببعض الرسل الذين جاء رسوله بتصديقهم. فلما آمن بالبعض وكفر بالبعض الآخر. كان كافرا بمن هو في زعمه مؤمن به فكان من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا..

حكم أهل الكبائر

قال الطحاوي «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار، لايخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين. بعد أن لقوا الله عارفين - وهم في مشيئته وحكمته. إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله. كما ذكر عز وجل في كتابه. ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(١). وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يبعثهم إلى الجنة وذلك لأن الله تعالى تولى أهل معرفته. ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته. الذين خابوا وضلوا عن هدايته ولم ينالوا من ولايته. اللهم يا ولي الإسلام وأهله. ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به.

س- وضح المقصود بالكبائر لغة واصطلاحاً؟

ج : المراد بها في اللغة: الكبائر جمع كبيرة من كبر الشيء إذا عظم وأصلها في الاستعمال بوصف ثم انتقلت إلى الإسمية وأطلقت على معانٍ مخصوصه.

وفي الإصطلاح: للعلماء ثلاث طرق في بيان حدها.

١- طريقة من حددها بعدد معين. وقد اختلف (أصحابها في ذلك العدد. فمنهم من قال: إنها سبع ومنهم من قال: إنها سبع عشرة ومنهم من قال: هي إلى السبعين أقرب. . .

٢- طريقة من ذكر لها ضابطا معينا. ولم يحددها بعدد وقد اختلف أصحاب هذه الطريقة في ذلك الضابط:

١- فقيل: هي ما اتفقت الشرائع على تحريمه.

٢- وقيل: هي ذهاب الأموال والأبدان، والأعراض.

---

(١) سورة النساء: الآيتان (٤٨ و١١٦).

٣- وقيل: هي ماسد باب المعرفة بالله.
٤- وقيل: هي كل مانهى الله عنه فهو كبيرة.
٥- وقيل: هي كل ذنب سمى كبيرة بالنسبة لما دونه فهي نسبة إضافية.
٦- وقيل: هي ما يترتب عليها حد في الدنيا أو وعيد باللعنة أو بالغضب أو النار أو نفي الإيمان.

٣- الطريقة الثالثة: طريقة من لم يذكر لها ضابط ولا عدداً معينا. وقال أنها لا تعلم أصلا. وقد أخفيت كليلة القدر. لكي يرتدع الناس عن مباشرة الذنوب جميعا.

الرأي المختار: أن الكبيرة ما ترتب عليها حد في الدنيا، أو وعد عليها باللعنة أو الغضب أو النار، أو نفي الإيمان.

أدلة الاختيار: اختير هذا الرأي لأمور عدة منها:

١- أن هذا الضابط هو المأثور عن السلف. كابن عباس وابن عيينة وأحمد بن حنبل وغيرهم. رضي الله عنهم.
٢- إن الله سبحانه وتعالى قال ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾﴾[1] ووجه الاستدلال أن الله وعد من اجتنب الكبائر لأمرين هامين لا يستحق هذا الوعد الكريم. من انطبق عليه تعريف الكبيرة حيث توعده هذا الوعد بلعنة وكذلك من استحق حدا في الدنيا بارتكاب جريمة فلا يكون اجتنابه الكبائر مكفرا لسيئاته ومسقطا للحد عنه.
٣- أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله فهو حد متلقي عن الشارع فإن أصحاب هذا الضابط استقرأوا هذه النصوص المتعلقة

(١) سورة النساء: الآية (٣١).

بالكبائر فوجدوا أنها أو غايتها لا تخرج عما ذكر.

٤- يمكن التفريق بهذا الضابط بين الصغائر والكبائر.

٥- أن هذا الضابط سالم من الاعتراضات والقوادح الداخلة على غيره:

أ- فإن من حددها بعدد معين يرد عليه. أن هذا مجرد دعوة تحتاج إلى دليل. وما ورد من الأحاديث كقوله ﷺ «اجتنبوا السبع الموبقات»(١) لا يدل على الحصر.

ب- ومن قال بأن الكبيرة هي ما اتفقت الشرائع على تحريمها. يرد عليه أن شرب الخمر والتزوج من المحارم والتولي يوم الزحف من الكبائر. ولم يتفق عليهما في جميع الشرائع وأيضا فإن سرقة الحبة الصغيرة أو أكلها من مال اليتيم والكذبة الخفيفة تكون من الكبائر لأن هذا قد اتفقت الشرائع على تحريمه.

ج- وأما من قال بأنها ما سد باب المعرفة بالله فإن هذا لكبائر في الذنوب الاعتقادية وهذا يقتضي أن قذف المحصنات ونحوه. من كل ما هو من الكبائر غير الاعتقادية لا يكون كبيرة.

د- ومن قال إنها ذهاب الأموال والأبدان. فمقتضى هذا أن قذف المحصنات وأكل الخنزير والميتة. لا يكون كبيرة. وهذا فاسد..

هـ - ومن قال كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، أو أن كل ذنب بالنسبة لما دونه فيلزم عليه أن الذنوب غير منقسمة إلى صغائر وكبائر. وهذا ترده النصوص.

ز- ومن قال إنها لا تعلم أصلا. فإنه يرد عليه أن كونه لا يعلم بها لا يلزم منه عدم علم غيره بها. فإنها قد علمها. أولو العلم، وبهذا يترجع القول المختار. قال الشارح واختلفت عبارات السلف في تعريف الصغائر:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦) ومسلم (٨٩) وغيرهما.

أ- فمنهم من قال: الصغيرة ما دون الحدين. حد الدنيا. وحد الآخرة.

ب- ومنهم من قال: كل ذنب لم يختم بلعنة أو غضب. أو نار.

ج- ومنهم من قال: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة والمراد بالوعيد: الوعيد الخاص بالنار. أو اللعنة. أو الغضب. فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا. أعني المقدرة في الدنيا فالتعزير في الدنيا نظير للوعيد بغير النار. أو اللعنة. أو الغضب».

س- ما أقسام أصحاب الكبائر؟

ج: يقسم بعض العلماء أصحاب الكبائر إلى قسمين:

١- الكبائر الاعتقادية. كالجبر والاعتزال. وكبائرهم ناشئة عن شبهة.

١- الكبائر العملية كالزنا. والقذف. وشرب الخمر. وكبائرهم ناشئة عن شهوة.

والمقصود به هنا.. هم أصحاب الكبائر العملية. لا الاعتقادية.

س- اختلفت الأقوال في حكم أصحاب الكبائر العملية في الدنيا.. اذكر دليل كل قول. وترجيح المختار.

ج: اختلفت الأمة في حكم أصحاب الكبائر العملية في الدنيا.. هل يحكم عليهم بالإيمان أو بالكفر أو لا يحكم عليهم بإيمان ولا كفر..

أ- فيرى الخوارج أنه كافر. يعامل معاملة الكفار.

ب- ويرى المعتزلة أنه خرج من الإيمان. ولم يدخل في الكفر. فهو في منزلة بين منزلتين.

ج- ويرى المرجئة أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان.

د- ويرى أهل السنة أنه مؤمن بإيمانه، فاسق بمعصيته ناقص الإيمان. منهم من لا ينفون عنه مطلق الإيمان، كالخوارج والمعتزلة ولا يثبتون له الإيمان المطلق كالمرجئة.

دليل كل طائفة:

دليل الخوارج: استدلوا بما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[١] فإن الله حكم على من لم يحكم بما أنزل الله - بالكفر - وهو مرتكب الكبيرة.

٢- قوله ﷺ «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[٢] وجه الدلالة: أنه نفى الإيمان عن كل من الزاني والسارق وشارب الخمر. وإذا انتفى عنهم الإيمان ثبت لهم الكفر.

٣- قوله ﷺ «سباب المسلم فسوق. وقتاله كفر»[٣]. فقد أخبر بأن قتال المؤمن كفر فدل ذلك على أن مرتكب الكبيرة خارج عن دائرة الإيمان.

دليل المعتزلة: استدلوا بقوله ﷺ «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» فنفي الإيمان عنهم ولم يثبت لهم الكفر. قالوا: فننفي عنه الإيمان. ولا نثبت له الكفر. بل نجعله في منزلة وسطى.. بين منزلتين.

دليل المرجئة: استدلوا بالقياس العكسي. وقالوا: كما لا ينفع مع الكفر طاعة كذلك لا يضر مع الإيمان معصية.

دليل أهل السنة: استدلوا بما يأتي:

---

(١) سورة المائدة: الآية (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) المظالم/ النهبي بغير إذن صاحبه، ومسلم (٥٧) وغيرهما.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨) الإيمان/ خوف المؤمن من أن يحبط عمله. ومسلم (٦٤) وغيرهما.

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾[1] فأثبت للقاتل أخوة الإيمان. وهو مرتكب الكبيرة يصدق عليه مسمى الإيمان.

٢- قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2] فإن الله أطلق على الطائفتين المتقابلتين الإيمان وأثبت لهم أخوة الإيمان. فدل ذلك أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن مسمى الإيمان.

٣- لو قلنا بأن مرتكب الكبيرة كافر للزم عليه أن يكون كافرا يقتل على كل حال. فلا يقبل عفو ولي الدم في القصاص. ولا يقام حد على الزاني والسارق. وهذا باطل منصوص الشارع.. قال أهل السنة: وسميناه فاسقا. أخذا من الفسق. وهو الخروج لأنه خرج من طاعة الله إلى معصيته.

الترجيح:

والراجح هو: قول أهل السنة. لما يأتي:

أولاً: لقوة أدلتهم على إثبات مسمى الإيمان لمرتكب الكبيرة.

ثانيا: أما ما استدل به الخوارج والمعتزلة من قوله ﷺ «لا يزني الزاني وهو مؤمن»[3] فيجاب عنه وبأن المراد: نفي الإيمان الكامل لا نفي أصل الإيمان واستدلال الخوارج بآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

(١) سورة البقرة: (١٧٨).

(٢) سورة الحجرات: الآيتان (٩ و١٠).

(٣) سبق تخريجه ص: ٣٠٠.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ٤٤﴾[1] يجاب عنه بأحد جوابين:

١- أن المراد بالكفر هنا. الكفر العملي. لا الاعتقادي. فهو كفر مجازي أو هو كفر دون كفر. لا يخرج من الملّه.

٢- وقد يقال: إن هذا في حق من ارتكب الكبيرة. مستحلا لها. فيكون كفره لاستحلاله الكبيرة. لا. لارتكابه لها أما استدلال المرجئة فيجاب عنه بأنه قياس مع وجود النص لا يعتبر حجة في حالة وجود النص.

س- ما حكم أصحاب الكبائر العملية في الآخرة. حرر محل النزاع. واذكر خلاف العلماء في ذلك. ودليل كل. مع ترجيح المختار.

ج: تحرير محل النزاع: اتفقت الأمة على أن مرتكب الكبيرة إذا كانت الإشراك بالله ومات على ذلك فهو في النار. كما اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة إذا كانت غير الإشراك وتاب توبة نصوحا. قبلت توبته إذا توفرت شروطها. أما إذا كانت الكبيرة غير الإشراك بالله سبحانه ومات قبل أن يتوب يدخل النار أم لا؟ خلاف بين الفرق:

أ- فعند الخوارج والمعتزلة: هو في نار جهنم.

ب- وعند المرجئة: لا يدخل النار أصلا.

ج- وعند أهل السنة قالوا: تحت مشيئة الله. إن شاء عفا عنه. وإن شاء عذبه بقدر ذنبه. ثم يخرجه بعد التمحيص وشفاعة الشافعين.

دليل كل طائفة:

أ- استدل الخوارج والمعتزلة على رأيهم. بعدة أدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ

---

(١) سورة المائدة: الآية (٤٤).

﴿خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[1] وجه الاستشهاد: أن قاتل المؤمن عمدا مرتكب لكبيرة. وقد أخبر عنه أنه في النار.

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾[2].

أخبر أن آكل مال اليتيم ظلما سيصلى سعيرا وهو مرتكب لكبيرة فدل على أنه في النار. في الآخرة.

٣- من السنة قوله ﷺ «من قتل نفسه بحديدة فحديدته بيده يجاء بها في نار جهنم خالدا مخلدا»[3] وجه الاستدلال: أن قاتل نفسه مرتكب لكبيرة. وأنه في النار.

ب- دليل المرجئة: وقد استدلوا على زعمهم بدليلين هما:

١- قوله ﷺ «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة»[4].

٢- قوله ﷺ «من كان آخر كلامه. لا إله إلا الله. دخل الجنة[5]».

ج- أدلة أهل السنة: وقد استدلوا بعدة أدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[6] فقد علق غفران ما دون الشرك على المشيئة. والمعلق عليها جائز لا ممتنع فدل هذا على أنه تحت مشيئة الله.

٢- قوله ﷺ «بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان فمن وفى منكم فأجره على الله

---

(١) سورة النساء: الآية (٩٣).

(٢) سورة النساء: الآية (١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٧٨) الطب (شرب السم والدواء. ومسلم (١٠٩).

(٤) أخرجه مسلم (٩٣).

(٥) صحيح، أخرجه أبو داود (٣١١٦) وأحمد (٥/ ٢٣٣ و٢٤٧) والحاكم (١/ ٣٥١) وغيرهم.

(٦) سورة النساء: الآيتان (٤٨ و١١٦).

ومن عوقب به في الدنيا فهو كفارة له. ومن ستر الله عليه فأمره إلى الله إذا ستر عليه»[1] كما هو صريح في أن العقوبة مكفرة للذنب.

اعتراض: وقد يرد عليه أنه ﷺ ذكر الشرك مع الذنوب.

ويجاب عنه: بأنه قد خرج بدليل خاص، وهو أن الله لا يغفر أن يشرك به..

ترجيح المختار: الرأي المختار: هو ما ذهب إليه أهل السنة لما يأتي:

أولاً: لصراحة الأدلة: التي استدل بها أهل السنة. على أن مرتكب الكبيرة في الآخرة تحت مشيئة الله.

ثانياً: وأما ما قالت به الخوارج والمعتزلة من أنه في النار. فيجاب عنه بعدة أجوبة:

١- أن هذا الوعيد وارد في حق المستحل للذنب فمن ارتكبها غير مستحل له لا يلحقه الوعيد بالخلود فيها وإن لحقه وعيد الدخول فيها.

٢- أن هذا الوعيد على تقدير شيء مضمر تقديره فجزاؤه جهنم خالدا فيها إن شاء الله إدخاله وتخليده فيها.

٣- أن هذا وعيد وإخلاف الوعيد لا يذم بل يمدح لأن عدم عقوبة الله لمن توعده يكون من باب عفوه وكرمه وتفضله فالعرب تعد إخلاف الوعيد مدحا قال الشاعر:

فواني إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

ثالثا: أما استدلال المرجئة: فغاية مافيه الإخبار بأن الموحد سيدخل الجنة وليس فيه ما يدل على أنه إذا ارتكب الكبيرة العملية لا يدخل النار.

س- استدرك الشارح على صاحب المتن تخصيص أمة محمد ﷺ بالحكم في عدم خلود أهل الكبائر من النار، وضِّح ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨) الإيمان/ علامة الإيمان حب الأنصار، ومسلم (١٧٠٩) وغيرهم.

ج : **قال الطحاوي: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون»** ويفهم من هذا أن أصحاب الشرائع السابقة مخلدون قبل نسخ شرائعهم. قال الشارح «وفي ذلك نظر فإن النبي ﷺ (أخبر أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)[1] ولم يخص أمته بذلك بل ذكر الإيمان مطلقا» وقد اعتذر عنه بأنه لم يرد ذكر الأمة في بعض النسخ فلعل ذكرها في البعض الآخر سبق قلم من بعض النساخ.

س- فهم بعض الشراح من أن قول الطحاوي «في النار» خبر لأهل الكبائر. فكيف ترد عليهم؟

ج : جعل بعض الشارحين الجار والمجرور في النار خبر إلى أهل الكبائر فيكون محكوما به وينتج عن هذا أن أهل الكبائر في النار حتما وهذا غير صحيح. السليم أن جملة (لا يخلدون) خبر لأهل الكبائر وجملة «في النار» متعلقة بلا يخلدون وإنما قدم «في النار» على متعلقها لأجل السجعة والتحسين اللفظي.

س- استدرك الشارح على الطحاوي تعبيره بالمعرفة في قوله «بعد أن لقوا الله عارفين» وقوله «تولى أهل معرفته» وضِّح ذلك؟

ج : قال الشارح لو قال «مؤمنين» بدل قوله «عارفين» لكان أولى لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر وإنما اكتفى بالمعرفة وحدها الجهم وقوله: مردود باطل فإن إبليس كان عارفا بربه قال ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾[2] وكذلك فرعون، وأكثر الكافرين، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[3].

---

(١) حديث الشفاعة المتفق عليه وسبق تخريجه.

(٢) سورة الحجر: الآية (٣٦).

(٣) سورة لقمان: الآية (٢٥).

وقد اعتذر عنه بقوله: «ولعل الشيخ أراد أهل المعرفة الكاملة المستلزمة للاهتداء. التي يشير اليها. أهل الطريقة بقولهم: «من كان بالله أعرف كان له أخوف» عقب عليه: بأنه اعتذار غير وجيه فقال: وحاشا أن يكون أولئك من أهل الكبائر. فإنهم ملازمون لأهل الطاعة. ملازمة تامة يبعد معها أن يكونوا من أهل الكبائر.

س- يستدل بعض الناس بقوله تعالى حكاية عن يوسف ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾[1] على جواز تمني الموت. فكيف ترد عليهم؟

ج: استدل بعضهم بقول يوسف عليه السلام. ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[2] **وقول السحرة الذين آمنوا بموسى** ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[3] على جواز تمني الموت وهذا غير صحيح لأن في الآيات المتقدمة دعاء بالموت على الإسلام لا دعاء بالموت المطلق وهناك فرق بينهما فالأول: جائز وقد دعا به ﷺ فقال (يا ولي الإسلام وأهله مسِّكني بالإسلام حتى ألقاك عليه)[4]. أما الثاني فمكروه لما فيه من الجزع وكراهية القضاء والقدر ولهذا قال ﷺ (لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ أصابه فإن كان ولا بد فليقل: «اللهم أحيني ما دامت الحياة خيرا لي وتوفني ما دام الموت خيرا لي»)[5].

(١)، (٢) سورة يوسف: الآية (١٠١).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٢٦).

(٤) حديث حسن. أخرجه الطبراني في الأوسط. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٦)، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات، وصححه الشيخ الألباني (الصحيحة: ١٨٢٣).

(٥) رواه البخاري (٥٦٧١) المرضى/ تمنى المريض الموت. ومسلم (٢٦٨٠ وغيرهما.

مبحث:
الصلاة خلف كل بر وفاجر

س- قال الطحاوي (ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة وعلى من مات منهم) وضح ماهي أقسام الأئمة؟

ج : أقسامهم خمسة:

١- مستور الحال: وهو من لايعلم منه فسوق ظاهر، ولاتعلم عدالته.

٢- الإمام المبتدع الداعي إلى بدعته.

٣- الإمام الفاسق ظاهر الفسق.

٤- الإمام المخطىء المعذور.

٥- الامام العدل البر.

س- ما السبب الذي لأجله ذكر الطحاوي هذا المبحث في عقيدته؟

ج : ذكر الطحاوي هذا المبحث في موضعه المناسب بعد ذكره لحكم أصحاب الكبائر العملية في الدنيا والآخرة بعد ذلك: عقب ببيان بعض الأحكام المتعلقة بهم. وهي الصلاة خلفهم. والصلاة عليهم.

س- ما المراد بالبر «العدل» وما حكم الصلاة خلفه..؟

هو من توفرت فيه شروط ثلاثة:

أ- اجتنابه لكبائر الذنوب.

ب- عدم إصراره على الصغائر.

جـ- استعماله للمروءة وتحليه بها.. وهي تمسك الإنسان بما يجمله ويزينه وابتعاده عما يدنسه ويشينه.

حكم الصلاة خلفه:

جائزة بالاتفاق. ودليل الجواز: ما سيأتي في الأدلة في جواز الصلاة خلف الفاسق.. ولم يخالف في ذلك سوى فرقة من غلاة الرافضة القائلين بأنه لاتقام الجمع والأعياد والجماعات إلا إذا ظهر «المنتظر» (الإمام المعصوم) ورأيهم شاذ مخالف للجماعة.

س- وضح المقصود بمستور الحال ثم بين حكم الصلاة خلفه؟

ج : المراد به: من لم يظهر منه بدعة ولافجور. بأن كانت حالته الظاهرة العدالة ولم يعلم بحالته الباطنة، وحكم الصلاة خلفه: جائزة بالاتفاق أيضاً ذلك لأن الأصل في المسلم العدالة. إلا إذا ظهر منه خلاف ذلك. وليس من شرطه أن تسأله ماذا تعتقد؟ ونحو ذلك. وأدلة الجواز علاوة على الإجماع ماسيأتي من أدلة جواز الصلاة خلف الفاسق.

س- من هو الفاجر «الفاسق» وما حكم الصلاة خلفه..؟

ج : المراد به من اقترف الكبائر. أو أصر على الصغائر. ولم يجعل فقدان المروءة شرطاً فيه. لأنها مكملة للمرء ولايوصله فقدانها إلى الفسق.

حكم الصلاة خلفه:

اختلف العلماء في حكمها على قولين:

أ- ذهب الجمهور إلى جواز الصلاة خلفه ولاينبغي له أن يعيدها.

ب- ذهب بعضهم إلى عدم جواز الصلاة خلفه. وهو رواية عن الإمام أحمد واستثنى من ذلك حالتين:

١- إذاخشى فوات الجمعة أو الجماعة فإن من ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العلماء.

٢- إذا خشى الفتنة في ماله أو بدنه أو عرضه فإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح...

أدلة المجيزين:

استدلوا بعدة أدلة منها:

١- ماروى عن أبي هريرة أنه ﷺ قال (صلوا خلف كل بر وفاجر)[١] قال المخالف إن هذا الحديث منقطع فإنه من رواية مكحول. وهو لم ير أبا هريرة. قلنا الحديث الثاني يعضده..

٢- مارواه أبو هريرة عنه ﷺ. أنه قال: الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم براً كان أو فاجرا. وإن عمل بالكبائر والجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً وإن عمل بالكبائر)[٢].

٣- مارواه ابن عمر أنه ﷺ قال: (صلوا خلف كل من قال «لا إله إلا الله وصلوا على من مات من أهل لا إله إلا الله»[٣].

٤- قوله ﷺ في الأئمة الأشرار (يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم. وإن أخطأوا فلكم وعليهم)[٤].

٥- فعل الصحابة:

أ- فقد روى أن عبدالله بن عمرو وأنس بن مالك «رضي الله عنهم» كانا يصليان خلف الحجاج. وكان فاسقا ظالما. ولو لم يجيزا الصلاة خلفه لم يصليا خلفه.

ب- ماروى أن عبدالله بن مسعود وغيره كانوا يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان يشرب الخمر حتى أنه صلى بهم الصبح مرة أربعاً ثم قال أأزيدكم؟ فقال له (ابن مسعود: مازلنا معك في زيادة منذ اليوم)[٥]...

---

(١) ضعيف، أخرجه الدارقطني (٢/ ٥٧) وغيره.

(٢) ضعيف، أخرجه أبو داود (٥٩٤ و٢٥٣٣) والدارقطني (٢/ ٥٦)، وانظر إرواء الغليل (٥٢٧).

(٣) ضعيف، أخرجه الدار قطني (٢/ ٥٦) وغيره.

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٤) الأذان، إذا لم يتم الإمام.

(٥) أخرجه مسلم (١٧٠٧).

ج- ماورد في الصحيح أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما حصر صلى بالناس شخص[1] فدخل عبيدالله بن عدي فقال لعثمان رضي الله عنه: «إنك إمام عامة وهذا الذي صلى بالناس إمام فتنة؟» فقال «إذا أحسن الناس فأحسن معهم» الحديث[2].

س- هل يجوز منع الفاسق من الإمامة بالناس..؟

جـ - إذا أمكن الإنسان أن يمنع الفاسق من الائتمام وجب ذلك عليه وإن لم يتمكن من منعه أو تمكن من ذلك ولكن يترتب عليه شر كبير فلا يجوز وذلك لما تقدم من أنه لايجوز دفع أخف الضررين بارتكاب أعظمهما ولايدفع الفساد القليل بالكثير فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان.

س- ما المقصود بالمخطىء «المعذور»؟ وما حكم الصلاة خلفه؟

جـ: المراد به: من ترك شرطاً من شروط الصلاة أو واجباً من واجباتها ناسيا. وحكم الصلاة خلفه: إذا لم يعلم المأموم بحاله. فإن صلاته صحيحة ولاتلزمه الإعادة وكذلك إذا علم بعد الصلاة عند مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه ويلزمه إعادة الصلاة عند أبي حنيفة.

ودليل الأولين ماروى أن عمر رضي الله عنه (صلي بالناس وهو جنب فأعاد صلاته. ولم يأمرهم بالإعادة)[3]. ولما تقدم من حديثه ﷺ في الأئمة الأشرار «يصلون بكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطأوا فلكم وعليهم»[4].

---

(١) قيل هو عبدالرحمن بن عديس وقيل هو كنانة بن بشر.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٥) الآذان/ إمامة المفتون والمبتدع.

(٣) أثر صحيح. أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٦٩) وعبدالرزاق في المصنف (٢/ ٣٤٧) وغيرهما

(٤) سبق تخريجه قريباً.

«فهذان دليلان على أنه لاتلزمه إعادة الصلاة ولو علم المأموم بذلك» قال الشارح (وكذلك لو فعل الإمام ما لايسوغ عند المأموم) وفيه تفاصيل موضعها كتب الفروع، ولو علم أن إمامه يصلي على غير وضوء!! فليس له أن يصلي خلفه، لأنه لاعبُ، وليس بمصل وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر وإمام الصلاة يطاع في مواضع الاجتهاد وليس عليه أن يطيع أتباعه في مواد الاجتهاد بل عليهم طاعته في ذلك وترك رأيهم لرأيه فإن مصلحة الجماعة في الائتلاف ومفسدتهم في الفرقة والاختلاف أعظم من أمر المسائل الجزئية. . . (فإن الاجتماع والائتلاف مما يوجب رعايته وترك الخلاف المفضى إلى الفساد)[1].

س- هل تجوز الصلاة خلف المبتدع؟

ج: لايخلو الأمر من حالتين:

١- أن توصله بدعته إلى الكفر كغلاة المشبهة وغلاة الشيعة القائلين بالحلول وغلاة المعطلة من الجهمية والمعتزلة ونحوهم المنكرين لعلو الله تعالى والقائلين بخلق القرآن وهؤلاء لاتصح الصلاة خلفهم لأن بدعتهم تؤدي بهم إلى الكفر.

٢- ألا تبلغ به بدعته الكفر وهنا خلاف بين الفقهاء فمنهم من قال يصلي خلفه وهو الراجح ومنهم من قال لا يصلى خلفه إلا إذا خشى فوات الجمعة أو الجماعة أو خشى على ماله أو بدنه أو عرضه.

قال الطحاوي رحمه الله: «ولانرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولاندعو عليهم، ولاننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من

---

(١) ص (٤٢٤ - ٤٢٥).

طاعة الله عز وجل فريضة، مالم يأمروا بمعصية».

س- وضح من هو ولي الأمر والمراد به، ومن هم فروعه؟ وما حكم مخالفتهم في المسائل الاجتهادية؟

ج : المراد بولي الأمر هو الإمام الأعظم. أي خليفة المسلمين.

والمراد بفروعه:

١- أمراء البلدان.

٢- وأمير الحرب.

٣- وعامل الصدقة ونحو ذلك ولايجوز مخالفة ولي الأمر ولا فروعه في المسائل الاجتهادية التي لانص فيها شرعي. وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على ذلك. ولأن مصلحة الجماعة في الاتحاد والاتفاق ومفسدتهم في الفرقة والاختلاف أعظم من أمر المسائل الجزئية ولهذا لم يجز للحكام أن ينقض بعضهم حكم بعض..

مبحث

حكم الصلاة على من مات من الأبرار والفجار

س- هل تجب الصلاة على من مات براً ولكنه لم يمت شهيداً؟

ج : اتفق العلماء على أن صلاة الجنازة من فروض الكفاية إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين. وإذا تركها الكل أثموا. وذلك لأمر الرسول ﷺ بها ومحافظته عليها وبناء عليه فإن من مات من الأبرار ولم يكن شهيداً تجب الصلاة عليه وقد ورد في الحث على الصلاة على الجنازة آثار منها: قوله ﷺ (من تبع الجنازة وصلى عليها فله قيراط. ومن تبعها حتى يفرغ منها. فله قيراطان. أصغرهما مثل أحد)[1].

س- من هو الشهيد. وما حكم الصلاة عليه..؟

ج : المراد بالشهيد هنا: هو من قتل في المعركة بأيدي الكفار.

حكم الصلاة عليه:

اختلف العلماء في حكمها على أقوال ثلاثة:

أ- فذهب الجمهور إلى أنه لايصلي عليه.

ب- وذهب البعض إلى أنه يصلي عليه.

جـ- وذهب ابن حزم إلى التخيير. فقال إن صلى عليه فحسن وإن تركها فحسن وهذا القول: رواية في المذهب استصوبها ابن القيم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٢٥) الجنائز/ من انتظر حتى تدفن. ومسلم (٩٤٥).

منشأ الخلاف بين العلماء في حكم الصلاة على الشهيد:

هو: اختلاف الآثار المنقولة عن الرسول ﷺ في شهداء أحد هل صلى عليهم الرسول أم لا؟ فمن قال يصلي عليهم فهو آخذ بالآثار التي ورد فيها أن الرسول ﷺ صلى على شهداء أحد.. والعكس بالعكس. وقد اقتصرنا على شهداء أحد لأنه لم ينقل عن الرسول أنه صلى في شيء من المعارك على غير شهداء أحد.. وهذا مما يجعلنا نرجح عدم جواز الصلاة عليه لأنه يبعد أن يصلي الرسول على غير شهداء أحد ولم ينقل إلينا مع وجود الجمع الغفير.. ولو كانت الصلاة على الشهداء مشروعة لصلى الرسول عليهم ولو صلى عليهم لنقل إلينا.

س- ما الحكمة من عدم وجوب الصلاة على الشهيد؟

ج: التمس بعضهم حكمة لذلك فقال لسببين هما:

١- لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون. كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[1] والصلاة إنما على الميت.

٢- لأن الصلاة على الميت إنما شرعت للشفاعة له والدعاء له والشهيد ليس في حاجة إلى الشفاعة لأنه كما ورد (يشفع في سبعين من أهله)[2].

س- هل تجوز الصلاة على الكفار والمنافقين؟

ج: من مات من الكفار والمنافقين، فلا تجوز الصلاة عليه بل تحرم بدليل:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٦٩).

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي (١٦٦٣) وابن ماجة (٢٧٩٩) وغيرهما.

﴿قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1] فقد نهى الله نبيه عن الصلاة على المنافقين والنهي يقتضي التحريم.

٢- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾[2] فإن الله بيّن أنه لاينبغي ولايجوز للنبي والمؤمنين أن يستغفروا للمشركين والصلاة على الميت استغفار له. فدلت الآية على عدم جواز الصلاة على المشركين.

٣- ومن أجل أنه لايصلي على الكفار والمنافقين كان عمر لايصلي على من لم يصل عليه حذيفة بن اليمان.. لأن حذيفة قد علم المنافقين من النبي ﷺ في غزوة تبوك.

س- هل تجوز الصلاة على فساق المسلمين..؟

ج: اختلف العلماء في ذلك أقوال ثلاثة:

أ- ذهب الجمهور إلى أنه يصلي عليهم.

ب- وذهب البعض إلى عدم الصلاة عليهم.

جـ- وذهب أبو حنيفة إلى أنه يصلي عليهم باستثناء ثلاثة وهم:

١- البغاة.

٢- وقطاع الطريق.

٣- وقاتل نفسه.

أدلة كل طائفة:

أ- أدلة الجمهور: وقد استدلوا بما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ

---

(١) سورة التوبة: الآية (٨٤).

(٢) سورة التوبة: الآية (١١٣).

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ﴾[1] وجه الدلالة بأن الله أمر نبيه ﷺ بعد التوحيد والاستغفار له وللمؤمنين والمؤمنات قالوا: والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات على قسمين عام وخاص. وهو إما واجب أو مستحب. فأما العام وهو المستحب فهو دعاء المؤمنين للمؤمنين والمؤمنات في سائر الأوقات.

وأما الخاص: وهو الواجب فهو صلاة الجنازة. قالوا: فما من ميت يموت إلا وقد أمر المسلمون بالصلاة عليه وهم: مأمورون بالدعاء له فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ (إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء)[2] وبما أن الآية عامة في الأمر بالاستغفار فيدخل في مسمى المؤمنين الفاسق وغير الفاسق.

٢- ورد في الحديث أن الرسول ﷺ قال (صلوا خلف كل من قال لا اله إلا الله وصلوا على من مات من أهل لا اله الا الله)[3] فهذا حديث عام يشمل الفساق وغيرهم من المؤمنين..

ب - أدلة المانعين:

استدلوا بما ورد من أن الرسول ﷺ لم يصل على قاتل نفسه[4] ولم يصل على الغال[5]. قالوا.. والغال وقاتل نفسه فاسقان فيقاس عليهما سائر الفساق.

---

(١) سورة محمد: الآية (١٩).

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (٣١٩٩) وابن ماجة (١٤٩٧) وغيرهما.

(٣) سبق تخريجه ص: ٣٠٩.

(٤) أخرجه مسلم (٩٧٨) وأبو داود (٣١٨٥).

(٥) ضعيف أخرجه أبو داود (٢٧١٠) والنسائي وابن ماجة، وانظر الإرواء (٧٢٦).

ج - أدلة أبي حنيفة:

١- استدل على المنع من الصلاة على قاتل نفسه بما ورد من أنه ﷺ لم يصل عليه.

٢- أما دليله على منع الصلاة على قاطع الطريق والبغاة.. فقال لأنهم باينوا دار الإسلام فأشبهوا أهل الحرب. وأهل الحرب لا يصلى عليهم..

الرأي المختار:

هو ما ذهب إليه الجمهور من أنه يصلي على الفساق لعموم الأدلة التي استدلوا بها ولردهم على أدلة المخالفين:

أ- أما استدلال من قال لا يصلى عليهم بأنه ﷺ: لم يصلِّ على الغال وقاتل نفسه فيجاب عنه: بأن الرسول لم يصل عليهما للزجر عن فعلهم وليس لأن الصلاة عليهم لا تجوز بدليل: أمره للصحابة بالصلاة على قاتل نفسه حيث قال: صلوا على صاحبكم.

ب- وأما استدلال أبي حنيفة بأن البغاة وقطاع الطريق باينوا دار الإسلام. فأشبهوا أهل الحرب. فنقول، هذا الدليل لا يقوى على تخصيص عموم الأدلة الدالة على الصلاة على من مات من أهل القبلة.

مبحث

(الحكم على معين بجنة أو نار، أو كفر أو إشراك)

قال الطحاوي «ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا ناراً. ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك وبنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك ونذر سرائرهم إلى الله تعالى».

س- وضح ما حكم الجزم لمسلم معين بجنة أو بنار؟

جـ: من أصول أهل السنة والجماعة أن لا يحكم لمعين بالجنة أو النار إلا من أخبر عنه الصادق المصدوق بذلك كالعشرة المبشرين بالجنة، وذلك لأن الحقيقة باطنة لم نطلع عليها. وما مات عليه المرء لم يظهر لنا وإن كنا نرجو للمحسنين الثواب ونخشى على المسيئين العقاب.

س- اذكر آراء السلف في الشهادة للمعين بالجنة...؟

جـ: اختلف العلماء في ذلك على أقوال عدة:

أ- أنه لا يشهد إلا للأنبياء فقط. وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي.

ب- يشهد لمن ورد فيهم النص. وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

جـ- يشهد لمن ورد فيهم النص ولمن شهد له المسلمون بذلك.

دليل كل طائفة:

أ- دليل الأولين: قالوا إن الأنبياء وحدهم هم المعصومون ومن سواهم فغير معصومين فيشهد للأنبياء دون من سواهم.

ب- دليل الرأي الثاني: أن الرسول ﷺ هو المخبر عن ربه وهو الصادق الأمين. فإذا أخبر عن أحد وشهد له بالجنة. فقد وجبت له الشهادة بها...

جـ: دليل الرأي الثالث: قالوا: دليلنا ما يأتي:

١- ما ورد في الصحيحين أنه: مر بجنازة. فاثنوا عليها بخير فقال النبي ﷺ «وجبت» وفي رواية: كرر «وجبت» ثلاث مرات. فقال عمر: يا رسول الله ما وجبت فقال رسول الله ﷺ هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة. وهذا أثنيتم عليه شرا حتى وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»[١].

٢- قوله ﷺ «توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار» قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «بالثناء الحسن والثناء السيء»[٢].

ثمرة الخلاف: إن الرأي الأول يتوقف على الأنبياء. أما الثاني والثالث فلا يتوقف على الأنبياء بل يتعداهم إلى غيرهم. على خلاف في مقدار ذلك التجاوز. وتظهر ثمرة الخلاف في مثل عمر بن عبدالعزيز والأئمة الأربعة هل يشهد لهم بالجنة أم لا؟ فعلى الرأي الثالث يشهد لهم بالجنة. وعلى الرأيين الأوليين لا يشهد..

الرأي المختار: هو الرأي الثاني وذلك لما يأتي:-

أولا: وجاهة مااستدلوا به وقوته.

ثانيا: أما عن دليل الأولين فأن عصمة الأنبياء تقتضي تصديقهم فيما أخبروا به.. فإذا أخبروا بالشهادة لأحد في الجنة. فيجب تصديقهم. وذلك بالشهادة لمن شهدوا.

ثالثاً: وأما عن دليل الآخرين الأول: فنقول: إن الشهادة لإحدى الجنازتين بالجنة والأخرى بالنار إنما هو لإخبار الرسول ﷺ وأما قوله «هذا أثنيتم» فليس هذا من ربط الأشياء بمسبباتها التي لا تتخلف عنها أبدا وإنما هو من ربط الأشياء بالقرائن. التي تختلف في بعض الأمور.

---

(١) البخاري (١٣٦٧) الجنائز/ ثناء الناس على الميت، ومسلم (٩٤٩).

(٢) حديث حسن. رواه ابن ماجة (٤٢٢١) وأحمد (٣/ ٤١٦ ٦/ ٤٦٦).

ويدل على ذلك دليلهم الثاني حيث قال ﷺ توشكون ولم يقل تعلمون وهناك فرق بينهما وهذا دليل على رجحان الرأي الثاني.

س- ما حكم تكفير المسلم المعين أو تفسيقه أو الحكم عليه بالنفاق؟

ج: من أصول أهل السنة ألا يحكم على أحد من أهل القبلة بشيء من ذلك للا إذا ظهر منه وذلك لأننا قد نهينا عن اتباع الظن وقد دلت على ذلك آيات منها ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾[1] وقال ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾[2] والسخرية قول بالظن وكلام على الإنسان بما لا يعلم وقال **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾**[3] والنهي يقتضي التحريم.

س- وضح الأحوال التي يباح فيها دم المسلم.

ج: يشير السؤال إلى قوله ﷺ «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني. والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة»[4] وفي هذا إشارة إلى الرد على الخوارج الذين يستحلون دم مرتكب الكبيرة.

س- وردت نصوص أخرى في حل دم أصناف من الناس غير الثلاثة المذكورين في الحديث، فكيف توفق بين هذه النصوص؟

ج: اختلف العلماء في هذا الحديث هل هو محكم أم منسوخ:-

أ- فجمهور العلماء على أنه محكم. وما ورد من الجرائم داخل فيه. فاللواط وإتيان البهيمة داخل في الزنا. والباغي وقاطع

---

(١) سورة الحجرات: الآية (١٢).

(٢) سورة الحجرات: الآية (١١).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٣٦).

(٤) أخرجه البخاري (٦٨٧٨) الديات/ إذا قتل بحجر. ومسلم (١٦٧٦) وغيرهما.

الطريق داخل في الارتداد عن الدين أو قال فإن قاطع الطريق داخل في قتل النفس. وأما الباغي فهو داخل في الارتداد وإن لم يفارق دينه.

ب- وقال قوم هذا الحديث منسوخ. والناسخ له آية الحرابة ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾[1] والمنسوخ هو حكم الحصر. لا الأحكام التي وردت فيها.

ج- ويقال بأن الحديث عام مخصوص فعموم النص خصص بأمور أخرى.

---

(١) سورة المائدة: الآية (٣٣).

مبحث

«الخروج على الأئمة»

س- قال الطحاوي «ولا نرى في الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة». وضح حكم الخروج على الأئمة مع ذكر الدليل لما تقول.

ج: لا يجوز الخروج على الأئمة وإن جاروا. إلا إذا أتوا كفراً صريحا لا شبهة فيه أو عطلوا شعيرة من شعائر الدين الظاهرة.. والدليل على عدم جواز الخروج عليهم... هو عموم الأدلة الدالة على وجوب طاعتهم. ومنها:-

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾(١).

٢- ما روى عنه ﷺ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله. ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعصى الأمير فقد عصاني»(٢).

٣- ما روى عنه ﷺ أنه قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره. إلا أن يؤمر بمعصية. فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(٣).

---

(١) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٧) الأحكام/باب قوله تعالى ﴿أطيعوا الله...﴾ ومسلم (١٨٣٥) وغيرهما.

(٣) أخرجه مسلم (٦٤٨) وابن ماجة (٢٨٦٢) وغيرهما.

٤- ما روى عن أبي ذر قال: «أوصاني خليلي أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا حبشياً مجدع الأطراف»[١] وهذا كناية عن إيذائه وشره. لأن الرجل في الجاهلية إذا كان عبده شقيا شريرا قطع أطرافه ردعاً لشره.

٥- ما روى عن حذيفة بن اليمان قال: قلت يا رسول الله فبماذا ترى إذا أدركني ذلك. «أي الأئمة الأشرار» قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم فقلت: وإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام. قال: فاعتزل الفرق كلها. ولو تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك[٢]...

٦- ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر، فإن فارق الجماعة شبرا. مات ميته جاهلية[٣] «وفي رواية فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[٤].

س- وضح الحالات التي يجوز فيها الخروج على ولاة الأمور.

ج: يباح الخروج عليهم في حالتين:

أولاهما: إن أتوا كفرا صريحا لا شبهة فيه. وذلك لأنهم يعتبرون.. والحالة هذه كفارا... وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٦) ومسلم واللفظ له (١٨٣٧) وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) المناقب/ علامات النبوة، ومسلم (١٨٤٧).

أخرجه البخاري (٧٠٥٣) الفتن/باب قول النبي ﷺ (سترون بعدي أموراً تنكرونها). ومسلم (١٨٤٩).

(٣)، (٤) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٨٦٣) وأحمد (٤/ ١٣٠ و٢٠٢)، (٥/ ٣٤٤) من حديث طويل للحارث الأشعري.

(٥) سورة النساء: الآية (١٤١).

الثانية: إذا عطلوا شعيره من شعائر الله الظاهره، كأن لم يقيموا الصلاة جماعة. ونحو ذلك . . ويدل لجواز الخروج عليهم في مثل هذه الحالة: ما روى عن عوف بن مالك الأشجعي. إن النبي ﷺ قال: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتقبلون عليهم. ويقبلون عليكم. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قال: فقلنا: أفلا ننابذهم بالسيف قال: لا. ما أقاموا فيكم الصلاة: ألا من ولى عليه وال. فرآه يأتي شيئا من معصية الله. فليكره ما يأتي من معصية الله. ولا ينزعن يدا من طاعته)[1] وجه الدلالة: مأخوذ من قوله (لا: ما أقاموا فيكم الصلاة) فقد دل بمنطوقه على عدم جواز الخروج عليهم. ما أقاموا الصلاة، ودل بمفهومه على جواز الخروج عليهم. إذا لم يقيموا الصلاة.

س- وضح الحكم التي ورد لأجلها النهي عن الخروج على ولاة الأمر.

ج: دلت النصوص الشرعية على عدم جواز الخروج على الأئمة. وذلك لحكم متعددة منها.

١- منع الفساد والفوضى. فإنه يترتب على الخروج على الأئمة. من المفاسد أضعاف ما يحصل من وجودهم. وذلك لأنه سبب من أسباب انتشار القتل وكثرة الفواحش.

٢- لأن في الصبر على جورهم تكفيرا للسيئات ومضاعفة للأجور وذلك أن الله إنما سلطهم بسبب ظلم الرعية قال تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[2] وقال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا﴾[3].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥) وأحمد (٦/ ٢٤ و٢٨).

(٢) سورة الشورى: الآية (٣٠).

(٣) سورة الأنعام: الآية (١٢٩).

س- اذكر نكتة إعادة الأمر بالطاعة مع الرسول دون «أولي الأمر» في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1].

ج: النكتة هي: أن الرسول ﷺ. طاعته واجبة. على كل حال. لأنه لا يأمر إلا بما فيه طاعة الله. ولذلك أعاد الله الفعل معه. أما أولي الأمر فلما كانوا لا يقرون بالطاعة المطلقة وإنما يطاعون في ما هو طاعة الله. ولا يطاعون فيما هو معصية لله. لذا لم يعد الفعل معه للدلالة على أنهم يطاعون فيما هو طاعة لله ولا يطاعون فيما ليس بطاعة الله..

س- ما هي الوسيلة الشرعية للخلاص من جور الأئمة؟

ج: السبيل إلى ذلك كما قال شارح الطحاوية هو (ابتعاد الرعية عن الظلم والتظالم فيما بينهم. واجتهادهم في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل والنية... روى عن مالك بن دينار أنه جاء في بعض كتب الله «أنا الله مالك الملك. قلوب الملوك بيدى. فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة. فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا أعطفهم عليكم»[2] قال الله تعالى «م﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[3] على أن تسليط الملوك الظلمة إنما هو بسبب الذنوب التي اقترفوها فعليهم اجتناب تلك المعاصي.

---

(١) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٩٥٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٤٩) فيه إبراهيم بن راشد وهو متروك، قلت: بل هو وهب بن راشد كما في الأوسط للطبراني، وقال عنه أبو حاتم: ضعيف الحديث (علل الحديث: ٢١٠٨)، وقال ابن ابي حاتم: منكر الحديث حدث بأحاديث بواطيل (كتاب الجرح والتعديل)، وقال الدارقطني في العلل: ضعيف متروك.

(٣) سورة الشورى للآية (٣٠).

بــــاب
إتباع السنة والجماعة واجتناب الشذوذ والخلاف والفرقة

س- قال الطحاوي ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة، وضح المقصود بالسنة، مع بيان المراد بالجماعة؟

ج : السنة في اللغة: هي الطريقة والسيرة، سواء كانت حسنة أو قبيحة، يقال لكل من ابتدأ عملاً أو تبعه غيره فيه «أنه قد سنّه» وروى عنه ﷺ أنه قال: (من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها: من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء.. الحديث)[1] والمراد بها هنا الطريقة التي سار عليها ﷺ سواء كانت من قبيل الواجب أو المستحب. وليس المراد بها مايرادف المستحب كما اصطلح الفقهاء. وإنما المراد العموم.

وأما الجماعة: فهي في اللغة: الطائفة من الناس. والمراد بهم هنا جماعة المسلمين من الصحابة رضي الله عنهم. والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وينطبق عليهم قوله ﷺ (وهم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)[2].

س- ما المراد بالشذوذ. والخلاف. والفرقة..؟

ج : هي ألفاظ متقاربة. فالشذوذ في اللغة - هو الانفراد أو الخروج على ما اتفق عليه والخلاف: ضد الوفاق:

والفرقة ضد الوحدة، فهي ألفاظ متقاربة

ومراد الطحاوي من قوله «ونتبع السنة: ونجتنب الشذوذ» بيان أن من

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧) والنسائي (٥/ ٧٥) وابن ماجة (٢٠٣) وغيرهم.

(٢) حسن لغيره، أخرجه الترمذي (٢٦٤١).

أصول أهل السنة والجماعة: التمسك بسنة النبي ﷺ والتمسك باتحاد المسلمين وعدم إدخال الفرقة فيما بينهم.

س- ما الأدلة على وجوب اتباع السنة والجماعة؟

ج: لقد دل على وجوب الاتباع - الكتاب - والسنة - وآثار عن الصحابة.

أ- أما من الكتاب فقد دل على ذلك الكثير ومنه:

١- قوله تعالى. ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾[١] فقد جعل الله اتباع رسوله شرطا في محبته ومغفرته.. وهذا دليل على الاتباع. ويدل بطريق اللزوم. على وجوب اتباع أهل السنة والجماعة.

٢- قوله سبحانه ﴿**قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾**﴾[٢] فقد أمر سبحانه بطاعته. وطاعة رسوله. وجعل طاعته شرطا للإهتداء وهذا يدل على وجوب السير على الطريقة التي سار عليها..

٣- قوله تعالى ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ**﴾[٣] فقد رتب العذاب على الفرقة والاختلاف فهو يدل على وجوب اتباع أهل السنة والجماعة. لأن الجماعة لا تطلق إلا على من اتبع سنة الرسول ﷺ.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٣١).

(٢) سورة النور: الآية (٥٤).

(٣) سورة النساء: الآية (١١٥).

٤- قوله تعالى ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[١] والنهي يقتضي التحريم.

ب- أما من السنة فأحاديث كثيرة منها:

١- ما روى عن العرباض بن سارية «قال: إن رسول الله ﷺ وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون.. ثم قال ﷺ «أوصيكم السمع والطاعة. فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي. تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور. فإن كل بدعة ضلالة»[٢].

٢- ما روى عن ابن عباس أنه ﷺ قال «من رأى من أميره شيئا يكرهه. فليصبر فإن من فارق الجماعة شبرا فمات فقد مات ميتة جاهلية»[٣] فهذا يدل على التحذير من مفارقة الجماعة ولو مسافة قصيرة.

٣- ما روى عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن أهل الكتابين افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة. كلها في النار إلا واحدة «وهم من كان على مثل ما كان عليه ﷺ وأصحابه»[٤].

جـ: وأما الآثار فمنها: ما روى عن ابن مسعود أنه قال: «من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات. فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوبا وأعمقها علما،

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي (٢٦٧٦) وأبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجة (٤٢) وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٣) الفتن/باب قول النبي ﷺ (سترون بعدي أموراً تنكرونها) ومسلم (١٨٤٩).

(٤) صحيح. أخرجه أبو داود (٤٥٦٧) وأحمد (٤/ ١٠٢) وغيرها.

وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم. واتبعوهم في آثارهم. وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[1].

---

(١) إسناده ضعيف. أخرجه ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) (١٨١٠) ولكن معناه صحيح. ونحوه عن الحسن البصري (المصدر السابق) ح (١٨٠٧)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥ - ٣٠٦) عن ابن عمر وفي سنده ضعف.

«باب الحب في الله والبغض في الله»

س- قال الطحاوي «ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة» وضح المقصود بالحب والبغض في الله.

ج : الحب في الله: مرادف للحب لله. فإذا قلت أحب فلانا في الله فكأنك قلت أحبه لله. والحب في الله هو: محبة الشيء لأجل محبة الله له سواء كان شخصا. أو فعلا أو غيره.

والبغض في الله: مرادف للبغض لله. وعلى هذا فهو بغض الشيء لأجل بغض الله له. سواء كان شخصا أو فعلا أو غيره.

س- ما الفرق بين الحب في الله والحب مع الله. . . ؟

ج : الحب في الله هو محبة الشيء لأجل محبة الله له. فهو حب مقيد بما يحبه الله سبحانه وتعالى:

أما الحب مع الله. فهو محبة الشيء بغض النظر عن كون الله يحبه أو لا يحبه.

س- ما حكم الحب في الله. وما حكم الحب مع الله. . ؟

جـ- الحب في الله من كمال الدين. وغاية العبودية. ولا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يحب في الله. ويبغض في الله. فقد ورد في الصحيحين عن رسول الله ﷺ «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. . ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقي في النار»[1] فبدون الحب في

---

(١) أخرجه البخاري (١٦) الإيمان/ حلاوة الإيمان، ومسلم (٤٣).

الله والحب لله، وكراهيته الرجوع في الكفر الذي هو البغض في الله، لا يجد المرء حلاوة الإيمان».

أما الحب مع الله فلا يخلو من حالتين:

أ- أن يقترن به كمال الذل والخضوع. وهو في هذه الحالة شرك لأن المحبة التامة والخضوع الكامل من أنواع العبادة. ومن أشرك مع الله غيره فيها فقد كفر. ومثل ذلك محبة المشركين لأصنامهم.

ب- ألاّ يقترن بها ذل وخضوع. وهنا لا يخلو الأمر من حالتين:

١- ألاّ يقدم المحب محبوبه على أوامر الله ونواهيه، وهي هنا مباحة كسائر المباحات. ومن ذلك قوله ﷺ «حبب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»[1].

٢- أن يقدم المحب محبوبه على أوامر الله سبحانه ونواهيه. فهي هنا تكون محرمة وإن كانت لا تصل إلى الشرك.

س- اذكر بعض لوازم المحبة؟

ج: قال الشارح «فإن المحب يحب ما يحب محبوبه. ويبغض ما يبغض. ويأمر بما يأمر به. وينهى عما ينهى عنه. فهو موافق لمحبوبه في كل حال. والله تعالى يحب المحسنين. ويحب المتقين. ويحب التوابين. ويحب المتطهرين ونحن نحب من أحبه الله. والله لا يحب الخائنين. ولا يحب المفسدين ولا يحب المستكبرين. ونحن لا نحبهم أيضا. ونبغضهم، موافقة له سبحانه وتعالى. ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض أعداءه. ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم كما قال تعالى

---

(١) حديث حسن، رواه النسائي (٧/ ٦١) وأحمد (٣/ ١٢٨) وغيرهما.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾[1].

س- ما معنى محبة الله لبعض عباده؟

ج : ورد أن الله يحب المحسنين والمتقين. والذين يقاتلون في سبيله. ومن أصول أهل السنة والجماعة إثباتها لله على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تكييف ولا تمثيل. ولا تعطيل، بخلاف بعض الفرق الضالة من المعتزلة والجهمية فقد نفوا إثبات المحبة وقالوا: إن المراد بها: إرادة الإحسان.

س- هل يمكن أن يجتمع الحب في الله والبغض في الله في حق شخص واحد؟

ج : نعم قد يجتمع في الشخص ذلك.. وذلك بحسب الخصال التي فيه فيحبه في الله لما فيه من خصال الخير ويبغضه في الله لما فيه من خصال الشر والحكم للغالب منهما في النهاية. فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة.. فيكون محبوبا من وجه مبغضا من وجه آخر. كما في المؤمن الفاسق ونحوه. (هذا رأي الجمهور).

أما عند الأحناف فلا يمكن أن تجتمع. لأنه عندهم. لا يجتمع عند الإنسان إيمان وكفر. وحب وبغض فالإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص وكذلك حكم العبد عند الله فإن الله قد يحب الشيء من وجه ويكرهه من وجه آخر. كما قال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل «وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت. وأنا أكره مساءته ولا بد له منه»[2] فبين أنه يتردد ترددا يليق بجلاله وعظمته. لأن

---

(١) سورة الصف: الآية (٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) الرقاق/ باب التواضع.

التردد تعارض بين إرادتين. . وهو سبحانه يحب ما يحب عبده المؤمن ويكره ما يكرهه. وهو يكره الموت فهو يكرهه كما قال: (وأنا أكره مساءته) وهو سبحانه قضى بالموت فهو يريد موته فسمي ذلك ترددا ثم بين أنه لابد من وقوع ذلك. إذ هو يفضي إلى ما هو أحب منه).

الواجب على المسلم فيما اشتبه عليه

س- قال الطحاوي «ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه» وضح المقصود بالمحكم والمتشابه؟

جـ: للعلماء آراء في تحديدهما. ويمكن أن يستنتج من مجموعها ما يأتي:

المحكم هو: ما كان واضحاً في دلالته على المقصود منه.

والمتشابه هو: ما خفيت دلالته على المقصود منه. وأنواعه كثيرة ومنها:

١- نوع لا يعلمه أحد من البشر. ولكن استأثر الله بعلمه. وذلك كالعلم بكيفية صفاته. وكذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾[(١)].

٢- نوع قد يتوصل إليه كل إنسان عن طريق البحث والدرس. وذلك كالأب في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾[(٢)] قالوا: الأبُّ: هو ما ترعاه البهائم.

٣- نوع قد يتوصل إليه بعض الناس عن طريق الفهم الذي يلقيه الله في قلبه كقوله ﷺ في دعائه لابن عباس «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[(٣)].

س- هل في القرآن محكم ومتشابه؟

جـ: ١- قد ورد في القرآن ما يدل على أنه كله محكم كقوله تعالى:

---

(١) سورة لقمان: الآية (٣٤)

(٢) سورة عبس: الآية (٣١)

(٣) أخرجه البخاري (١٤٣) الوضوء/ وضع الماء عند الخلاء. ومسلم (٢٤٧٧) وأحمد (١/ ٢٦٦ - ٣١٤ - ٣٢٨ - ٣٣٥) واللفظ له.

﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾[1].

٢- وقد ورد في القرآن ما يدل على أنه متشابه كقوله ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾[2].

٣- ورد ما يدل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه. ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾[3] ولا تعارض بين الإطلاقات الثلاث. وذلك لما يأتي:

١- لأن الإحكام في الآية الأولى المراد به الإتقان الذي لا يتطرق إليه الخلل.

٢- والتشابه في الآية تشابه في الجودة والإتقان وكونه معجزاً.

٣- أما الثالث. فالمراد به أن من القرآن ما هو واضح في الدلالة على المقصود منه وهذا هو المحكم ومنه ما هو غير واضح في الدلالة. وهو المتشابه.

س- ما الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم؟

جـ- ذكر العلماء عدة حكم منها:

١- رحمة الله تعالى بهذا الإنسان الضعيف الذي لا يطيق معرفة كل شيء فأخفى عنه موعد الساعة لكي لا يتكاسل عن الاستعداد لها. ولا يجزع إذا علم بقرب موعدها. وأخفى عنه موعد أجله. لما تقدم وأخفى عنه كنه ذاته سبحانه وصفاته من أنه لايستطيع إدراك كنهه ولا يقدر على تحمله.

---

(١) سورة هود: الآية (١).

(٢) سورة الزمر: الآية (٢٣).

(٣) سورة آل عمران: الآية (٧).

٢- إظهار عجز الإنسان وجهالته، وأنه مهما بلغ من الاستعداد والقوة لا يمكن أن يعلم ما حجب الله علمه عنه.

٣- ابتلاء الإنسان واختباره.. أيؤمن بما أخبر به الصادقين عن الله.

س- ما الذي يجب على المسلم فيما اشتبه عليه علمه. وما الدليل على ما تقول؟

جـ- الواجب عليه: أن يوكل علمه ويفوضه إلى الله سبحانه. قائلاً «والله أعلم» وتاركا الخوض فيما لا يعلم. وقد دلت أدلة الكتاب والسنة والآثار على عدم جواز الخوض للإنسان فيما لا يعلم:

أ- فأما من الكتاب فقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ﴾(١) الآية وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢) وقوله ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾(٣) وقوله ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾(٤).

ب- ومن السنة قوله ﷺ «إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا. ولكن يصدق بعضه بعضا. فما علمتم فاعملوا به. وما جهلتم فردوه إلى عالمه»(٥) فقد أمر برد ما لا نعلم علمه إلى عالمه. والأمر يقتضي الوجوب. وكذلك قوله ﷺ حين سئل عن أطفال المشركين قال «الله أعلم بما كانوا عاملين»(٦).

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٣٦).

(٢) سورة الأعراف: الآية (٣٣).

(٣) سورة الكهف: الآية (٢٦).

(٤) سورة الكهف: الآية (٢٢).

(٥) إسناده صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ١٨١ - ١٨٥ - ١٩٥ - ١٩٦) وعبدالرزاق في المصنف ٢٠٣٦٧) وأخرجه مسلم في صحيحه مختصراً (٢٦٦٦) وابن ماجة (٨٥) وغيرهم.

(٦) أخرجه البخاري (١٣٨٤) الجنائز/ ما قيل في أولاد المشركين. ومسلم (٢٦٥٩)، غيرها.

جـ- ومن الآثار ما يأتي:

ما روى عن أبي بكر رضي الله عنه قال: (أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في كتاب الله بما لا أعلم)[1] فهذا يدل على عدم جواز الخوض.

٢- قال عمر رضي الله عنه «السنة ما سنه الله عز وجل وما سنه رسوله ﷺ لا تجعلوا خطأ الرأي سنة».

٣- وقال أيضاً: اتهموا الرأي على الدين. فلو رأيتني يوم أبي الجندل ولقد رأيتني وأني لأرد أمر رسول الله ﷺ برأي فاجتهد ولا آلو، وذلك يوم أبي الجندل والكاتب يكتب بين رسول الله ﷺ وأهل مكة وقال رسول الله ﷺ اكتبوا «بسم الله الرحمن الرحيم» قال: فقالوا: ترانا قد صدقناك بما تقول؟ ولكنك تكتب بسمك اللهم فرضى رسول الله ﷺ وأبيت فقال يا عمر تراني أرضى وتأبى أنت؟! وأبو جندل هو: ابن سهيل بن عمرو. الذي كتب صلح الحديبية مع الرسول ﷺ فحين الكتابة جاء أبو جندل مسلما إلى رسول الله ﷺ فلم يقبل في صف المسلمين. ولكنه هل رد إلى المشركين.. قولان للعلماء.

٤- ما روي عن ابن سيرين قال «لم يكن أحد أهيب لما لا يعلم من أبي بكر ولا بعد أبي بكر وعمر وأن أبا بكر نزلت به قضية فلم يجدها في الكتاب والسنة فاجتهد برأيه». ثم قال: هذا رأيي. فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمني واستغفر الله...

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٠٩٨) من طريق إبراهيم التيمي عن أبي بكر، وهذا منقطع ورواه الطبري في التفسير (٧٨ و٧٩) وابن عبدالبر في (جامع بيان العلم) (١٥٦١)، من طريق أبي معمر عبدالله بن سخبرة الأزدي، وروايته عن أبي بكر الصديق مرسلة، راجع تهذيب الكمال (٦/١٥)، والجرح والتعديل (٦٨/٥).

مبحث:

فرض الرجلين في الوضوء وحكم المسح على الخفين

س- قال الطحاوي «ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر».

ما مناسبة ذكر الطحاوي والشارح لهذا البحث في العقيدة؟

جـ- لما كان مذهب أهل السنة، وجوب غسل الرجلين في الوضوء وجواز المسح على الخفين. وقد خالفهم في ذلك بعض طوائف أهل البدع.. لهذا ذكر الطحاوي والشارح هذا البحث لبيان مذهب أهل السنة كي يتميز عن غيره... ونوع الخلاف هنا: أصولي وليس فرعيا فقهيا..

س- اذكر آراء العلماء في فرض الرجلين في الوضوء مع إيضاح منشأ الخلاف ودليل كل وما الرأي المختار في نظرك مع الدليل؟

جـ- اختلف العلماء في فرض الرجلين في الوضوء ومقداره على أقوال:

أ- مذهب جمهور أهل السنة. إن فرضهما الغسل إلى الكعبين وهما العظمان الناتئان في جانبي القدم.

ب- ذهب الشيعة والإمامية إلى أن الواجب فيهما: المسح إلى الكعب وهو العظم الناتىء في ظهر القدم عند معقد الشراك.

جـ- نقل عن بعض أهل الظاهر أنه يجب الجمع بين الغسل والمسح.

د- نقل عن ابن جرير الطبري: أن المكلف مخير بين الغسل والمسح وقد أنكر الألوسي هذه النسبة إلى ابن جرير وقال: لعل القائل بذلك هو: محمد بن جرير بن رستم الشيعي صاحب الإيضاح للمسترقند.. لا الطبري فإن المذكور في تفسيره إنما هو الغسل لا المسح ولا الجمع ولا التخيير.

منشأ الخلاف في هذه المسألة:

هو اختلاف العلماء في توجيه القراءات الثلاث الواردة في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾[1] فإن الأرجل فيها ثلاث قراءات قراءتان متواترتان وهما النصب والجر وقراءة شاذة وهي الرفع وقد اختلف العلماء في توجيه هذه القراءات على ضوء ما فهموه من معنى المسح في اللغة وعلى مقدار ما وردهم من الأحاديث عن رسول الله ﷺ:

١- فبينما يرى البعض أن المسح يطلق ويراد به الإسالة ويطلق ويراد الإسالة والغسل. ويرى البعض الآخر أنه له معنى آخر مغاير لمعنى الغسل.

٢- وكذلك ما ثبت من الآثار عن النبي ﷺ فبينما يرى البعض ثبوتها وصحتها يرى الآخرون أن هذه الآثار منسوخة أو مطعون في صحتها.

دليل كل طائفة:

نقتصر هنا من أدلة الجميع على آية المائدة.. لأنها المحور الذي دارت حوله الآراء الأربعة وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[2].

وجه الاستدلال عند كل فريق:

أ- أهل السنة والجماعة: جعلوا قراءة النصب أصلا. وحملوا عليها القراءتين الأخريين:

١- فقراءة النصب تكون بعطف الأرجل على الوجوه والوجوه مغسولة

---

(١)، (٢) سورة المائدة: الآية (٦).

فالمعطوف على المغسول مغسول مثله.

٢- أما قراءة الجر فلهم آراء عدة في توجيهها ومنها:

أ- أن الأرجل معطوفة على الوجوه. وإنما جرت للمجاورة كما في قولهم «هذا جحرُ ضبٍ خربٍ» بجر خرب مع أنها مرفوعة أصلا إذ هي صفة لجحر.

اعتراض: قال بعضهم إن الجر للمجاورة إنما يكون مع عدم حرف العطف فإذا وجد حرف العطف.. كما في الآية.. فلا يجوز الجر للمجاورة.

الجواب: لا نسلم بما تقول فقد ورد الجر للمجاورة مع العطف قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾[1] فقد قرىء ونحاس بالجر لمجاورة نار مع وجود حرف العطف، ومن ذلك قول زهير:

لعب الزمان بها وغيرها   بعدي سوافي المور والقطر

وقد جر القطر لمجاورته المور مع أنه مرفوع في الأصل.

ب- وقيل إن المراد بقراءة الجر «المسح على الخفين» وإنما علمنا ذلك من فعل الرسول ﷺ فإنه لم يثبت أنه مسح الرجلين إلا مع وجود الخفين.

ج- وقيل إن الأرجل معمولة لعامل محذوف «معطوف على العامل في الرؤوس» والتقدير «وامسحوا برؤوسكم وامسحوا بأرجلكم». وقد دلت السنة على أن المسح للرأس يراد به الإصابة.. أما المسح للأرجل فيراد به الغسل والإسالة.. ولا مانع منه لغة فقد قال أبو زيد الأنصاري: المسح يكون مسحا.

(١) سورة الرحمن الآية (٣٥).

وهو إصابة - إصابة الماء - ويكون غسلا وقال الفارسي «والعرب تسمى خفيف الغسل مسحا».

٣- (أ) أما قراءة الرفع فتكون على تقدير خبر محذوف «وأرجلكم مغسولة» (ب) وأما الإمامية فقد جعلوا قراءة الجر أصلا وحملوا عليها قراءتي الرفع والنصب. .

١- فقالوا في قراءة الجر: إن الأرجل معطوفة على الرؤوس. والرؤوس ممسوحة فتكون الأرجل ممسوحة كذلك. .

٢- أما قراءة النصب فقالوا: إن الأرجل معطوفة على محل الرؤوس ومحلها النصب.

٣- وأما قراءة الرفع: فقدروا خبرا محذوفا والتقدير وأرجلكم ممسوحة.

أما من قال في التخيير: فقد قال: إن القراءتين كالخبرين فيعمل بهما. إذا لم يتناقضا. وهنا يمكن التخيير حيث لم يتناقضا.

الرأي المختار:

هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الفرض هو غسل الرجلين إلى الكعبين وذلك لما يأتي:

١- تواتر نقل صفة الوضوء عن النبي ﷺ قولا وفعلا وفيها ما يدل على أن الواجب الغسل لا المسح «تواترت السنة من رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين. فالذين نقلوا عن النبي ﷺ الوضوء قولا وفعلا. والذين تعلموا الوضوء منه وتوضئوا على عهده وهو يراهم ويقرهم ونقلوه إلى من بعدهم أكثر عددا من الذين نقلوا تفسير آية المائدة».

٢- لما في هذا القول من الجمع بين القراءتين على وجه لا مانع منه لغة ولا شرعا.

٣- أما قول الشيعة الإمامية فهو مردود: (أ) بالكتاب. (ب) بالسنة. (جـ) بالعقل.

أ- أما بالكتاب فلأن الله قال: ﴿**وأرجلكم إلى الكعبين**﴾ فدل ذلك على أن في كل رجل كعبين لا كعبا واحدة. لأنه لو أراد ذلك لقال إلى الكعب. كما في قوله ﴿**وأيديكم إلى المرافق**﴾ فالصيغة تدل على هذا لأن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي قسمته آحادا. وتوجيههم إلى قراءة النصب غير مسلم لأن العطف على المحل: إنما يكون إذا كان المعنى واحدا كما في قول الشاعر: فلسنا بالجبال ولا الحديد.

بخلاف قولك: مسحت برأسي ورجلي ومن ناحية أخرى فليس معنى «ومسحت برأسي ورجلي هو مثل مسحت رأسي ورجلي» بل ذكر الباء يفيد شيئا زائدا على مجرد إلصاق شيء من الماء بالرأس. فتعين الوقف على الوجه قوله «وأيديكم».

ب- وأما السنة: فقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه كان يغسل رجليه في الوضوء إذ تواتر ذلك عنه حيث روى عنه أنه قال: «ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار»[١].

جـ- وأما دليل العقل: فقد، تواتر عن السلف أن غسل الرجل إلى الكعبين هو الواجب ولو كان الفرض هو مسح ظاهر القدم فقط لكان غسل الجميع كلفه.. لا تدعو إليها الطباع ولا تتناقلتها الأمة ولا تتواتر عن السلف.

٤- وأما من قال بالتخيير والجمع.. فلا مجال لذلك.. طالما أن صفة الوضوء نقلت إلينا نقلا يدل على أن الواجب الغسل لا المسح.

---

(١) إسناده صحيح. أخرجه أحمد (٤/ ١٩١) وابن خزيمة في صحيحه (٦٣) واللفظ لهما وأخرجه البخاري (٦٠) ومسلم (٢٤١) وغيرهما بلفظ (ويل للأعقاب من النار).

س- ما حكم المسح على الخفين؟

جـ- للعلماء في جواز المسح على الخفين أقوال منها:

أ- ذهب جمهور أهل السنة إلى أن المسح على الخفين جائز في الحضر والسفر لثبوت ذلك عن الرسول في آثار عدة.

ب- وذهب الخوارج والشيعة إلى عدم جواز المسح على الخفين وحجتهم في ذلك بأن الآثار التي ورد فيها المسح منسوخة.

والرأي المختار: ما ذهب إليه الجمهور من أن المسح على الخفين جائز. الدليل: لأن القول بالنسخ لابد معه من معرفة تأخر الناسخ عن المنسوخ وليس هناك ما يدل على أن آية المائدة متأخرة عن مسحه(ﷺ) على خفيه بل قد ورد ما يدل على أنه ﷺ مسح على خفيه بعد نزول آية المائدة ومن ذلك ما روى عن جرير رضي الله عنه: (أنه بال ثم توضأ ومسح على خفيه فقيل له: اتفعل هكذا: قال: نعم: رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ. ومسح على خفيه)[1]، وكان إسلام جرير بعد نزول آية المائدة.

ومن ذلك أيضاً: أن آية المائدة نزلت في غزوة المريسيع. وقد ثبت أنه ﷺ مسح في غزوة تبوك وغزوة تبوك كانت بعد غزوة المريسيع بسنتين.

س- أيهما أفضل المسح على الخفين أم غسل الرجلين؟

جـ: اختلف العلماء على آراء:

أ- فقيل إن غسل الرجيلين أفضل بشرط ألا يفعل الغسل رغبة عن رخصة المسح وهذا قول المالكية والشافعية. ودليلهم: إن الغسل هو الأصل: وقد واظب عليه الرسول ﷺ وهو أكثر مشقة من المسح.

(١) البخاري (٣٨٧) الصلاة/ باب الصلاة في الخفاف. ومسلم (٧٢) وغيرهما.

ب- وقيل إن المسح هو الأفضل. وهو أصح الروايات عن أحمد ودليلهم ما روى المغيرة بن شعبة أنه قال: توضأ رسول لله ﷺ ومسح على خفيه فقلت: أنسيت يا رسول الله. قال: (بل أنت نسيت بهذا أمرني ربي)[1] ومنها ما روى عن صفوان بن عسال قال: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نمسح على الخفين)[2] والأمر يقتضي الوجوب. إن وجد ما يصرفه عن الندب وهو ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان يغسل رجليه..

ج: ما ذكره ابن القيم. ونسبه إلى الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية. وهو أن الرسول ﷺ لم يكن ليتكلف ضد الحالة التي هو عليها، فإن كان لابسا للخفين مع استيفاء الشروط مسح عليهما، وإن لم يكن كذلك غسل رجليه وكذلك المسلم فالأفضل له ألا يتكلف ضد الحالة التي هو عليها.

التوجيه: وهذا هو أرجح الأقوال لجمعه بين فعلى الرسول ﷺ.

س- قال تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[3] وضح حكمة التيسير بالمسح بدل الغسل ها هنا؟

ج: قال الشارح في ذكر المسح على الرجلين تنبيه على قلة الصب على الرجلين فإن السرف يعتاد فيهما كثيرا وذكر بعضهم نكتة ثانية: وهي اختصار الكلام لأن الفعلين من جنس واحد والمعطوف عليه إذا كان الفعلان من جنس واحد فيجوز الاستغناء لأحدهما كما في قوله «علفتها تبنا وماء باردا».

---

(١) ضعيف، أخرجه أبو داود (١٥٦) وراجع مشكاة المصابيح (٥٢٤).

(٢) حسن، أخرجه الترمذي (٩٦) والنسائي، (١/ ٨٤) وابن ماجة (١٧٦) وغيرهم.

(٣) سورة المائدة: الآية (٦).

بحث:

«مضى الحج والجهاد مع ولاة الأمر»

س- قال الطحاوي (والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقصهما) وضح مناسبة ذكر الطحاوي لهذا المبحث في عقيدته.

جـ : ذكر الطحاوي ذلك لبيان مذهب أهل السنة والرد على الروافض الذين حصروا وجوب الجهاد في أمور لا تتجاوز أصابع اليد. وأورد هذا البحث للرد عليهم وألحق الحج والجهاد لما في كل منهما من السفر والمشقة.

س- تكلم عن مشروعية الحج مع ذكر الدليل.

جـ : الحج ركن من أركان الإسلام. أوجبه الله على المستطيع له مرة واحدة في العمر وقد دل على وجوبه الكتاب والسنة والاجماع.

أما الكتاب ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾[1].

وأما السنة فأحاديث كثيرة منها: ما روى أن رسول الله ﷺ قال في حديث جبريل: «بني الإسلام على خمس... وتحج البيت»[2] فقد دل أنه ركن من أركان الإسلام.

أما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على أن الحج ركن من أركان الإسلام. وعلى المستطيع أن يؤديه في العمر مرة واحدة..

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٩٧).

(٢) رواه البخاري (٨) الإيمان/ دعاؤكم إيمانكم. ومسلم (٤٥).

س- وضح ما هو حكم الجهاد؟

ج : اختلف الناس في حكمه.

عند أهل السنة واجب مع كل أمير برا كان أو فاجرا. ووجوبه: وجوب كفائي إذا قام به البعض سقط عن الباقين «وقد يتعين أن يكون فرض عين على كل مكلف في بعض الحالات والدليل على وجوبه».

١- ومن قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[1] فقد دلت الآية على أن القتال مما فرض عليهم وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[2] وقد أمر الله نبيه ﷺ بجهاد الكفار والأمر يقتضي الوجوب.

٢- من السنة ما روى عنه ﷺ أنه قال (الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم برا كان أو فاجرا وإن عمل الكبائر والجهاد واجب عليكم)[3] وقوله ﷺ (الجهاد ماضٍ منذ بعثني الله تعالى إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال[4]) أما دليل كونه واجبا كفائيا (فرض كفاية فهو فعل الرسول ﷺ حيث لم يكن يصطحب معه كل أصحابه بل كان يتخلف بعضهم ولو لم يكن وجوبه كفائيا... لما تخلف عنه البعض بل أمر بسير الجميع.

- أما عند الرافضة فلا يجب إلا في حالات خمس:

١- مع الرسول ﷺ.

٢- مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

٣- مع الحسن بن علي قبل صلحه مع معاوية.

٤- مع الحسين بن علي رضي الله عنه.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢١٦).

(٢) سورة التوبة: الآية (٧٣).

(٣) ضعيف. أخرجه أبو داود (٥٩٤ و٢٥٣٣) وراجع المشكاة (١١٢٥).

(٤) ضعيف، أخرجه أبو داود (٢٥٣٢).

٥- مع الإمام المعصوم (المنتظر) في زعمهم.

أما غير هؤلاء فلا يجب معهم الجهاد في زعمهم. وحجتهم في ذلك أن أمير الحرب لا بد أن يكون معصوما، لكي لا تسفك دماء الأبرياء وأما غيرهم فليس بمعصوم. فلا يجب الجهاد معهم.

الرد عليهم: هذا دليل مرفوض. مردود بما يأتي:

١- عموم الأدلة الدالة على وجوب الجهاد. وليس فيها ما يدل على اشتراط العصمة.

٢- وقولهم باشتراط العصمة غير وارد. لأنه يؤدي إلى استحالة الجهاد إذ لا معصوم إلا الأنبياء عليهم السلام.

٣- مما يؤيد عدم الاشتراط. قوله ﷺ: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وشرارهم الذين تبغضونهم ويبغضونكم. قيل ألا ننابذهم العداء يا رسول الله قال: لا. ما أقاموا فيكم الصلاة)[1]، فقد وصفهم الرسول ﷺ بأنهم شرار. ومع ذلك سماهم أئمة ولو كانت العصمة مشترطة في الإمام لما سماهم الرسول ﷺ أئمة.

س- يؤمن الشيعة بالإمام المنتظر، فمن هو؛ وماذا تعرف عنه؟

ج: هو الإمام محمد بن الحسن العسكري، زعموا أنه دخل في سرداب في «سامراء سنة مائتين وستين (٢٦٠هـ) وأنه سيخرج في آخر الزمان فيملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا. وذكروا أنهم يقومون دابته بغلة أو فرساً ليركبها إذا خرج ويقيمون هناك في أوقات عينوا فيها من ينادى عليه بالخروج. يا مولانا أخرج. يا مولانا أخرج ويشهرون السلاح ولا أحد هناك يقاتلهم.

---

(١) رواه مسلم (١٨٥٥) وأحمد (٦/ ٢٤ و٢٨) وغيرهما.

س- قال الطحاوي (والحج والجهاد ماضيان) فما السر في أنه قرن بين الحج والجهاد؟

ج : لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر فلا بد من سائس يسوس الناس فيهما وفيهما يقاومون العدو. وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر فهو كذلك يحصل بالإمام الفاجر.

مبحث: الإيمان بالكرام الكاتبين

س- قال الطحاوي (ونؤمن بالكرام الكاتبين فإن الله قد جعلهم علينا حافظين).

س- ما المراد بالكرام الكاتبين، وما سبب تسميتهم بذلك..؟

ج: الكرام الكاتبون: هم صنف من ملائكة الله عز وجل كلفهم الله سبحانه بكتابة أقوال العباد وأفعالهم. ونياتهم. وسموا كاتبين لقيامهم بكتابة تلك الأشياء وسموا كراما لكرامتهم. وليستشعر الإنسان الحياء إذا أراد أن يواقع المعصية أو يسوفه أو يتبذل فهو يستحي من كرام الناس أن يفعل معصية أمامهم، فكيف من يحضر من كرام الملأ الأعلى.

س- ما حكم الإيمان بالكرام الكاتبين وما دليل وجودهم؟

ج: الإيمان بهم واجب. بل هو ركن من أركان الإيمان. ذلك لأن الكرام الكاتبين صنف من الملائكة. ومن أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة بجميع أصنافهم فدل ذلك على وجوب الإيمان بهم. والدليل على وجودهم.

أ- من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾[1] وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾[2] وكذلك قوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا

---

(١) سورة الإنفطار: الآيات (١٠ - ١٢).

(٢) سورة ق: الآيتان (١٧ - ١٨).

لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1] وقوله ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾[2].

ب- ومن السنة: قوله ﷺ «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر. فيصعد إليه الذين كانوا فيكم فيسألهم والله أعلم بهم. كيف تركتم عبادي فيقولون آتيناهم وهم يصلون وفارقناهم وهم يصلون»[3] وفي الحديث الآخر «إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوا منهم وأكرموهم»[4].

س- كم عدد الكرام الكاتبين؟

ج: جاء في بعض كتب التفسير أن عدد الكرام الكاتبين الموكلين بالشخص أربعة اثنان في الليل واثنان في النهار. واحد منهم عن يمين الشخص لكتابة حسناته. والآخر على يسار الشخص لكتابة سيئاته. وقد روى أنه ﷺ قال: (فإذا عمل الشخص حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا. وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يستغفر أو يسبح)[5].. وقد ورد أيضا أن لكل إنسان أربعة ملائكة موكلين به لحفظه اثنان منهم أمامه. واثنان عن خلفه. روى عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾[6] أنه قال:

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٨٠).

(٢) سورة يونس: الآية (٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٥) مواقيت الصلاة/ فضل صلاة العصر، ومسلم (٦٣٢) وغيرهما.

(٤) ضعيف. أخرجه الترمذي (٢٨٠٠).

(٥) ضعيف جداً: أخرجه البيهقي في الشعب (٧٠٤٩) وغيره.

(٦) سورة الرعد: الآية (١١).

يحفظونه من المصائب التي لم تقدر عليه. فعلى هذا يكون عدد الموكلين بالشخص ثمانية. أربعة منهم كتبة وأربعة حفظة. هذا هو المشهود وإلا فهناك أقوال أخرى.

س- وضح الأمور التي يكتبها الكرام الكاتبون؟

ج: ورد في النصوص أنهم يكتبون الأقوال والأفعال والنيات، أما دليل كتابة الأقوال: فقوله تعالى ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[1] وأما دليل كتابتهم للأعمال قوله تعالى ﴿**إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**﴾[2] وقوله ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[3] وأما دليل كتابتهم للنيات مفهوم قوله «تعالى» ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[4] «بنية فعل القلب.. ولما ورد أنه ﷺ قال حكاية عن ربه» (إذا هَمَّ عبدي بحسنة ولم يعملها فاكتبوها حسنة. وإن عملها فاكتبوها عشرا. وإذا هَمَّ بسيئة ولم يعملها. فلا تكتبوها وإن عملها فاكتبوها سيئة)[5] وقد ورد (أنه إذا ترك عمل السيئة كتبت له حسنة)[6].

س- قال ﷺ في حق قرينه «ولكن الله أعانني عليه فأسلم»[7] فما المقصود بهذا الكلام؟

ج: روى مسلم بسنده أن رسول الله ﷺ قال ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن. قالوا وإياك يا رسول

---

(١) سورة ق: الآيتان (١٧ - ١٨).

(٢) سورة الجاثية: الآية (٥٩).

(٣)، (٤) سورة الإنفطار: الآية (١٢).

(٥) أخرجه البخاري (٧٥٠١) التوحيد/ باب قوله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله)، (١٢٨).

(٦) أخرجه مسلم (١٢٩) وغيره.

(٧) أخرجه مسلم (٢٨١٤) وغيره.

الله. قال؛ وإياي. لكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير)[1]. وقد ورد في قوله «فأسلم» روايتان «بالضم: فأُسلم: وبالفتح «فأَسلم» وقد قال النووي: هما روايتان مشهورتان. وإن قال الشارح (ومن رواه بالضم فقد حرف لفظه).

فأما على رواية الرفع فالضمير في الفعل يعود إلى الرسول ﷺ أي «فأنا أسلم منه و«المعنى» فأسلم من تأثيره ووساوسه.

ب- وأما رواية النصب فقد اختلف في توجيهها.

ج: فقيل المعنى «فاستسلم وانقاد لي فلا يوسوس لي بشر» وقد رجحه الشارح.

د- وقيل المعنى: أسلم أي دخل في الإسلام. ويدل على ذلك آخر الحديث حيث قال ﷺ «فلا يأمرني إلا بخير» وهذا يدل على أن القرين قد أسلم إذ الكافر لا يأمر بخير. وقد اعترض الشارح على هذا المعنى بقوله: ومن قال إن الشيطان صار مؤمنا. فقد حرّف معناه فإن الشيطان لا يكون مؤمنا. «قال أحمد شاكر: وادعاء الشارح هذا تحريف للمعنى نظراً لما يأتي:

أولا: اللفظ من الحديث «قرينه من الجن ولم يقل «شيطانه».

ثانيا: إن الجن فيهم المؤمن والكافر. والشياطين هم كفارهم فمن آمن منهم لم يسم شيطانا....

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٤) وغيره.

«الايمان بملك الموت»

س- قال الطحاوي (ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين) ماذا تعرف عن ملك الموت؟

ج : هو ملك من ملائكة الله عز وجل. أسند الله إليه قبض أرواح العباد وقد ورد في بعض الآثار أن اسمه عزرائيل[١]..

س- ما حكم الإيمان بملك الموت؟ دلل لما تقول.

ج : الإيمان بملك الموت واجب لأنه: واحد من الملائكة والتصديق بالملائكة ركن من أركان الإيمان. فيجب الايمان بملك الموت. ومن لم يؤمن به لم يكن مؤمنا بملائكة الله جميعهم.

الدليل على وجوده: وقد دل على وجوده الكتاب والسنة:

أ- فأما الكتاب فقد قال تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[٢] فقد أسند الله التوفى إلى ملك الموت. والاسناد لا يكون إلا إلى موجود. فملك الموت موجود.

ب- من السنة قوله ﷺ «إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت ملائكة. كأن وجوههم الشمس ومعهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من الجنة فيجلسون منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول **(يا أيتها النفس الطيبة. اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان من الله)**[٣].. الحديث، فقد أسند الرسول قبض الأرواح إلى

---

(١) لم يثبت اسمه بحديث مرفوع صحيح عن النبي ﷺ.

(٢) سورة السجدة: الآية (١١).

(٣) صحيح. أخرجه أحمد (٤/٢٨٧ و٢٩٥ - ٢٩٦) وأبو داود (٤٧٥٣) وغيرهما.

ملك الموت والإسناد لا يكون إلا إلى موجود فدل على أن ملك الموت موجود.

س- لقد أضاف الله التوفي إلى نفسه وإلى الملائكة مرة وإلى ملك الموت مرة، فكيف تجمع بين هذه النصوص؟

ج : ورد إضافة توفي الأنفس إلى الله. قال تعالى ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾[1]. وإلى ملك الموت قال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[2] وإلى الملائكة قال عز وجل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾[3].

الجمع بين هذه الإضافات الثلاث:

لا تعارض بين هذه الآيات. وذلك لأن الله أضاف توفى الأنفس له سبحانه. لأنه هو الآمر بذلك. فلا تتوفى الأنفس إلا بأمره وإضافته إلى ملك الموت: لأنه هو الذي يتولى قبض الروح واستخراجها وإضافة التوفي إلى الملائكة: لأن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب لا يدعون الروح في يد ملك الموت بعد الوفاة طرفة عين. حتى يجعلوها في الكفن والحنوط المعدين لها من الجنة إذا كان مؤمنا. أو يضعونها في المسوح إذا كان المتوفى كافرا. . فإضافة التوفى إلى كل بحسبه ولذلك فلا تعارض بين هذه الآيات. . .

---

(١) سورة الزمر: الآية (٤٢).

(٢) سورة السجدة: الآية (١١).

(٣) سورة الأنعام: الآية (٦١).

«سؤال الملكين منكر ونكير»

س- قال الطحاوي «ونؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلا. وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه. ونبيه. على ما جاءت به الأخبار عن الرسول ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم» والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

س- ما الذي تعرفه عن منكر ونكير؟

جـ: منكر ونكير: اسمان لملكين من ملائكة الله عز وجل ويسألان الميت عن بعض المعتقدات وقد ورد تسميتهما بهذين الاسمين في الحديث الذي رواه أبو هريرة عنه ﷺ قال: (إذا قبر الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر. وللآخر النكير)[1]. وأنكر بعض المعتزلة ذلك فقالوا لا يجوز تسمية ملائكة الله بذلك وإنما المنكر ما يبدوا من تلجلجه عند السؤال والنكير هو تقريع الملكين له ولا عبرة بما ذكروه بعد ورود النص بذلك.

س- ما حكم التصديق بسؤالهما للميت؟

جـ: التصديق بسؤالهما وجب شرعا.. وذلك ورد الشرع به في الكتاب والسنة.. أما الكتاب فقوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[2]. فقد أخرج الشيخان[3] عنه ﷺ قال: نزلت في عذاب القبر، زاد مسلم «فيسأل من ربك: فيقول ربي الله ونبيي محمد ﷺ فذلك قوله «يثبت الله الذين آمنوا».

---

(١) صحيح. أخرجه ابن حبان (٧٨٠) والترمذي (١٠٧١) وغيرهما راجع الصحيحة (١٣٩١).

(٢) سورة إبراهيم: الآية (٢٧).

(٣) البخاري (٤٦٩٩) التفسير/ سورة إبراهيم: ومسلم (٢٨٧١).

أما من السنة فحديث أبي هريرة المتقدم إذا قبر الإنسان. . . »

وكذلك ما روى عن البراء بن عازب في حديث جنازة بقيع الغرقد الطويل أن الملكين يسألان العبد المؤمن والعبد الكافر أيضاً)[1]. فيجب التصديق بذلك. لوروده في القرآن والسنة. . أما من لم يصدق في هذه الأمور. فهل يكون كافرا: فيه قولان للعلماء أصحهما أنه لا يكفر. لأنه لا يمكن التكفير بإنكار حكم إلا إذا كان دليله قطعي الثبوت والدلالة معا.

س- ما الأمور التي يسأل عنها هذان الملكان الميت؟

ج: ورد أن الملكين يسألان الميت عن ربه ودينه ونبيه. وقد دل على ذلك ما رواه البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في العبد المؤمن (فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك فيقول ربي الله فيقولان: وما دينك فيقول ديني الإسلام. فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول: هو عبدالله ورسوله فيقولان: ما عملك فيقول: قرأت كتاب الله وعملت به وصدقت به. فينادي مناد من السماء صدق عبدي فافرشوا له من الجنة. ويأتيان العبد الكافر فيقولان له: ما ربك وما دينك. ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول في كل «هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء. أن كذب فافرشوه من النار وافتحوا له بابا من النار»[2]. .

س- هل سؤال الملكين خاص بهذه الأمة أم لا. . .؟

ج: اختلف في هذه المسألة على آراء ثلاثة:

أ- فقيل إن سؤالهما خاص بهذه الأمة.

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد (٤/٢٨٧ و٢٩٥ - ٢٩٦) وأبو داود (٤٧٥٣) وغيرهما. وسبق تخريجه.

ب- وقيل بل هو عام يشمل هذه الأمة وغيرها من الأمم.
جـ- وقيل بالتوقف:

أدلة كل طائفة:

أ- استدل القائلون بأن سؤالهما خاص بهذه الأمة بما يأتي: -

١- قوله ﷺ «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها[1]»، وفي رواية تُسأل ومفهومه أن غيرها من الأمم لا يبتلى في قبره ولا يُسأل فيه.

٢- ما روى عنه ﷺ أنه قال: أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم قالوا: والخطاب منه ﷺ. فدل ذلك على أنه خاص بهم.

ب- وقد استدل من قال السؤال هو عام يشمل هذه الأمة وغيرها من الأمم بما يأتي:

١- عموم قوله عز وجل ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فهو لفظ عام. يشمل أمة محمد وغيرها من الأمم.

٢- عموم قوله ﷺ «إن العبد المؤمن: .... وان العبد الكافر وأما القائلون بالتوقف: فتوقفوا لعدم وجود دليل صحيح في هذه المسألة التي لا تعرف إلا عن طريق الشارع.

الرأي المختار:

إن سؤال الملكين: عام يشمل أمة محمد ﷺ وغيرها من الأمم لعموم الآية والأثر.. أما استدلال القائلين بأنه خاص بالحديثين. فهو استدلاله بمفهوم المخالفة ومفهوم المخالفة لا يقوى على تخصيص العموم..

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧) وغيره.

س- من هم المستثنون من فتنة القبر؟

ج : ورود بعض الآثار تدل على أن هناك أشخاصا لا يسألون في القبر ولا يأتيهم الملكان منكر ونكير. ومن أولئك ما يأتي:.

١ - الشهداء فقد روى أن رجلا قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد. فقال ﷺ: (كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة)[١] فإجابته تدل على التقرير.

٢- من مات يوم الجمعة أو ليلتها وهو من المسلمين. وقد روى أنه لا يفتن في قبره ولعل ذلك لفضل يوم الجمعة: قال ﷺ: (ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلتها إلا وقاه الله من فتنة القبر)[٢].

٣- من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي مات فيه فقد ورد أنه يسلم منه[٣].

٤ - من داوم على قراءة سورة تبارك كل ليلة[٤].

٥ - الأنبياء على رأي بعضهم. وقال آخرون أنهم يسألون وهما وجهان في المذهب.

٦ - الأطفال. على رأي لأنهم غير مكلفين. وقد قال بعضهم أنهم يسألون.

---

(١) حسن أخرجه النسائي (٤/ ٩٩).

(٢) حسن. أخرجه الترمذي (١٠٧٤) وغيره.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٧٨١) وراجع الضعيفة (٣٠١).

(٤) حسن. أخرجه الحاكم (١/ ٥٦٥) وصححه ووافقه الذهبي.

مبحث

«عذاب القبر ونعيمه»

س- تكلم عن عقيدة أهل السنة والجماعة في عذاب القبر ونعيمه مع ذكر أدلتهم.

ج : من أصول أهل السنة والجماعة: وجوب الإيمان والتصديق بهما. دون تعرض لكيفية ذلك. لأن الكيفية أمر لا يتلقى إلا من كلام الشارع. وليس في كلامه ما يدل على الكيفية.

الأدلة: وقد دل على ثبوتهما عدة أدلة من الكتاب والسنة:

أ- من الكتاب ما يأتي:

١- قوله تعالى في آل فرعون ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[1] فإن عرضهم على النار في هذه الآية: هو في الحياة البرزخية بدليل (يوم تقوم الساعة).

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾[2] يقول الشارح: وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا. وأن يراد به عذابهم في البرزخ. وهو أظهر. لأن كثيرا منهم مات ولم يعذب في الدنيا. أو المراد أعم من ذلك.

روى عن البراء في قوله (إن للذين. .) قال: هو عذاب القبر. . .

٣- قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا

---

(١) سورة غافر: الآية (٤٦).

(٢) سورة الطور: الآية (٤٧).

﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾[1] روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: المعيشة الضنك: عذاب القبر.

ب- وأما من السنة فآثار عدة منها:

ما روى عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ. . الحديث وفيه «إن العبد المؤمن يأتيه من روح الجنة وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره وأن العبد الكافر يأتيه من حر النار وسمومها ويضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه»[2] فدل الحديث على عذاب القبر في ناحيتين:

أولاهما: استعاذة النبي ﷺ من عذاب القبر. ولا يستعاذ إلا من شيء موجود وذلك حين قال في قصة بقيع الغرقد (أعوذ بالله من عذاب القبر)[3] ثلاث مرات.

الثانية: إخباره ﷺ بتنعم المؤمن وتأذي الكافر في القبر.

س- علام اعتمد المنكرون لعذاب القبر في إنكارهم هذا؟ وكيف ترد عليهم؟

جـ- أنكر الملاحدة والزنادقة عذاب القبر. وشبهتهم في ذلك: أن عذاب القبر ونعيمه من الأمور التي لا تحس. وما لا يحس فليس بموجود. حيث قالوا: إنا نكشف القبر عن الميت فلا نجد ملائكة تسأل فقالوا: لو وضعنا في يمين الميت الزئبق. وعلى صدره الخردلة. ثم كشفنا عنه. لوجدناها على حالتها تلك. ولو كان الأمر كما ذكرتم لوجدنا أن الزئبق انتشر وأن الخردلة قد سقطت وقالوا: إنا نحن نحفر القبر. ثم نكشفه بعد وضع الميت فيه فنجده على حالته لم يتغير.

---

(١) سورة طه: الآية (١٢٤).

(٢، ٣) سبق تخريجه ص: ٣٥٣ - ٣٥٦.

ولو كان الأمر ما ذكرتم من النعيم والعذاب صحيحا لشوهد..

وخلاصة دليلهم: إن عذاب القبر لا يحس.

الرد عليهم:

إن هذه الشبهة فاسدة باطلة. لما فيها من قياس أحوال الحياة البرزخية على أصول الحياة في الدنيا. وذلك غير صحيح. وغير مستقيم لأن الله عز وجل قد جعل الدور ثلاثا: دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار. وجعل الإنسان مكونا من نفس وبدن وجعل الأحكام في الدنيا متعلقة بالبدن والروح.

وفي الحياة البرزخية جعل الأحكام متعلقة بالروح والبدن تبع لها. أما في الحياة الأخرى فإن الأحكام متعلقة بالروح والبدن معا. ثم إن عدم إحساسنا بالأشياء لا يدل على عدم وجودها. فإننا لا نحس بالروح التي بها حياتنا لا يدل على عدم وجودها وكذلك الإنسان لا يرى بعينه المجردة ولا يحس بيده الجراثيم المسببة للأمراض وعدم رؤيتنا لها وإحساسنا بها لا يدل على عدم وجودها وكذلك فإن الله قد ضرب الأمثال. وجعل لنا في هذه الحياة الدنيا مثلا لمن تدبره وتفكر فيه رأى أن عذاب القبر لا يحيله العقل فالنائم يكون بين مجموعة من الناس: يرى الرؤيا فيسر بها ويتلذذ بها ويرى الأخرى فيحزن لها. ويتألم. والناس من حوله لا يحسون شيئا مَن تلذذه وتألمه ومن تأمل هذا المثل المضروب جزم غاية الجزم بوجود عذاب القبر ونعيمه.

س- هل يقع عذاب القبر ونعيمه على الروح والبدن معا. أم على أحدهما؟

جـ- اختلف الناس في هذه المسألة على آراء ثلاثة:

أ- قال بعضهم أن العذاب والسؤال للروح فقط وبه قال ابن حزم وغيره.

ب- قال آخرون: أنهما للبدن فقط. قالوا: فإن الله عز وجل يجعل في البدن من الآلام ما لا يشعر به الموتى فإذا حشروا أحسوا بتلك الآلام ومثل السكران والمغمى عليه يضرب أشد الضرب فلا يحس بذلك. فإذا عاد إليه عقله. وإدراكه أحس تلك الضربات وتألم منها.

جـ- وقال الجمهور: أن العذاب والسؤال للروح والبدن معا. فالروح تنعم أو تعذب منفردة عن البدن. وتنعم أو تعذب وهي متصلة به. وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيميه وابن القيم والشارح. قال الشارح (فالحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا. ودار البرزخ ودار القرار. وقد جعل الله لكل دار أحكاما تخصها. وركب هذا الإنسان من بدن ونفس. وجعل أحكام الدنيا على الأبدان.. والأرواح تبع لها. وجعل أحكام البرزخ على الأرواح. والأبدان تبع لها فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم - صار والحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعا).

واستدلوا بحديث البراء «فتعاد روحه إلى جسده»[١] وقوله ﷺ «نسمة المؤمن في حاصلة طير في الجنة»[٢] وقوله «.. فيضرب بمطرقة من حديد..»[٣].

س- هل يستمر عذاب القبر لمن عذب إلى يوم القيامة؟ أم ينقطع بعد مدة؟

جـ: عذاب القبر على نوعين:

أولاهما: عذاب دائم «وهو المشار إليه بقوله تعالى في شأن آل

---

(١) سبق تخريجه ص: ٣٥٣ و ٣٥٦.

(٢) صحيح، أخرجه النسائي (٤/١٠٨) وابن ماجه (٤٢٧)، والترمذي (١٦٤١) نحوه.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٣٨) الجنائز/الميت يسمع خفق النعال.

فرعون. ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾[1] فبينت الآية عرضهم على النار دون أن تحدد نهاية هذه المدة مما يدل على أنه مستمر مدة بقائهم في قبورهم - ومن ذلك ماورد في بعض الروايات عنه ﷺ أنه قال «فيفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده منها حتى قيام الساعة»[2].

ثانيهما: عذاب مستمر فترة ثم ينقطع وذلك كعذاب بعض العصاة الموحدين فيعذبون بحسب جرمهم. ثم يخفف عنهم العذاب. وقد يخفف عنهم بدعاء واستغفار بعض المسلمين لهم. أو بغير ذلك من الأسباب.

س- اذكر الحكمة التي لأجلها غيب الله تعالى عن الثقلين عذاب القبر ونعيمه.

ج: عذاب القبر من الأمور الغيبية التي شاءت إرادة الله عز وجل عدم اطلاع كثير من الثقلين عليها. وذلك لحكم منها:

١- إنهم لو اطلعوا عليها لزالت حكمة التكليف والإيمان بالأمور الغيبية.

٢- ما أشار إليه ﷺ بقوله «لولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع»[3] فالإنسان كائن ضعيف لو اطلع على عذاب القبر لأصابه الوجل والخوف، وقد يصعق مما يؤدي به إلى عدم دفنه لأخيه المسلم ولذلك حجب عنه عقاب القبر. ولما كانت البهائم منتفية في حكمها من عذاب القبر كانت تسمعه كما ورد في بعض الآثار.

---

(١) سورة غافر: الآية (٤٦).

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ٢٩٥ - ٢٩٦) وغيره.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٧) وغيره.

س- **قال تعالى:** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[1] ماهي الحياة المذكورة في الآيات؟ ولماذا خصص الله بها الشهداء؟

ج: أشار سبحانه إلى الحياة الدنيا التي اختص بها الشهداء وامتازوا بها لقوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[2] وقوله ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[3] وهذه الحياة التي خصوا بها هي أن أرواحهم جعلت في أجواف طير خضر تسرح في الجنة كما ورد في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «لما أصيب إخوانكم يعني يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر. ترد أنهار الجنة. وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب مظلة في ظل العرش»[4].

وسبب تخصيصهم في هذه الحياة:

هو أن الشهداء لما بذلوا أبدانهم وأتلفوها في سبيل الله ولأجل مرضاته جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تكريماً لهم. فقد أعاضهم منها في البرزخ أبداناً خيراً من أبدانهم تكون فيها إلى يوم القيامة. ولاشك أن تنعمهم بواسطة تلك الأبدان أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها.

.. والجزاء من جنس العمل.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٦٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٦٩).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٥٤).

(٤) حسن أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦) وأبو داود (٢٥٢٠) وغيرهما.

س- هل تفنى أجساد الأنبياء والشهداء؟ دلل على ماتقول.

ج : ورد في بعض الآثار مايدل على أن أجساد الأنبياء لاتفنى، فقد ورد عنه ﷺ لما سأله بعض أصحابه: كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ فقال «أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء[1]». ولعل عدم تأثر أجساد الأنبياء بالأرض وعدم تفتتها لخاصية جعلها الله في تلك الأجساد. أما الشهداء فقد شوهد بعضهم بعد مدة من دفنه وهو على حاله باق ولم يتغير فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم حشره. ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة. وكأنه كلما كانت الشهادة أكمل والشهيد أفضل كان بقاء جسده في القبر أطول...

س- أشار القرآن إلى عذاب القبر من غير تصريح. فلماذا؟

ج : يجاب على هذا بجوابين:

١- بالتسليم لأنه ذكر صراحة في السنة وهي وحي ثان من الله.

٢- بالمنع: فإنه ذكر في القرآن. ومن ذلك ما تقدم من الآيات ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[2] وقوله ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[3] وقوله ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[4]...

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (١٠٤٧) والنسائي (٣/ ٩١).

(٢) سورة غافر: الآية (٤٦).

(٣) سورة طه: الآية (١٢٤).

(٤) سورة الطور: الآية (٤٦).

مبحث: البعث والجزاء والعرض والحساب والصراط والميزان

س- قال الطحاوي (ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان)، ما المقصود بالبعث والعرض؟ وما حكم الإيمان به؟ مع ذكر الدليل.

جـ : البعث في اللغة: بسكون العين مصدر بعث يبعث من باب فتح ويطلق على عدة معان فيطلق ويراد به الإرسال نحو: بعثت فلانا إلى الأمير أي أرسلته ويطلق ويراد به الإثارة والتهيج. نحو بعثت البعير أي أثرته.. والنشور في اللغة: مصدر نشر الله الموتى نشراً ونشورا أي أحياهم.. والمراد بهما في كتب العقيدة: إحياء الله للموتى وإخراجهم للحساب والجزاء.. فعلى هذا هما لفظان مترادفان. ودليل الإيمان به قال الشارح. «مما دل عليه الكتاب والسنة. والعقل والفطرة السليمة فأخبر الله في كتابه العزيز: وأقام الدليل عليه. ورد على منكريه في غالب سور القرآن».

س- اهتم القرآن بإثبات المعاد أكثر من الكلام عن إثبات ذات الرب، فما الحكمة في ذلك؟

جـ : اهتم القرآن الكريم اهتماما عظيما بإثبات المعاد. والرد على منكريه في معظم سوره وذلك لأن منكري المعاد كثيرون. فاستدعى ذلك كثرة الكلام فيه لإثباته والرد على منكريه. بخلاف إثبات الربوبية. فإنه عام في بني آدم. فطرى فيهم - إلا من عاند كفرعون فإنه وإن كان جاحدا للربوبية في الظاهر. إلا أنه مؤمن بها في الباطن. قال تعالى ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[1].

(١) سورة النمل: الآية (١٤).

س- لقد قام النبي ﷺ ببيان أمور الآخرة تفصيلاً أكثر من غيره من الأنبياء. فلماذا؟

ج : بين ﷺ أحوال الآخرة بيانا لايوجد في كثير من الكتب السماوية السابقة فقد أوضح قضايا البعث والنشور والحساب والجزاء والنار. وذلك لأنه ﷺ خاتم الأنبياء. ويقتضي أن يبين. ويوضح مايبينه غيره من الأنبياء ويبين ويوضح ماورد ذكره مجملاً في الكتب السماوية السابقة.

س- زعم البعض أن أمور المعاد قد تكلم فيها النبي ﷺ دون غيره من الأنبياء، فكيف ترد عليهم؟

ج : هناك من الفلاسفة من يقول بأن أمر المعاد إنما جاء به محمد ﷺ عن طريق التخييل لكي يتقبله العامة ويتمثل أوامره ونواهيه. بدليل أن غيره من الأنبياء لم يأت به. وهذا القول كذب وبهتان ويمكن الرد عليه بأحد جوابين:

أولاهما: مجمل وهو أن الأمم السابقة قد أنذرت يوم البعث وسيعاقب كفار جميع الأمم بهذا الإنذار. مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾[1]. فقد دلت هذه الآية على أن كفار جميع الأمم سيعترفون بأن رسلا أنذروهم لقاء يوم البعث. وبهذا يبطل مازعموه.

الثاني: مفصل وهو أن الله عز وجل أخبرنا في كتابه أن أنبياءه كانوا

---

(١) سورة الزمر: الآية (٧١).

عارفين بيوم البعث ومن مقتضى معرفتهم بهذا اليوم أنهم أنذروا قومهم ذلك اليوم، فما ورد في القرآن يدل على ذلك:

أولا: قوله تعالى في قصة آدم ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾[1] . فقد دلت الآية على أن الله سبحانه أخبر آدم. وهو أول الأنبياء بأمر البعث في قوله «ومنها تخرجون».

ثانيا: قوله الله عز وجل حكاية عن نوح في خطابه لقومه ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾[2] فقد دلت الآية أن نوحاً أنذر قومه يوم البعث في قوله ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

ثالثاً: وقد أخبرنا الله عز وجل أن إبراهيم دعا ربه وكان من دعائه ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾[3] فقد دلت الآية على أنه عارف بيوم البعث. ولاشك أنه أخبر قومه به لأن هذا من لوازم رسالته.

رابعاً: قول الله عز وجل مخاطباً موسى عليه السلام ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[4] فقد أخبر سبحانه نبيه موسى بأن الساعة آتية حتماً وبأن كل نفس ستجزي بما عملت ولاشك أن موسى أنذر قومه بها.

خامسا: بل إن مؤمن آل فرعون كان عارفا بيوم البعث بدليل قوله تعالى ﴿وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان (٢٤ - ٢٥).

(٢) سورة نوح: الآيتان (١٧ - ١٨).

(٣) سورة الشعراء: الآية (٧٨).

(٤) سورة طه: الآية (١٥).

﴿مِنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٍ﴾ [1] وإذا كان مؤمن آل فرعون عارفا بذلك فهذا ناتج ولاشك عن التعاليم التي تلقاها موسى من الله سبحانه.

سادساً: بل إن إبليس كان عارفاً بيوم البعث بدليل طلبه من الله أن ينذره إلى يوم يبعثون، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦﴾ [2] فإذا كان كذلك فالأنبياء أولى بالعلم منه وبهذه الأدلة جميعها يبطل قول من قال بأن أمر البعث إنما جاء به محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء.

س- اختلف الناس في المعاد: هل هو جسماني روحاني أم روحاني فقط؟ اذكر المذاهب في هذا الباب؟

ج: اختلف الناس في المعاد هل هو جسماني أم روحاني على أقوال خمسة:

أ - فقالت طائفة من المتكلمين.. إن المعاد جسماني..

ب- وقال الفلاسفة: إن المعاد روحاني.

جـ- وقال الغزالي وجمهور العلماء أنه جسماني روحاني معاً.

د- وقال قوم: بالتوقف وهو رأي «جالينوس» حيث قال «لم يتبين لي أن النفس هي المزاج فتنعدم بالموت وتستحيل إعادتها أو أنها جوهر باق، فيمكن بذلك إعادتها». فهو قد توقف لتوقفه في حقيقة الروح..

هـ- وقال قدماء الفلاسفة الطبيعيين بإنكار المعاد الجسماني والروحاني معا. والقولان الآخران خارجان عن أقوال أهل الإسلام - أما الأقوال الثلاثة الأولى منها أقوال أهل الإسلام. ومن العلماء من كفر الرأي الثاني وهو أن الميعاد روحاني فقط لأنه أنكر ماورد في القرآن من أنه معاد جسماني كقوله تعالى

(١) سورة غافر: الآية (٣٢، ٣٣).

(٢) سورة الحجر: الآية (٣٦).

﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1] فهذا دليل على أن البعث جسماني.

الرأي المختار:

إن المعاد جسماني وروحاني معا، أما أنه جسماني فذلك بإعادة الله لهذا الجسم بعد أن يتفتت ويبلى وتتفرق أجزاؤه وإما أنه روحاني. فبإعادة الروح إلى البدن بعد أن فارقته.

تنبيه: بعض الباحثين المعاصرين ينسب إلى ابن القيم القول بأن الميعاد جسماني فقط ولم أقف في كتبه مايدل على هذا وعلى فرض أن هذا قوله فالمراد عندي أن البدن هو الجسد الذي يتفتت ويبلى ويحتاج إلى إعادة وبعث. أما الروح فهي باقية لا تحتاج إلى بعث. فيبعث الله الجسد ثم يرسل الروح إليه.

س- تنوعت أساليب القرآن في إثبات المعاد، اشرح ذلك؟

ج : اتخذ القرآن الكريم عدة أساليب في إثبات المعاد منها:

١- أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يقسم على المعاد وأن حقه واقع لامحالة. كما قال تعالى ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾[2] وكما في قوله ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾[3].

٢- مجرد الإخبار عن اقتراب الساعة كما في قوله تعالى ﴿ٱقْتَرَبَتِ

---

(١) سورة يس: الآيتان (٧٨ - ٧٩).

(٢) سورة التغابن الآية (٧).

(٣) سورة يونس: الآية (٥٣).

﴿ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[1] وقوله ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾[2].

٣- ذم المكذبين بالمعاد كما في قوله تعالى ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ۝٤٥﴾[3] وكما في قوله ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝١٨﴾[4].

٤- الاستدلال بالبدء على الإعادة - وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى كما في قوله ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾، ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[5] «فمن خلق الإنسان من العدم قادر ولاشك على إعادته بعد فنائه إذ لو كان عاجزاً عن الإعادة لكان عن النشأة الأولى أعجز من باب أولي».

٥- الاستدلال بأن الله يخرج الشيء من ضده على إنكار المعاد ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾[6] فمن انقادت له عناصر الكون لا يعجزه شيء فهو قادر على إعادة الإنسان بعد مماته وبعد تفتت أجزائه.

٦- الاستدلال بخلق ما هو أكبر من الإنسان على إعادة الإنسان ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾[7] فمن يستطيع خلق الأكبر فهو قادر على خلق الأصغر.

---

(١) سورة القمر والآية (١).

(٢) سورة الانبياء: الآية (١).

(٣) سورة يونس: الآية (٤٥).

(٤) سورة الشورى: الآية (١٨).

(٥) سورة يس: الآيتان (٧٨ - ٧٩).

(٦) سورة يس: الآيتان (٧٩ - ٨٠).

(٧) سورة يس: الآية (٨١).

٧- الإخبار بأن حكمة الله تأبى أشد الإباء أن يترك الإنسان مهملا من الأوامر والنواهي ومعفى من الثواب والعقاب كما في قوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧﴾[١] هذه هي أهم الأساليب وهناك أساليب قرآنية كثيرة غير ما قدمناه.

س- وردت في سورة يس آيات تتكلم عن المعاد، اذكرها واذكر مناسبتها.

ج: ورد في آخر السورة سبع آيات تتعلق بالمعاد وهي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾[٢] الخ.. السورة. وقد ورد في سبب نزولها أن العاص بن وائل أخذ عظما مفتتا حائلا فجاء به إلى النبي ﷺ ففته أمامه وقال يا محمد. أيحيي الله هذا بعد ما بلى وأرم؟ قال: نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك جهنم)[٣]. ثم نزلت الآيات السبع وفيها من الأدلة القاطعة على إثبات المعاد ما تعجز الألسن عن الإتيان بمثله لبلاغته وتذعن العقول لإقناعه فلا تلبث أن ترضى وتسلم:

١- فأول ما استهل به الجواب: الإشارة إلى بدء خلق الإنسان وأنه خلق من نطفة ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ ۝٧٧﴾[٤].

٢- ثم ذكر شبهة الملحد وعقب عليها بجملة هي في غاية الروعة

---

(١) سورة القيامة: الآيتان (٣٦ - ٣٧).

(٢) سورة يس: الآية (٧٧).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٢٩) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) سورة يس: الآية (٧٧).

والايجاز وهي قوله «ونسي خلقه» إذ لو تفكر العاص بن وائل في خلقه لما أورد سؤاله هذا.

٣- وزيادة في تأكيد الحجة وتقريرها قال «قل يحييها الذي» (فاحتج بالإبداء على الإعادة. وبالنشأة الأولى على الأخرى. إذ كل عاقل يعلم (بالضرورة أن من قدر على هذه. قدر على تلك. ومن عجز عن الثانية فهو عن الأولى أشد عجزاً.

٤- لما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه. اتبع ذلك بقوله.. وهو بكل خلق عليم «فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول فكذلك الثاني فإذا كان تام العلم كامل الإرادة. فكيف يتعذر عليه. أن يحي العظام وهي رميم؟

٥- ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر يتضمن جوابا عن سؤال ملحد آخر بقوله العظام إذا بليت وصارت رميما عادت طبيعتها باردة يابسة. والحياة لابد أن تكون مادتها وحاملها طبيعية حارة رطبة، فكيف يكون البعث. فأجاب بما يحمل الدليل والجواب معا فقال ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1] فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة وهو النار من الشجر الأخضر الممتلىء بالرطوبة والبرودة. وهو المرخ والعفار. فالذي يخرج الشيء من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات. وعناصرها. ولا تستعصي عليه هو الذي يفعل ما أنكر الملحد من إحياء العظام وهي رميم.

٦- ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو

---

(١) سورة يس: الآية (٨٠).

على ما دونه بكثير أقدر وأقدر. فمن قدر على حمل قنطار من الحديد فهو على حمل أوقية أشد اقتدارا فقال: أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم. كما قال في موضع آخر ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[1] فإن الذي أبدع السماوات والأرض مع عظم شأنهما لقادر بالأولى على إحياء العظام وهي رميم.

٧- ثم أكد سبحانه ذلك بأمر آخر وهو أن فعله ليس بمنزلة غيره الذي يفعل بواسطة الآلات ويعاني الكلفة والنصب والمشقة. ولا يمكنه الاستقلال بالفعل. بل لابد معه من آلة تعينه. بل يكفي في خلقه سبحانه لما يريد. مجرد إرادته. وقوله للشيء كن فيكون.. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[2].

٨- وأخيرا ختم بالتسبيح لتنزيه ذاته عن كل ما يراد لتنقيصه سبحانه والإخبار بأن بيده ملكوت كل شيء. فلا يعجزه شيء ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[3].

س- ورد في سورة الإسراء حديث عن المعاد، اذكر هذه الآيات.

ج: مما ورد عن المعاد فيها قوله تعالى ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ

---

(١) سورة غافر: الآية (٥٧).

(٢) سورة يس: الآية (٨٢).

(٣) سورة يس: الآية (٨٣).

﴿مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾[1].

وفي هذه الآيات ذكر بعض ما يرد على ألسنة الملحدين وأجاب عنه:

١- فأخبر أولا أنهم يقولون المستبعد للمعاد ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ وأجاب عن ذلك بقوله ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا﴾ وهذا الجواب يحتمل معنيين:

الأول: إن زعمتم أنه لا خالق لكم ولا رب لكم. فهلا كنتم خلقا لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد وما هو أكبر في صدوركم منهما؟ رفات قلتم: إننا كنا خلقا على هذه الصفة التي تفعل الفناء قلنا: فما الذي يحول بين خالقكم ومنشأكم. وبين إعادتكم من جديد مرة أخرى.

الثاني: أن المراد لو كنتم حجارة أو حديدا أو خلقا أكبر من ذلك لكان الله عز وجل قادرا على إفنائكم وإحالة أجسادكم ونقلها من حال إلى حال. والذي يقدر على التصرف في هذه الأشياء قادر على التصرف فيما دونها بطريق الأولى.

٢- ثم أخبر عز وجل أنهم يسألون قائلين من يعيدنا فكأنهم بهذا يستنكرون القدرة قال سبحانه ردا عليهم: قل الذي فطركم أول مرة «فالذي أوجده من عدم قادر ولا شك على إعادته بعد إفنائه». .

٣- ثم أخبر الله ثالثا بأنه حينما لزمتهم الحجة أخذوا يتعللون ويسألون سؤال المنقطع «متى هو» فأجيبوا بقوله «عسى أن يكون قريبا» ولما كان أمر الساعة من الأمور التي استأثر الله عز

---

(١) سورة الإسراء: الآيات (٤٩ - ٥١).

وجل بها رأفة بالعباد لكي لا يصيبهم الجزع والخوف أن علموا بقربها أو يتكاسلوا عن فعل الخيرات إن علموا بتأخرها. أجيبوا بذلك: والله أعلم..

س- هل إعادة الأجسام بعد فنائها إعادة عن عدم أو عن تفريق؟

ج: اختلف الناس في ذلك على قولين:

أولهما: إن إعادة الأجسام بعد فنائها. إعادة عن عدم. فبعد إن يعدمها ويفنيها يعيدها خلقا آخر.

الثاني: إن الإعادة عن تفريق فبعد أن يفرق الله أجزاء البدن يجمعها سبحانه ثم يعيد خلقه.

أدلة كل طائفة:

أ- استدل أصحاب الرأي الأول بما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[١] قالوا: والهلاك عبارة عن الفناء والعدم.

٢- قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾[٢] وقد أخبر سبحانه أن الإعادة كالخلق فكما أن الخلق من العدم فكذلك الإعادة.

ب- واستدل أصحاب الرأي الثاني: بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم - وإذا قال إبراهيم ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾[٣].. الآية. فقد أخبر الله نبيه إبراهيم بصفة الإعادة وقال له قولا يفهم منه أن الإعادة

---

(١) سورة القصص: الآية (٨٨).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (١٠٤).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٦٠).

تكون عن تفريق الأجزاء وليس عن إعدامها بدليل أمره بتفريق الأجزاء على الجبال. وقد ذكر صاحب (لوامع الأنوار البهية) أن القول الأول هو الصحيح. . أما الثاني فقال إنه هو المشهور وينسب إلى ابن القيم أنه اختار الثاني.

س- إن الجزاء من الله تعالى إنما هو مظهر من مظاهر عدله سبحانه وتعالى في خلقه. تحدث عن ذلك؟

ج : خلق الله الإنسان وميزه بالعقل الذي يدرك به الخير من الشر والحق من الباطل وقد كلفه في الحياة الدنيا بتكاليف إن امتثلها استحق الثواب وإن خالفها استحق العقاب وهذا كله أثر لصفة من صفات الله عز وجل وهي صفة العدل. التي تأبى المساواة بين المسلم والكافر وبين المحسن والمسيء قال تعالى: مقرراً لهذه الحقيقة ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾[1] وقال ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١﴾[2] وقد دلت الآية على أن عدل الله يأبى أن يسوى بين المحسن والمسيء وبين المسلم والكافر. فالتسوية بينهما إجحاف وظلم يأباه العدل ومنطق العدالة.

س- ما أنواع الجزاء الرباني. وضح ذلك؟

ج : الجزاء الرباني على نوعين:

أولهما: جزاء معجل وهو الذي يكون في هذه الحياة الدنيا. فقد يعجل الله الثواب أو جزءا منه. فيتحقق في الحياة الدنيا وكذلك العقاب

---

(١) سورة القلم: الآيتان (٣٥ و٣٦).

(٢) سورة الجاثية: الآية (٢١).

ويشهد لتعجيل الثواب أو جزء منه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [1] . . وقوله ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾[2]. . فلقد دلت الآية الأولى على أن أهل القرى لو آمنوا واتقوا لكان لهم الجزاء المعجل. . بركات كثيرة. . وكذلك الآية الثانية: ويشهد لتعجيب العقاب أو جزء منه. قوله تعالى ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ [3] وكذلك قوله تعالى في الآية السابقة ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾، إلى قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[4] فقد دلت الآية على الجزاء المعجل سواء كان ثوابا أو عقابا.

ثانيهما: الجزاء المؤجل. وهو الذي يكون في الحياة البرزخية أو الحياة الآخرة وهي بهذا على صنفين:

أ - مايكون في الحياة البرزخية. ونعني به عذاب القبر ونعيمه ويشهد له قوله تعالى في شأن آل فرعون ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[5] وكذلك ماورد في حديث البراء «إن العبد المؤمن يأتيه من روح الجنة وطيبها. ويتسع له قبره مد بصره وأن العبد الكافر يأتيه من حر النار وسمومها. ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه»[6].

(١ - ٤) سورة الأعراف: الآية (٩٦).

(٥) سورة النحل: الآية (٣٠).

(٦) سورة الزمر: الآيتان (٢٥ و٢٦).

(٧) سورة غافر: الآية (٤٦).

(٨) سبق تخريجه: ص ٣٥٣ و ٣٥٦.

ب- ما يكون في الحياة الآخرة ويدل له قوله عز وجل ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾(1) فقد دلت الآيات على الجزاء المؤجل للطاغين وللمتقين أيضاً.

س- تكلم عن جزاء الحسنة والسيئة كما ورد في القرآن والسنة.

ج : تدل النصوص الشرعية على أن أوفى جزاء للحسنة هو عشر أمثالها كما تدل النصوص على أن أعلى جزاء للسيئة هو مثلها قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾(2) وروى عنه ﷺ أنه قال حكاية عن الله عز وجل. إذا هم عبدي بسيئة ولم يعملها فلا تكتبوها عليه. فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة. وإذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشراً(3).

أما أعلى جزاء للحسنة. فلا يعلم مقدارها إلا الله سبحانه فإنه سبحانه قد يضاعف أجور الحسنات أضعافا كثيرة. قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾(4).

---

(١) سورة النبأ: الآيات (٢١ - ٣٤).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٦٠).

(٣) سبق تخريجه ص: ٣٥١.

(٤) سورة البقرة: الآية (٢٦١).

ولم نتعرض لأوفى جزاء للسيئة ـ لأن السيئة قد لايعاقب عليها امتنانا منه ـ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾[1].

س- ما المقصود بالعرض؟ اشرح ذلك مع ذكر الدليل؟

ج: هو عرض الناس على الله عز وجل يوم القيامة للحساب وهو أمر ثابت في الكتاب والسنة فيجب الإيمان به والتصديق به لوروده فيهما.

أ- فمن الكتاب دل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾[2] وقوله ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾[3].

ب- ومن السنة ما روى عنه ﷺ أنه قال: (يعرض الناس على ربهم ثلاث عرضات.. فعرضتا جدال ومعاذير. وعرضة تطاير الصحف. فمن أوتى كتابه بيمينه وحوسب حسابا يسيرا دخل الجنة ومن أوتى كتابه بشماله دخل النار)[4].

للعرض أنواع كثيرة:

١- فهناك عرض الصحف ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[5].

---

(١) سورة الشورى: الآية (٢٥).

(٢) سورة الحاقة: الآية (١٨).

(٣) سورة الكهف: الآية (٤٨).

(٤) ضعيف، أخرجه الترمذي (٢٤٢٥) وابن ماجة (٤٢٧٧).

(٥) سورة الحاقة: الآية (١٩)، والانشقاق (٧).

٢- وهناك عرض على الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾[(١)].

٣- وعرض أعمال.. ودليله ماتقدم من عرض الصحف.

٤- وعرض الناس على جهنم. وعرض جهنم على الناس يدل كذلك ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾[(٢)]﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[(٣)].

س- ما هو الحساب؟ اشرح ذلك مع ذكر الدليل، وبيان حكم الإيمان بالحساب.

ج: المراد بالحساب عند أهل السنة: توقيف الله عز وجل عباده وتعريفهم أعمالهم يوم القيامة خيراً كانت أو شراً.

الأدلــة:

أ- من الكتـاب قوله تعـالى: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾[(٤)] وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝١٧﴾[(٥)].

ب- ومن السنة قوله ﷺ (ثلاث من كن فيه حاسبه الله. حسابا يسيزاً وأدخله الجنة برحمته.. قيل ما هي؟ قال أن تعطي من حرمك.. وتصل من قطعك. وتعفو عن من ظلمك)[(٦)] وروى أنه ﷺ قال (ثلاث لايحاسب بهما العبد.. ظل خصٍّ يستظل به وكسرة يشد بها

---

(١) سورة الانشقاق: الآية (٦).

(٢) سورة غافر: الآية (٤٦).

(٣) الأحقاف: الآية (٢٠).

(٤) سورة الغاشية: الآيتان (٢٥ و٢٦).

(٥) سورة غافر: الآية (١٧).

(٦) إسناده ضعيف، أخرجه الطبراني في الأوسط (٩١٣ - ٥٠٦٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٨٩) فيه سليمان بن داود اليماني وهو ضعيف.

صلبة وثوب يوارى به عورته)[١]. وكذلك ماروى عن أبي هريرة أن أعرابيا قال: يارسول الله: من يحاسب الخلق يوم القيامة. فقال ﷺ: الله قال الأعرابي: لقد نجونا وورب الكعبة قال الرسول: (وكيف - قال إن الكريم إذا قدر عفا)[٢]. فهذه الأدلة تدل على محاسبة الله لعباده وتعريفهم أعمالهم فيجب الإيمان به لوروده في الكتاب والسنة.

س- وضح الشيء الذي يحاسب عنه العبد أول ما يحاسب يوم القيامة.

ج: ورد (أن أول ما يحاسب عليه العبد هو الصلاة)[٣]. وذلك لأنها عماد الدين.. فمن حافظ عليها كان حريا بأن يأتي ببقية الشعائر. ومن تركها كان لما سواها أضيع وقد دل على ذلك ماروى عنه ﷺ أنه قال.. (أول ما يحاسب عليه العبد: الصلاة)[٤] (وأول مايقضي فيه بين الناس الدماء)[٥]..

س- ما حكم الإيمان بنشر الصحف وقراءة الكتاب؟

ج: نشر الصحف وقراءة الكتاب. وأخذه باليمين أو الشمال من الأمور التي يجب الإيمان والتصديق بها. وذلك لورودها في الكتاب الكريم ولاجماع أهل الحق عليها:

أ- فأما ورودها في الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ

---

(١) ضعيف، أخرجه أحمد في الزهد. (ضعيف الجامع: ٢٥٦٤).

(٢) ذكره أبو حامد الغزالي في الإحياء (٤/١٤٦) من حديث أنس وقال الحافظ العراقي لم أجد له أصلاً.

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي (٤١٣) وأبو داود (٨٦٤) والنسائي (١/٢٣٢) وابن ماجه (١٤٢٥) وغيرهم.

(٤) صيحيح. رواه الترمذي (٤١٣) وأبو داود (٨٦٤) والنسائي (١/٢٣٢)، وابن ماجة (١٤٢٥) وغيرهم.

(٥) أخرجه البخاري (٦٨٦٤) ومسلم (١٦٧٨).

طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾﴾[1] وقوله ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۢ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾﴾[2].

ب- وأما الإجماع فقد أجمع أهل الحق على ذلك كما نقله السفاريني في لوامع الأنوار البهية فيجب الإيمان بكل ذلك لوروده في الكتاب والإجماع.

س- قد يتوهم البعض أن هناك تعارضا بين قوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾﴾[3] وبين قوله ﷺ «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك»[4] فكيف توفق بين الآية والحديث؟

جـ: آية الانشقاق هي «فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا» وروى عنه ﷺ أنه قال «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك» فأنه يتوهم التعارض بين الآية والحديث.. ولاتعارض بين ماورد في الآية وماجاء في الحديث لأن الحساب في الآية. المراد به: العرض. أي عرض الأعمال أما الحساب في الحديث: فالمراد به المناقشة. روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال ﷺ أليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك. قلت يارسول الله أليس الله يقول (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيراً» قال

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان (١٣ و١٤).

(٢) سورة الإسراء: الآيتان (٧١ و٧٢).

(٣) سورة الانشقاق: الآية (٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٣٧) الرقاق/ من نوقش الحساب عذب، ومسلم (٢٨٧٦).

ﷺ إن ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب»[1].

س- قال النبي ﷺ: «إن الناس يصعقون يوم القيامة. فأكون أول من تنشق عنه الأرض» استشكل بعض الناس حديث النبي ﷺ. فما هذا الإشكال.. وما الجواب عنه؟

ج: روى عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأجد موسى باطشا جنب العرش)[2].

وجه الاشكال:

استشكل منه مايفهم من أن انشقاق الأرض عن الخلائق يكون بعد تجلي الله لفصل القضاء. وهذا المفهوم معارض لقول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[3] فواضح من الآية ان مجيىء الرب عز وجل يكون بعد النفخة الثانية.

وسبب هذا الاشكال:

هو خلط الراوي بين حديث صعق التجلي وحديث نفخة البعث.. فقد أدخل حديثا في حديث. فركب بين اللفظين: وجاء الحديث هكذا.

والإجابة عن هذا الإشكال... تكون برد كل حديث إلى أصله. فحديث صعق التجلي كما هو في الصحيحين: (إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدري أجوزى

---

(١) انظر الحديث السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١١) الخصومات/ ما يذكر في الإشخاص. ومسلم (٢٣٧٣).

(٣) سورة الزمر: الآيتان: (٦٨ و٦٩).

بصعقة الطور أم أفاق قبلي)[1]. وهذه إجابة بعض العلماء على هذا الإشكال ومنهم المزي وابن القيم وابن كثير فهذا صعق في يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء. وأشرقت الأرض بنوره.

وأما الحديث الثاني فهو: (أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة)[2] قال الشارح.. «وكذلك اشتبه على بعض الرواة فقال: فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله عز وجل.. والمحفوظ الذي تواطأت عليه الروايات الصحيحة هو الأول» وعليه المعنى الصحيح وقد ذكر الألباني أن الصعقة المرادة في الحديث إنما هي صعقة البعث المذكورة في الآية «ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون» وليست صعقة تقع لفصل القضاء.. كما قال الأولون وقد ساق لذلك عدة روايات في الحديث جمعت بين انشقاق الأرض عنه ﷺ. ووجود موسى. آخذا بقائمة العرش ويرد على قوله أمران:

أولهما: أن المراد بالنفخ في الآية نفخة البعث. ولاتسمى صعقة..

الثاني: على فرض أنها تسمى صعقا فإن الصعق هو فقدان الوعي والإدراك. والميت فاقد الوعي أصلا.. فكيف يفقد وعيه وإدراكه؟

س- وضح ما هو الصراط؟ وماصفته؟ وما حكم الإيمان؟ مع ذكر الدليل على ذلك.

ج: الصراط لغة: الطريق الواضح المستقيم. ومنه قول جرير: أمير المؤمنين على صراط - إذا اعوج الموارد فستقيم.

وقد يقال له «سراط» «بالسين» و«زراط على خلاف في حرف الزاي»...

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١٢) ومسلم (٢٣٧٤).

أما في الاصطلاح: فهو جسر منصوب على متن جهنم.. يمر عليه الأولون والآخرون..

صفته:

وقد قال ورد في صفته أنه: أدق من الشعر.. وأحد من السيف وأن عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله إيقاعه في جهنم. روى عنه ﷺ أنه قال: (إن لجهنم جسراً أدق من الشعر وأحد من السيف. عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله.. والناس يمرون عليه كالطرف. وكالبرق. وكأجاويد الخيل والركاب.. والملائكة تقول رب سلم «فناج مسلم ومخدوش مرسل. ومكردس على وجهه في نار جهنم)[1].. وروى عن أبي سعيد الخدري أنه قال: بلغني أنه أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف.

حكم الإيمان به:

١- الإيمان به واجب وأهل الحق يؤمنون بما جاء في صفته.

٢- وبعض المعتزلة يقرون بوجوده وينكر صفته.. بل يقول أنه طريق الجنة والنار.. وممن يقول به عبد الجبار. واما القرافي والعز بن عبد السلام، وغيرهما فقد أقروا بوجوده.. وأنكروا صفته. وأولوا ذلك بتأويلات فاسدة.. ودليل ذلك الآثار التي تقدمت.

الحكمة من الصراط:

هي زيادة تنعيم المؤمن حيث يرى الشر. الذي نجاه الله منه وزيادة تأنيب الكافر حيث يرى الناجون يمرون بينما يسقط هو في النار وكذلك إظهار عدل الله بين عباده في صورة محسوسة وقد ذكر القرطبي: أن هناك صراطان:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨١) ومسلم (١٨٣ و١٩٥).

أ- صراط عام: وهو الذي منصوب على متن جنهم.. والساقط فيه هالك في النار.

ب- صراط خاص: وهو قنطرة بين الجنة والنار بعد خروجهم من النار فيسيرون على هذه القنطرة الفاصلة.

س- قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[1] ما الورود المقصود في الآية؟

ج: اختلف المفسرون على قولين:

أ- قال بعضهم: أن المراد به: المرور على الصراط.

ب- قال آخرون: أن المراد به: دخول جهنم.. وإذا دخلها المؤمنون كانت عليهم بردا وسلاما.. وقد رجح الشارح الرأي الأول وممن سبقه إلى ذلك ابن كثير رضي الله عنه.. وقد ساعد للدلالة على الترجيح ما روى أنه ﷺ قال: (والذي نفسي بيده... لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة قالت حفصة أو ليس الله يقول «وإن منكم إلا واردها» فقال عليه الصلاة والسلام ألم تسمعيه قال (ثم ننجي الذين اتقوا. ونذر الظالمين فيها جثياً)[2] فيفهم من هذا الحديث أنه لا يلزم من الورود. دخول النار، لأنه ﷺ أقسم ألا يلج أحد بايع تحت الشجرة والحديث الصحيح لا يمكن أن يعارض صريح القرآن كما يفهم أن النجاة من النار لا تستلزم دخول النار. فالنجاة من الشر لا تستلزم الوقوع وإن كانت تستلزم انعقاد أسبابه»، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾[3] وكذلك في شعيب وصالح - ويدل

---

(١) سورة مريم: الآية (٧١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩٦).

(٣) سورة هود: الآية (٥٨).

عليه أنك تقول لمن ظلمه أعداؤه ولم يدركوه - نجاه الله من أعدائه.

س- تكلم عن صفة الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة ثم اذكر حكم الإيمان به.

ج : حكم الإيمان به: يجب الإيمان به والتصديق بما ورد من صفاته لما ورد في الكتاب الكريم والسنة المطهرة لإجماع أهل الحق عليه.

فأما الكتاب: فقول الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾[1]. وقوله ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[2] وقوله ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[3].

وأما من السنة: فأحاديث كثيرة منها:

١- ما روى عنه ﷺ أنه قال «كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده. سبحان الله العظيم»[4].

٢- روى عنه ﷺ أنه قال: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان»[5].

٣- وروى عنه ﷺ أنه قال (في ابن مسعود حينما ضحك القوم من دقة

---

(١) سورة القارعة: الآيات (٦ - ٩).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان (١٠٢ - ١٠٣).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٤٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤) وغيرهما.

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٣) وغيره.

ساقيه. والذي نفسي بيده. لهما أثقل في الميزان من أحد)[1].

وكذلك ما روى عنه في حديث البطاقة. أنه قال «فتوضع السجلات في كفة. وتوضع البطاقة في كفة. فطاشت السجلات وثقلت البطاقة. ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»[2].

وأما الإجماع: فقد نقل السفاريني إجماع أهل الحق على الميزان.

صفته: وقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي له كفتان ولسان أيضا... روى عن ابن عباس أنه قال «للميزان كفتان ولسان»[3].

س- اذكر الأشياء التي توضع في الميزان يوم القيامة.

ج: يفهم من النصوص أن الأشياء التي توزن هي: العامل وعمله والسجلات التي كتبت فيها الأعمال..

أما الدليل على وزن العوامل: فما روى عن النبي ﷺ أنه قال: أنه ليأتي الرجل السمين العظيم لا يساوي عند الله جناح بعوضة «اقرءوا إن شئتم» فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا[4]... كما يدل ما ورد أن النبي ﷺ قال: في ابن مسعود كما تقدم..

أما الدليل على وزن العمل: فالحديثان الأولان.. والسابقان في حكم الإيمان به أما الدليل على وزن السجلات: فحديث البطاقة الآنف الذكر..

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠ - ٤٢١) وغيره.

(٢) إسناده صحيح. أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣) والترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجة (٤٣٠٠) وغيرهم. ورواية (لا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم) شاذة وهي عند أحمد. والصحيحة (ولا يثقل مع اسم الله شيء) وهي رواية الترمذي وغيره وراجع حاشية الطحاوية للشيخ الألباني ح (٥٦٧) والصحيحة (١٣٥).

(٣) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجة (٤٣٠٠) وغيرهما.

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٢٩) ومسلم (٢٧٨٥).

س- ما الحكمة من تقديم الحساب على الميزان؟

ج : الحساب يكون قبل الوزن وذلك لأن الحساب هو كما ذكرنا تقرير الأعمال. والتعريف بها، أما الوزن فهو وزن الأعمال. وبيان مقاديرها. ليكون الجزاء في حسبها ولا يكون بيان مقدار الشيء إلا بعد التعريف به وتقريره.

س- هل توزن جميع أعمال العباد بميزان واحد أو أكثر؟

ج : اختلف في هذا على قولين:

أ- قال بعضهم: إن هناك أكثر من ميزان.

دليلهم: ورودها مجموعة في عدة آيات كما في قوله تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1] وقوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾[2]...

ب- وقيل: هو ميزان واحد. لا أكثر. وإنما جمعت الآيات باعتبار الأشياء التي توزن فيه.

والمختار: كما يقول الاسفاريني: هو التوقف.

س- زعم البعض أن أعمال العباد أعراض لا يمكن وزنها فكيف ترد على هؤلاء؟

ج : هناك من يفسر الميزان بالعدل وشبهته في ذلك: أن الأعمال أعراض والأعراض لا يمكن وزنها.. ويرد عليه: بأن النصوص الشرعية جاءت بذكر الموازين فيجب الإيمان كما جاءت به النصوص من غير تأويل له «ولا صرف له عن ظاهره. إذ لا يقال بالمجاز إلا مع وجود

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٤٧).

(٢) سورة القارعة: الآيتان (٦ و٧).

قرينة تصرف اللفظ عن ظاهره ولا قرينة هنا.. ويجاب عن شبهتهم بأن الله عز وجل يقلب الأعراض أجساما وقد ورد في الآثار ما يدل على قلب الأعراض أجساما فقد ورد في أحاديث عذاب القبر ونعيمه «إن العمل الصالح يأتي على صورة رجل حسن الوجه. حسن المنظر يسر به صاحبه»[1] وقد ورد في النصوص: (أنه يؤتي بالموت على شكل كبش فينادي يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون. ويرون أنه قد جاء الفرج فيذبح ويقال: خلود بلا موت)[2] قال الشارح: ولو لم يكن من الحكمة: من وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده. فلا أحد أحبُ إليه العذرُ من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين فكيف ووراء ذلك من الحكم. ما لا اطلاع لنا عليه[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري (٤٧٣٠) التفسير باب (وأنذرهم يوم الحسرة). ومسلم (٢٨٤٩).

(٣) راجع الشرح ص ٣٧٤.

مبحث الجنة والنار

س- **قال الطحاوي «والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا. ولا تبيدان. فإن الله تعالى: خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلا. فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه وكل يعمل لما قد فرغ له. وصائر إلى ما خلق له** وضِّح هل الجنة والنار موجودتان الآن أم لا؟ اذكر الراجح مع التدليل والرد على المخالفين.

جـ- اختلف في وجودهما الآن على قولين:

أ- مذهب الجمهور إلى أنهما مخلوقتان موجودتان.. الآن.

ب- وذهب بعض المعتزلة إلى إنكار وجودهما الآن. وقالوا ينشئهما الله يوم القيامة.

أدلة كل قول:

أ- استدل الجمهور على قولهم بعدة أدلة. من الكتاب. والسنة. والإجماع.

أولاً: من الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[1].

٢- قوله في شأن النار ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٣٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٣١).

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾[1] فأخبر سبحانه أن جنة المأوى عند سدرة المنتهى ولو كانت غير موجودة لما شاع هذا التعبير.

٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾[2] فقد قال سبحانه كانت ولم يقل ستكون.

ثانيا: من السنة:

١- ما روى عن أنس رضي الله عنه قال: قال ﷺ (والذي نفسي بيده: لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا. ولبكيتم كثيرا. قال: وما رأيت؟ قال: رأيت الجنة والنار)[3].

٢- ما روى عن عبدالله بن عباس أنه قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه قالوا: رأيناك يا رسول الله تناولت شيئا في مقامك ثم تكعكعت فقال: رأيت الجنة وتناولت عنقودا لو أصبته لأكلتم منه مابقيت الدنيا ورأيت النار. فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا بم يا رسول الله؟ قال بكفرهن، قيل أيكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان)[4] الحديث.

٣- ما روى النبي ﷺ أنه قال: (لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. فذهب ينظر إليها فرجع فقال: والذي نفسي بيده لا يسمع بها أحد إلا دخلها ثم أمر بها فحفت بالمكاره فقال: ارجع فانظر

---

(١) سورة النجم: الآيات (١٣ - ١٥).

(٢) سورة النبأ: الآيتان (٢١ و ٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (٤٢٦) وغيره.

(٤) أخرجه البخاري (١٠٥٢) ومسلم (٩٠٧).

وما أعددت لأهلها فيها. فرجع فنظر إليها فقال: والذي نفسي بيده لخشيت ألا يدخلها أحد أبدا ثم أرسله إلى النار فقال: انظر إليها. وما أعددت لأهلها فيها وذهب ونظر إليها، فرآها يركب بعضها بعضا. فقال وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها ثم أمر بها فحفت بالشهوات)[1] الحديث.

ثالثا: الإجماع:

فقد اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبتت نابتة من المعتزلة فأنكرت ذلك.

شبهات المعتزلة

القائلين بأنهما: غير مخلوقتين الآن: قالوا:

١- لو كانتا موجودتين الآن للزم عليه اضطرارا أن تفني يوم القيامة، وأن يهلك كل ما فيها ويموت لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2].

٢- لو كانتا موجودتين الآن لزم عليه العبث لبقائهما زمنا متطاولا معطلتين. وأفعاله عز وجل منزهة عن العبث.

٣- قالوا: «وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي فقال: يا محمد أقرىء أمتك مني السلام. وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء. وأنهما قيعان، غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»[3]. وقال تعالى حكاية عن امرأة فرعون ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾[4] قالوا: فلو

---

(١) حسن أخرجه أبو داود (٤٧٤٤) والترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٧/٣ - ٤) وغيرهم.

(٢) سورة القصص: الآية (٨٨).

(٣) حسن. أخرجه الترمذي (٣٤٥٨) وغيره. وراجع الصحيحة (١٠٥).

(٤) سورة التحريم: الآية (١١).

كانت الجنة مفروغا منها لما كانت قيعانا ولما كان لهذا الغراس معنى. ولما ساغ دعاء امرأة فرعون.

الرد على شبهتهم:

أولاً: أما استدلالهم في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فيجيبه بأن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الهلاك والفناء. والجنة والنار خلقتا للبقاء.. وقيل: كل عمل هالك باطل إلا ما أريد به وجهه.. وقيل إنه لما أنزل الله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾[1] قال الملائكة هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء. فأنزل الله عز وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت..

ثانيا: أما الشبهة الثانية فهي شبهة باطلة نشأت من قياس أفعال الله على أفعال خلقه وهو قياس مع الفارق. لأنه سبحانه لا يسأل عما يفعل ثم إننا لا نسلم أنه يلزم على خلقهما الآن العبث لبقائهما معطلتين بل نقول: إن الجنة والنار يحصل لهما آثار قبل يوم القيامة فقد ورد أن العبد المؤمن يأتيه من روح الجنة وطيبها ويفتح له باب إلى الجنة وأن العبد الكافر يأتيه من حر النار وسمومها. كما ورد أن بعض أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار. وهذا ينفي ما زعموه.

ثالثا: أما الشبهة الثالثة: فيجاب عنها بأن ما ذكروه «لا يدل على عدم خلق الجنة والنار ووجودهما الآن. غاية ما فيه: الإخبار بأن الله عز وجل لم يكمل خلق الجنة أنه لا يزال يحدث فيها شيئا بعد شيء حتى إذا دخلها المؤمنون أحدث فيها أشياء لم تكن فيها قبل هذا وهذا أمر خارج عن محل النزاع.

---

(١) سورة الرحمن: الآية (٢٦).

س- اختلف الناس في شأن فناء الجنة والنار أو دوامهما اشرح ذلك مع الترجيح وذكر الدليل لما تختار.

جـ- اختلف في ذلك على أقوال عدة أهمها:

أ- قال الجمهور ببقائهما وعدم فنائهما. وبه قال جمهور الأمة من السلف.

ب- ونقل عن بعض السلف أنه قال ببقاء الجنة وفناء النار. ولو بعد حين.

جـ- ويرى الجهم بن صفوان أن الجنة والنار غير باقيتين.

د- ونسب إلى ابن القيم: القول ببقاء الجنة والتوقف في النار.

الأدلة:

أ- استدل الجمهور على بقاء الجنة بقول الله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[1] فقد أخبر عز وجل أن أكلها وظلها دائمان.. وهذا يقتضي بقاءهما وعدم فنائهما، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾[2] فقد أخبر سبحانه عن أصحاب الجنة بأنهم لا يخرجون من الجنة ولم يحدد ذلك بزمن فدل ذلك على عدم فنائهم وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾[3] فقد دلت الآية على بقاء الجنة. ولا ينافي هذا الاستثناء (إلا ماشاء ربك لأن الله عز وجل عقب عليه بقوله)

---

(١) سورة الرعد: الآية (٣٥).

(٢) سورة الحجر: الآية (٤٨).

(٣) سورة هود: الآية (١٠٨).

«عطاء غير مجذوذ» أي غير مقطوع أما الاستثناء فقد قيل:

١- المراد مدة مكثهم في النار وهذا خاص لمن دخل منهم لا عام.

٢- وقيل المراد: مدة مقامهم في الموقف وفي قبورهم.

٣- وقيل المراد: إعلامهم بأنهم مع خلودهم في الجنة فمنهم داخلون تحت مشيئة الله.

أما أدلتهم من السنة:

فقد استدلوا بما ورد عنه ﷺ أنه قال: (من يدخل الجنة ينعم فلا يبؤس ويخلد فلا يموت)[1] وكذلك ما روى عنه ﷺ أنه قال: (فينادي منادي يا أهل الجنة أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا. وأن تشبوا فلا تهرموا أبدا. . وأن تحيوا فلا تموتوا أبدا)[2].

أما أدلتهم على بقاء النار: فما يأتي:

١- قوله تعالى: في أصحاب النار ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[3].

٢- قوله سبحانه ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾[4].

٣- قوله عز وجل ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[5].

---

(١) حسن لغيره، رواه أحمد (٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥) والترمذي (٢٥٢٦) وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٧) وغيره.

(٣) سورة البقرة: الآية (١٦٧).

(٤) سورة فاطر: الآية (٣٦).

(٥) سورة الأعراف: الآية (٤٠).

أما عن السنة:

ما روى عنه أنه (يؤتي بالموت على صورة كبش أقرن. فيذبح بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة: خلود بلا موت. ويا أهل النار: خلود بلا موت)[1].

ب - أدلة القائلين بفناء النار فقط:

١- قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾﴾[2] والأحقاب جمع حقب وهو مدة محدودة من الزمن.

٢- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾[3] ولم يأت بعد هذا الاستثناء ما يدل على استمرار بقائهم في النار. كما في الآيات التي وردت في أهل الجنة، فورود ما يدل على استمرار العطاء لأهل الجنة دون أهل النار يدل على أن الجنة باقية. وأن النار فانية.

٣- ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج. لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه)[4].

جـ: شبهة القائلين بفناء الجنة والنار «وهم جهم وأتباعه» هي: أن الجنة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة النبأ: الآية (٢٣).

(٣) سورة هود: الآية (١٠٦).

(٤) إسناده ضعيف، أخرجه عبد بن حميد وغيره.

والنار حادثتان وكل حادث يفنى. فالجنة والنار تفنيان كما استدل بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1].

يجاب عن الشبهة الأولى: إن بقاء الجنة والنار ليس بذاتهما ولكن بإبقاء الله تعالى لهما.

أما عن الاستدلال بالآية: فيجاب عن الآية بما سبق وأن ما ذكرناه من أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء. فهو هالك. والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء. بهذا يبطل ما ذهب إليه الجهم وأتباعه.

المختار من الرأيين الأولين:

من السلف من اختار القول بفناء النار.. والجمهور على أن الجنة والنار باقيتان وابن القيم رحمه الله يفهم مما ذكره في شفاء العليل أنه يختار القول بفناء النار[2] ويفهم مما ذكره في اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: أنه يرى القول ببقاء الجنة والنار، أما في كتابه «حادي الأرواح» فقد ذهب إلى التوقف في هذه المسألة حيث قال كلاما مفاده «فإن قيل إلى أين إقدامكم في هذه المسألة العظيمة الشأن: قلنا: عند قوله تعالى.. ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[3] قال: وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حيث ذكر دخول أهل الجنة وأهل النار. وما يلاقيه كل منهما. ثم قال بعد ذلك ثم يفعل الله ما يشاء ولعل ابن القيم رحمه الله قال بهذه الآراء الثلاثة جميعا. من باب تغيير الاجتهاد..

والراجح: والله أعلم: القول ببقاء النار كما هو مذهب جمهور أهل السنة:

---

(١) سورة القصص: الآية (٨٨).

(٢) يحمل كلام ابن القيم رحمه الله تعالى على فناء نار الموحدين وقد صرح بذلك في حادي الأرواح والوابل الصيب ص ٣٤ بتحقيق محمد عبدالرحمن عوض.

(٣) سورة هود: الآية (١٠٧).

أما الاستدلالات على صحة القول الثاني فليس فيها من الدلالة بما يقوى على معارضة أدلة القول الأول. أما قول عمر.. فيجاب عنه بما يأتي:

١- أنه ضعيف لا يثبت.

٢- على فرض صحته. فقد روى بطريق مطول غير هذا. وهو أنه مر على كثيب من الرمل فبكى. قالوا: وما يبكيك: قال: ذكرت النار وأهلها. ثم قال: (لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم وقت يخرجون منها ولكنه الخلود أبدا[1]) فهذا يعطي خلاف ما استدل به عليه. لأن المعنى «لو قدر الله مكث أهل النار كقدر رمل عالج فكأنهم سيخرجون لكنه الخلود أبدا. إذ إنه لا يُقَدَّرُ عددٌ معينٌ والله أعلم».

س- اذكر أقوال الناس في أبدية النار ودوامها بالتفصيل؟

جـ- للناس في ذلك ثمانية أقوال:

١- أنه من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد. وهذا قول للخوارج والمعتزلة.

٢- أن أهلها يعذبون فيها.. ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة نارية يتلذذ بها لموافقتها لطبعهم. وهذا قول ابن عربي إمام الصوفية الاتحادية.

٣- أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود. ثم يخرجون منها. ويخلفهم فيها قوم آخرون.. وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ. وكذّبهم الله تعالى. وقال سبحانه ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[2].

٤- قال قوم: يخرجون منها. وتبقى على حالها. ليس فيها أحد.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة البقرة: الآية (٨٠).

٥- إنها تفنى بنفسها لأنها حادثة. وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وهذا قول الجهم وشيعته. ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار كما تقدم.

٦- تفنى حركات أهلها ويصيرون جمادا. لا يحسون بألم وهذا قول القلائل.

٧- إن الله يخرج منها من يشاء ثم يبقيها زمنا. ثم يعفو. ثم يفنيها فإنه جعل لها أمدا تنتهي إليه.

٨- إن الله يخرج منها من يشاء ويبقى فيها الكفار. بقاء لا انقضاء له. والقولان الأخيران: لأهل السنة وما عداهما باطل لا محالة. وهذان القولان قد تقدم تقريرهما. وتقرير أدلة كل منهما في الخلاف حول ثبوت أبدية الجنة والنار.

فأما **القول الأول**: وبه قال بعض الصحابة كعمر وابن مسعود فيما روى عنهم واستدلوا على ذلك. علاوة على ما تقدم بالنصوص الدالة على سعة عفو الله وإن رحمته سبقت غضبه.. قالوا: ولا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين فلو بقوا في العذاب. لا إلى غاية لم تسعهم رحمته وقد قال ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء**﴾[1] قالوا: وما ورد من النصوص بالخلود فيها والتأبيد وعدم الخروج كله حق مسلم.. لكنه يقتضي الخلود ما دامت باقية.. وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد.

وأما **القول الثاني**: وبه قال جمهور الصحابة والتابعين أن النار باقية لا تفنى واستدلوا على ذلك علاوة على ما تقدم بقوله تعالى لأهل النار: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾[2] كما استدلوا بالآية المتقدمة التي أنزلها الله ردا على اليهود. فقد دلت السنة المستفيضة. أنه يخرج من النار

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٠٦).

(٢) سورة النبأ: الآية (٣٠).

من قال: لا إله إلا الله: وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار. وإن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم. ولم يختص الخروج بأهل الإيمان وبقاء الجنة والنار ليس بذاتهما. ولكن بإبقاء الله لهما.

الترجيح:

والقول الأخير وهو بقاء النار ودوامها هو الذي تسكن إليه النفس ويطمئن إليه القلب لصراحة أدلته المتقدمة. والله أعلم.

س- كيف توجه الاستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾[1]؟

جـ- اختلف السلف في توجيه هذا الاستثناء على أقوال منها:

١- فقيل معناه «إلا مدة مكثهم في النار» وهذا يكون لمن أدخل منهم إلى النار ثم أخرج منها، لا لكلهم، فهو خاص لا عام..

٢- وقيل.. إلا مدة مقامهم في الموقف.

٣- وقيل.. إلا مدة مقامهم في القبور والموقف.

٤- وقيل الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم داخلون تحت مشيئته: لايخرجون عنها ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[2] وقوله ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[3] ونظائره كثيرة.

---

(١) سورة هود: الآية (١٠٨).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٨٦).

(٣) سورة الشوري: الآية (٢٤).

٥- وقيل أن ما بمعنى (من) أي إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه.

٦- وقيل إلا بمعنى (الواو) وهذا على قول بعض النحاة وهو ضعيف. وسيبويه يجعل (إلا) بمعنى (لكن) فيكون الاستثناء منطقعاً ورجحه ابن جرير. وقال: إن الله لا يخلف وعده. وقد وصل الاستثناء بقوله (عطاء غير) قالو ونظيره أن تقول: اسكنتك داري حولاً إلا ما شئت. أي ما شئت (ولكن ماشئت من الزيادة عليه).

٧- وقيل هو استثناء الرب. ولا يفعله كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وأنت لا تراه بل تجزم بضربه.

س- أين يكون أطفال المسلمين في الآخرة. في الجنة أم النار؟

جـ- روت عائشة رضي الله عنها قالت: دعى رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدركه فقال: «أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلا لها. وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا لها وهم في أصلاب آبائهم».. رواه مسلم[(١)].

تنبيه:

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة. لأنه ليس مكلفا. وتوقف به من لا يعتد به لحديث عائشة هذا. وأجاب العلماء عنه بأنه لعله ينهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل ويحتمل أنه قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة.. والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٢) وغيره.

س- اذكر أنواع المخلوقات في الهداية والإرادة..؟

جـ- الموجودات نوعان:

أحدهما: مسخر بطبعه هداه الله لما سخره له طبعه كالشمس والقمر.

ثانيهما: متحرك بإرادته. وقد ركب الله فيه هداية إرادية شعورية تابعة لشعوره وعلمه بما ينفعه ويضره. ثم قسم هذا النوع إلى ثلاثة أنواع:

١- نوع لا يريد إلى الخير. ولا يتأتى منه إرادة سواه. كالملائكة.

٢- نوع لا يريد إلا الشر ولا يتأتى منه إرادة سواه كالشياطين.

٣- نوع يتأتى منه إرادة القسمين كالإنسان ثم جعله ثلاثة أصناف.

أ- صنف يغلب إيمانه ومعرفته وعقله هواه وشهوته وهذا يلتحق بالملائكة.

ب- وصنف عكسه تماما فيلتحق بالشياطين.

جـ- وصنف تغلب شهوته البهيمية.. عقله فيلتحق بالبهائم.

س- قد يمنع الله الثواب عن العبد، أو يجب عليه العقاب، فهل يمكن أن يحدث ذلك من غير علة؟ اشرح ذلك؟

جـ- مما تجب معرفته أن الله لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه. وهو العمل الصالح قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾[1] وكذلك لا يعاقب أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[2] فلا ريب أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء. ولكن ذلك كله حكمة منه وعدل. فمنعه للأسباب التي هي الأعمال الصالحة من كمال حكمته وعدله سبحانه.

---

(١) سورة طه: الآية (١١٢).

(٢) سورة الشورى: الآية (٣٠).

مبحث

انتفاع الأموات بسعي الأحياء لهم

س- ما حكم استئجار من يقرأ القرآن ويهدي ثوابه للميت؟

جـ- حكم هذا أنه عمل غير جائز لم يفعله الصحابة ولم يرشد إليه أحد من أئمة الدين ولم يرخص فيه. ولهذا فلا يجوز استئجارهم مطلقا. ولو حصل شيء من ذلك فإن الميت لا ينتفع بشيء من تلك القراءة لأن القارىء قد أخذ أجره فلا ثواب له فكيف يهدي ما لم يكن له ثواب فيه وفاقد الشيء لا يعطيه..

س- ما حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن؟

جـ- اختلف في هذه المسألة:

أ- فقيل يجوز أخذ الأجرة: على تعليم القرآن.. والدليل ما روى عن النبي ﷺ أنه قال «أن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله»[1] ولما روى أنه ﷺ (زوج رجلا بامرأة بما معه من القرآن)[2].

ب- وقيل لا يجوز مطلقاً. والدليل ما روى عن عبادة أنه علَّم رجلاً شيئا من كتاب الله فأهدى إليه سوطا. فأخبر النبي ﷺ بذلك قال: (إن أحببت أن تطوقه سوطا من النار. فخذه)[3] فقد ذكر ﷺ ما ذكره عقابا لذلك الفعل. ولا يعاقب إلا عن أمر محرم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٧) الطب/ الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٤٩) النكاح/ التزويج على القرآن، ومسلم (١٤٢٥).

(٣) صحيح لغيره، أخرجه أبو داود (٣٤١٦) وابن ماجه (٢١٥٧) وغيرهما وراجع الصحيحة (٢٥٦).

والرأي المختار: جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن للأدلة التي ساقوها. . أما حديث عبادة فهو ضعيف الإسناد عند بعض أهل العلم. وعلى فرض صحته يكون النبي ﷺ إنما أشار إلى أنه لا ينبغي لعبادة أن يأخذ ذلك السوط لكون من علمه القرآن فقيراً أو لكون عبادة علمه القرآن متبرعا. فكان في أخذه لذلك السوط إحباط لثواب عمله.

وأخيرا: فإن القول بجواز أخذ الأجرة فيه تشجيع على تعليم القرآن. ومساعدة على انتشاره وحفظه. وقراءته بين الناس. . أما أخذ الأجرة على تعليم القرآن من بيت المال: فهو جائز. لأنه يجب على الإمام أن يصرف رواتب للقضاة والأئمة ونحوها. إبقاءً على شعائر الدين، وتشجيعا لمن يعتنون بها. أما أخذ الأجرة من الأفراد ففيه الخلاف المتقدم.

س- بعض الناس يوصي بجزء من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره، فما حكم ذلك؟

جـ- هذا العمل بدعة ومحرم. والوصية باطلة لا تنفذ. . والحجة في هذا أن سلف الأمة لم يكونوا يعملون هذه الأعمال.

س- ما حكم التطوع بقراءة القرآن وإهداء ثوابها للميت؟

جـ- قراءة القرآن عبادة بدنية. وفيها يجري الخلاف السابق في وصول العبادات البدنية إلى الميت.

أ- فجمهور السلف قالوا: تصل العبادات إلى الميت. ومنها القراءة. وقاسوا القراءة على الصوم والحج. لأن كلا منها عبادة بدنية.

ب- وذهب بعض السلف إلى عدم وصول القراءة إلى الميت، لأن السلف لم يفعلوا ذلك ولم يرشد إليه النبي ﷺ وأجيب عن

هذا: بأن هذا النفي العام لا دليل عليه.. ثم ما الفرق بين وصول ثواب الصوم والحج والدعاء. وبين وصول ثواب القراءة، فإن قيل أن النبي ﷺ أرشدهم إلى إهداء ثواب الصوم والحج دون قراءة القرآن.

فإن جوابي عن ذلك: أن النبي ﷺ.. لم يبتدئهم بهذا ولكنه خرج منه مخرج الجواب فهذا سأله عن الحج، فأذن له، وذلك سأله عن الصدقة فأذن له. ولم يمنعهم عما سوى ذلك.

س- ما حكم إهداء ثواب القراءة أو أي عمل صالح إلى النبي ﷺ؟

جـ- اختلف العلماء في ذلك:

أ- فمنهم من استحبه لأن النبي ﷺ قد أنقذ الله به الناس من الظلمات إلى النور فكان في إهداء الثواب إليه اعتراف بالجميل.

ب- ومن العلماء من قال: إنه بدعة، وذلك لأمرين:

١- إن الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوه، ولو كان مشروعا لفعلوه.

٢- إن للنبي ﷺ مثل أجر كل من عمل خير من أمته. لأنه هو الذي دل على ذلك الخير، والدال على الخير كفاعله. فكان في إهداء ثواب الأعمال إليه تحصيل للحاصل وحرمان النفس من ثوابه مع عدم إفادة الرسول ﷺ منه ولعل هذا هو الراجح.

س- هل يجوز قراءة القرآن على القبور؟

جـ- اختلف العلماء في هذه المسألة على آراء ثلاثة!

أ- فمن العلماء من قال: هي جائزة مطلقا عند الدفن وبعده.

ب- ومنهم من قال: هي مكروهة مطلقاً عند الدفن وبعده.

جـ- ومنهم من قال: جائزة وقت الدفن. ومكروهة بعده.

الأدلة:

أ- استدل الأولون بما روى أن ابن عمر رضي الله عنهما أوصى بأن يقرأ على قبره عند الدفن فواتح سورة البقرة وخواتمها.. ولما روى عن بعض المهاجرين أنه أوصى بقراءة سورة البقرة على قبره.

ب- استدل القائلون بالكراهة مطلقاً: أنه أمر محدث. ولم ينقل عن النبي ﷺ الإرشاد إليه. ولأن القراءة كالصلاة. والصلاة منهي عنها على القبر.

جـ- واستدل القائلون بالجواز عند الدفن والمنع بعده. فلأن الأثر المنقول عن ابن عمر أنه أوصى بالقراءة عند الدفن. لا بعده. والشارح رحمه الله رجح هذا. لما فيه من التوفيق بين الأدلة.

الدعـــــاء

س- قال الطحاوي «والله تعالى يجيب الدعوات ويقضي الحاجات»، ما مقصود الطحاوي رحمه الله بالدعاء هنا؟

جـ- يطلق الدعاء، ويراد به عدة معان:

١- يطلق ويراد به النداء. نقول دعوت فلانا. أي ناديته.

٢- يطلق ويراد به الحث على الشيء تقول: دعوت القوم إلى الفضيلة: أي حثثتهم على فعلها.

٣- ويطلق ويراد به الابتهال إلى الله بالسؤال والرغبة فيما عنده من الخير وهذا هو المراد بالدعاء هنا.

س- تكلم عن مذاهب الناس في مسألة الانتفاع بالدعاء. وكيف ترد على شبهة المخالفين؟

جـ- للناس آراء في الانتفاع بالدعاء:

أ- ذهب الجمهور إلى أن الدعاء من أعظم الأسباب التي تجلب المصالح وتدفع المضار. وهو قول أكثر خلق الله من سائر الملل.

ب- وذهب بعض المتفلسفة وغلاة الصوفية إلى أن الدعاء لا فائدة فيه.

جـ- وخص بعضهم الدعاء بخواصّ العارفين وقال: إن مقام الخواص علة في إجابة الدعاء.

والرأي المختار:

هو القول الأول لأنه رأي أكثر الخلق وقد دل عليه الكتاب والسنة.

١- من الكتاب عدة أدلة منها:

أ- قال ربكم: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ

﴿عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾[1]. فقد أمر الله عباده بالدعاء.. ووعدهم بالإجابة فدل ذلك على شأن الدعاء.

ب- قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2] فقد أخبر سبحانه بذلك فدل على مشروعية الدعاء.

٢- أما من السنة فعدة أدلة منها:

أ- ما روى أنه ﷺ قال: (من لم يسأل الله يغضب عليه)[3] فقد دل الأثر على مشروعية الدعاء والالتجاء إليه وإن ذلك سبب من أسباب مرضاة الله سبحانه عن عبده.. قال الشاعر:

الرب يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

ب- ما روى أنه ﷺ «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول - م نيدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»[4] وكل من هذه الثلاث متضمنة لأنواع الأدعية من إجابة الداعي وإعطاء السائل والمغفرة للمستغفر. فدل ذلك على مشروعية الدعاء وعظيم فائدته.

جـ- قوله ﷺ «لا يرد القدر إلا الدعاء. ولا يزيد في العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[5].

د- ما روى عنه ﷺ أنه قال (ما من رجل يدعو الله بدعوى ليس فيها إثم. ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بدعوته تلك إحدى

---

(١) سورة غافر: الآية (٦٠).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٨٦).

(٣) حسن لغيره، رواه الترمذي (٣٣٧٣) وابن ماجه (٣٨٢٧)

(٤) أخرجه البخاري (١١٤٥) التهجد/ الدعاء والصلاة من آخر الليل. ومسلم (٧٥٨).

(٥) حسن لغيره، دون قوله (وإن الرجل ليحرم..) وأخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧ و٢٨٠ و٢٨٢) وابن حبان (١٠٩٠) وابن ماجة (٩٠ و٤٠٢٢).

ثلاث خصال. إما أن يعجل له دعوته. أو يدخر له من الخير مثلها أو يصرف عنه من الشر مثلها) قالوا: يا رسول الله إذن نكثر قال «الله أكثر»[1] فقد دل الحديث على مشروعية الدعاء وأن الداعي إذا لم يتعد في دعوته أجيبت دعوته بإحدى تلك الخصال الثلاث.

شبهة المخالفين. والرد عليها:

من شبههم:

إن المشيئة الإلهية إن اقتضت حصول المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء وإن لم تقتضه فلا فائدة فيه.

الجواب:

أجيب عن هذه الشبهة بأحد جوابين:

أولهما: منع الحصر الذي ذكروه وهو: إما أن تقتضي حصول المطلوب وإما أن لا تقتضيه فنقول: إن هناك قسما ثالثا. وهو: أن تكون المشيئة الإلهية قد اقتضت حصول المطلوب بشروط قد يكون منها دعاء الشخص وطلبه. كما تقتضي حصول الثواب بوجود العمل بشروط قد يكون منها دعاء الشخص وطلبه. كما تقتضي حصول الثواب بوجود العمل بشروط قد يكون منها دعاء الشخص وطلبه. كما تقتضي حصول الثواب بوجود العمل الصالح. وحينئذ فالدعاء مفيد لأنه كان شرطاً من شروط حصول المطلوب كما كان العمل الصالح شرطا لحصول الثواب.

ثانيهما: لا نسلم أن المشيئة الإلهية إن اقتضت المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء بل قد تكون إليه حاجة من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة أو

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٣/١٨) والحاكم (١/ ٤٩٣) وغيرهما.

آجلة وكذلك: لا نسلم لهم بأن المشيئة الإلهية. إن لم تقتض المطلوب فلا فائدة فيه. بل فيه فوائد أيضا من جلب مصالح أو دفع مضار أخر. يدل على ذلك الحديث الذي قدمناه. «ما من رجل يدعو بدعوة لا إثم فيها ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بدعوته بإحدى ثلاث خصال».

الشبهة الثانية: قالوا: إذا كان إعطاء الله عز وجل معللا بفعل العبد كما يعقل من إعطاء المسئول للسائل. كان السائل قد أثر بدعائه في الرب.. كما أثر السائل في المسئول. وتأثير العبد في الرب ممنوع.

الجواب: إن الله عز وجل هو الذي حرك العبد لدعائه وجعل دعاءه سبباً في حصول المطلوب. فمنه بدأ الأمر وإليه منتهاه. ولذلك قال عمر: إني لا أحمل همّ الإجابة ولكنني أحمل هم الدعاء. فإذا ألهمت الدعاء حصلت منه الإجابة «والله سبحانه هو الذي يحرك العبد بدعائه. وهو سبحانه جعل الدعاء سببا للإجابة. كما جعل العمل الصالح سبباً للثواب، ووفقه للتوبة وأثابه عليها.

س- نلاحظ أن بعض الناس يدعو ولا يستجاب له فيما يظهر لنا، فكيف نجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[1]؟

جـ- أجيب عن هذا بعدة أجوبة منها:

١- الأول إن الدعاء في الآية المراد به العبادة فيكون المعنى «أعبدوني أثبكم وأجازيكم جزاء حسنا، ويدل على هذا قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾[2] وعلى هذا فالآية لم تتعرض لإجابة الداعي على دعائه.

(١) سورة غافر: الآية (٦٠).

(٢) سورة غافر: الآية (٦٠).

٢- الثاني: إن إجابة الداعي أعم من إعطاء السائل لسؤاله. فإجابته إما أن تكون بإعطائه عين سؤاله أو ادخار مثل سؤاله من الخير له أو يصرف عنه مثل سؤاله من الشر كما ورد في الحديث.

٣- الثالث: إن الدعاء سبب لحصول المطلوب. ولا بد لترتيب المسببات على أسبابها من وجود الشرط.. وانتفاء الموانع فإذا فقدت الشروط. أو بعضها أو وجد المانع لم يحصل المطلوب.. قالوا: فالأدعية والأذكار بمنزلة السلاح وتأثير السلاح ليس بحده فقط، بل بضاربه أيضاً. فإذا كان السلاح تاماً، والساعد ساعدا قويا، والمحل قابلا، والمانع مفقودا. يحصل بالسلاح النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير وكذلك الأدعية والأذكار إذا كان الدعاء صادقا وانضم إليه أن توجه الشخص بقلبه مع لسانه وانتفت الموانع حصل المطلوب. وإن لم يكن كذلك لم يحصل المطلوب.

س- إن الدعاء يقتضي إثبات بعض صفات الكمال للمدعو اذكر هذه الصفات؟

جـ- ذكر ابن عقيل أن الدعاء يستلزم معاني ثمانية:

١- الوجود فإن المعدوم لا يدعى.

٢- الحياة فالميت لا يدعى.

٣- السمع. فالأصم لا يدعى.

٤- العلم فالجاهل لا يدعى.

٥- القدرة فالعاجز لا يدعى.

٦- الرحمة فالقاسي لا يدعى.

٧- الكرم فالبخيل لا يدعى.

٨- الغني فالفقير لا يدعى.

س- ما هي شروط إجابة الدعاء؟

جـ- ذكر العلماء عدة شروط هي:

١- أن يكون الداعي عالما بأنه لا يقدر على قضاء حاجاته إلا الله الذي بيده ملكوت كل شيء.

٢- أن يخلص النية حال الدعاء بأن يكون حاضر القلب.

٣- أن يجتنب الحرام مطلقا فالوقوع في الحرام سبب لعدم إجابة الدعاء ولهذا ذكر ﷺ (الرجل أشعث أغبر يطيل السفر. يرفع كفيه إلى السماء فيقول، يا ربّ يا ربّ ومطعمه حرام، ومشربه حرام وغذى بالحرام، فأنى يستجاب له)[١].

٤- أن لا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم.

٥- أن لا يطلب أمرا مستحيلا يخالف سنن الله في كونه بأن يطلب إحياء الميت أو أن يُرزق الأبناء بغير زواج أو تغيير طبيعة الكائنات بأن يتحول الماء إلى زيت أو النحاس إلى ذهب... الخ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

(محبة أصحاب رسول الله ﷺ)

س- قال الطحاوي (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ. ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم. ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان» وضح ما المقصود بالصحابي؟ ثم بين كم عدد أصحاب النبي ﷺ؟

ج- المراد به هنا: هو من لقي النبي ﷺ مؤمنا ولو لحظة ومات على ذلك.

وقد ذكر أبو زرعة شيخ الإمام مسلم. أن عدد الصحابة يزيد على مائة ألف، وذكر غيره أنه مائة وعشرون ألفا (١٢٠) من رأى النبي ﷺ وسمع منه.

س- اذكر آراء الناس في وجوب محبة أصحاب النبي ﷺ وضح مذاهب الناس.

أ- يرى أهل السنة والجماعة: وجوب محبة أصحاب النبي ﷺ جميعهم وهم مع هذا لا يرفعونهم فوق منزلتهم التي يستحقونها ولا يغالون في حبهم. مثل ما فعلت الرافضة في غلوهم لأهل البيت.

ب- أما الرافضة فذهبت إلى موالاة أهل البيت والغلو في حبهم وبغض أكثر أصحاب النبي ﷺ لأنهم في اعتقادهم ظلموا عليا وسلبوا الخلافة منه.

ج- رأي أهل النواصب. وهم مناصبة أهل البيت العداء وتكفير أنفسهم كما فعلت الخوارج.. ونرى أهل السنة وسطا بين مذهب الروافض وبين مذهب النواصب. فإنهم لم يبغضوا

أحدا من أصحابه ﷺ كما فعلت الرافضة وكما فعلت النواصب ولم يغلوا في حبهم بل أنزلوهم المنزلة التي يستحقونها باعتبارهم أصحاب النبي ﷺ وعونه على نشر الدعوة.

س- لأصحاب النبي ﷺ فضائل كثيرة، اذكر شيئاً منها؟

جـ- وردت عدة نصوص في فضلهم رضوان الله عليهم لا سيما السابقين منهم من الكتاب والسنة والآثار.

أولاً: الكتاب:

أ- قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ إلى أن قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾[1].

ب- قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[2].

جـ- قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[3].

ثانياً: من السنة:

أ- ما روى عن أبي سعيد الخدري أنه قال كان بين خالد بن الوليد وعبدالرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال ﷺ (لا تسبوا

---

(١) سورة الفتح: الآية (٢٩).

(٢) سورة الفتح: الآية (١٨).

(٣) سورة التوبة: الآية (١٠٠).

أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم ملأ أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)[1].

ب- ما روى عنه أنه ﷺ قال «والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة»[2].

جـ- ما روى عنه ﷺ أنه قال «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم»[3].

ثالثا: من الآثار: فإليك بعضها:

أ- ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة يعني مع النبي خير من عمل أحدكم أربعين سنة)[4].

ب- ما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (إن الله نظر في قلوب العباد. فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه لرسالته. ثم نظر في قلوب العباد بعد قلبه ﷺ فرأى قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه. فما رآه أصحابه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه سيئا فهو سيىء)[5].

جـ- ما روى أنه قول لعائشة أن أناسا يتكلمون في أصحاب النبي حتى في أبي بكر وعمر فقالت: أوتعجبون من هذا؟ انقطع منهم العمل فأراد الله ألا ينقطع عنهم الأجر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) فضائل الصحابة/ باب قول النبي ﷺ (لو كنت متخذاً خليلاً). ومسلم (٢٥٤١).

(٢) أخرجه مسلم ٢٤٩٦) والترمذي (٣٨٥٩) وأبو داود (٤٦٥٣).

(٣) اخرجه البخاري (٢٦٥١) الشهادات/ باب لا يشهد على شهادة جور، ومسلم(٢٥٣٥).

(٤) أثر صحيح، رواه أحمد في فضائل الصحابة (٢٠) عن ابن عمر.

(٥) إسناده حسن. أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩) وغيره.

هذا بعض ما ورد عن فضل أصحاب رسول الله ﷺ مما يوجب محبتهم وموالاتهم وعدم جواز الطعن فيهم . . .

س- قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[1] وضح من هم السابقون الأولون من الصحابة؟

جـ- اختلف في ذلك على أقوال:

أ- فقيل المراد بهم: الذين أسلموا قبل الفتح وعددهم يزيد على (١٤٠٠) رجل.

ب- وقيل المراد بهم: من صلى إلى القبلتين.

والأول: أقوى وهو المختار وذلك لما يأتي:

أولاً: لأنهم ورد في فضلهم عدة نصوص منها قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[2] وقوله ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3]، وقول النبي ﷺ «والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة»[4].

ثانياً: ولأن الصلاة إلى القبلتين بمجردها لا يعتبر فضيلة لأن نسخ القبلة الأولى ليس من فعلهم. ولم يرد دليل على أفضلية من صلى إلى القبلتين على من سواهم.

س- هل يجوز الغلو في محبة أصحاب النبي ﷺ؟

جـ- لا يجوز تجاوز الحد في حب أحد من الصحابة كما فعلت الشيعة

---

(١) سورة التوبة، الآية (١٠٠).

(٢) سورة الفتح: الآية (١٨).

(٣) سورة الحديد: الآية (١٠).

(٤) سبق تخريجه.

لأنه حينئذ غلو واعتداء. وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[1].

س- ما هي الخصلة التي فضل بها اليهود والنصارى على الرافضة؟

جـ- هذه الخصلة هي أنه: قيل لليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى. وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد. ولم يستثنوا منهم إلا القليل - آل البيت والمقداد ابن الأسود وأبا ذر.

س- ما معنى قول الرافضة «لا ولاء إلا ببراءة»؟

جـ- معنى هذا أنه لا تتم موالاة.. آل البيت إلا بالتبري من أبي بكر وعمر. وقالوا هذه المقالة لزعمهم أن أبا بكر وعمر قد سلبا عليا الخلافة. وأنه كان أولى منهما بها. وأهل السنة يوالونهم كلهم. وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف لا بالأهواء والتعصب. فإن ذلك كله من الغي الذي هو مجاوزة الحد.

س- «يقول بعض السلف الشهادة بدعة والبراءة بدعة» اشرح المقصود بهذا الكلام.

جـ- أما الشهادة فالمراد بها «الشهادة على المعين بالنار أو الكفر مع أنه لم يظهر شيئا يوجب ذلك فهذه بدعة».

وأما البراءة فالمراد بها هنا: ما يقوله الرافضة من أنه لا ولاء إلا ببراءة أي التبري من الشيخين فهي بدعة أحدثها الروافض ظلما وعدوانا من عند أنفسهم.

---

(١) سورة النساء: الآية (١٧١).

س- ما وجه كون حب الصحابة دينا وإيمانا وإحسانا وكيف يتفق هذا مع ما ذكره الطحاوي من أن الإيمان تصديق وإقرار فقط؟

جـ- أما وجه كون حب الصحابة دينا وإيمانا وإحسانا، فهو أن محبتهم فيها امتثال لأوامر الله عز وجل ولرسوله ﷺ وطاعة لهما.. ولذلك قال ﷺ.. «الله.. الله.. في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي. فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني.. ومن آذاني فقد آذى الله. ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»[1].

فمحبة أصحابه فيها طاعة له. فكانت دينا وإيمانا وإحسانا من هذا الاعتبار قد ذكر الشارح: إن تسمية الطحاوي محبة أصحاب النبي ﷺ إيمانا لا يستقيم مع ما ذكره من أن الإيمان تصديق فقط والمحبة عمل القلب وهو غير التصديق واعتذر عنه: بأنه لعله يكون إطلاقا مجازا.

وإنما اعتذر عنه بذلك: لكي تستقيم نسبة محبة الأصحاب مع ما اختاره. أما على رأي الجمهور غير الأحناف فهو متمشٍ مع أصولهم.

س- لماذا اعتبر الطحاوي بغض الصحابة كفرا ونفاقا وطغيانا؟

جـ- وجه كون بغضهم كفرا ونفاقا وطغيانا. هو أن أصحاب النبي ﷺ لم يصدر منهم ما يوجب بغضهم لذلك فمن أبغضهم فإنما أبغضهم لبغضه إمامهم محمد ﷺ قال ﷺ: «ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»[2].

ولهذا كان بغضهم كفرا ونفاقا وطغيانا من هذا الوجه.

وقد ذكر الشارح أن إطلاق الكفر على هذا هو كفر دون كفر. وهو الكفر العملي لا الاعتقادي. أهـ.

---

(١) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣٨٦٢) وغيره.

(٢) انظر قبله.

مبحث الخلافة

قال الطحاوي (ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ) أولا لأبي بكر رضي الله عنه تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة ثم لعمر رضي الله عنه. ثم لعثمان رضي الله عنه ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون.

س- وضِّح ما المقصود بالخلافة؟

جـ- الخلافة والإمامة العظمى، وإمارة المسلمين.. كلمات ثلاث ذات مدلول واحد وتعرف بأنها: إمارة عامة للمسلمين في مصالحهم الدينية والدنيوية تثبت لشخص واحد منهم بعد رسول الله ﷺ.

س- لماذا ذكر الطحاوي هذا المبحث في العقيدة؟

جـ- لما كان موضوع الخلافة من المواضيع التي خالفت فيها طوائف من أهل البدع القول الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة، أدخل هذا البحث في العقيدة لبيان مذهب أهل السنة والجماعة المستقى من النصوص الشرعية، وفي هذا إشارة إلى الرد على المخالفين.

س- هل يجب على المسلمين تنصيب خليفة عليهم؟ وضح مع التدليل؟

جـ- أجمع سلف هذه الأمة وجمهور أهل الطوائف الأخرى من المسلمين على أن تنصيب إمام للمسلمين واجب عقلاً وشرعاً خلافاً لبعض المعتزلة القائلين بأنه لا يجب عقلا وشرعا.

أما وجوبه عقلا: فلأنه لا يتم ما أمر الله به من إقامة الحدود وفصل الخصومات وسد الثغور. وما إلى ذلك مما يتعلق بالنظام إلا بتنصيب خليفة المسلمين.. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب علاوة على أن في تنصيب خليفة للمسلمين جلب مصالح ودفع مضار لا تحصى.

أما وجوبه شرعا: فقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع..

أولاً: من الكتاب: قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١) فقد أشارت الآية إلى وجوب تنصيب خليفة للمسلمين حيث أمرت بطاعة ولاة الأمور. ولا تتصور طاعتهم إلا بوجودهم.

ثانيا: من السنة: ما روى عنه أنه ﷺ قال: «من مات وليس في عنقه بيعة فميتته جاهلية أو كما قال»(٢) وقوله ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره. إلا أن يؤمر بمعصية»(٣).

ثالثا: من الإجماع: أما الإجماع فقد أجمع سلف هذه الأمة على وجوب تنصيب خليفة للمسلمين حتى إن الصحابة قدموا اختيار إمام للمسلمين بعد دفن الرسول ﷺ.

س- من هو أولى الناس بالخلافة بعد الرسول ﷺ؟

جـ- اختلف علماء الأمة في ذلك على ثلاثة أقوال:

أ- فمذهب أهل السنة والجماعة إلى أن أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصديق تفضيلا له وتقديما له على سائر الأمة.

ب- مذهب الراوندية نسبة إلى (الراوندي) طائفة نشأت في المشرق لها بدع متعددة ومن ضمنها رأيهم في الخليفة. فذهبوا إلى أن أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله هو عمه العباس بن عبدالمطلب يقول شاعرهم:

يا أيها الناس لا تعذب قلوبكم ... ولايضيعكم إلى أكنافها البدع

العم أولى من ابن العم فاستمعوا ... قولا نصيحا أن الحق يتبع

---

(١) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٢) رواه مسلم (١٨٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٥٥) ومسلم (١٨٣٩).

جـ- وذهبت الشيعة إلى أن أحق الناس بالخلافة بعده ﷺ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد اختلفت طوائف الشيعة في أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة هل تثبت بالنص عليه من رسول الله ﷺ. أم لكونه أفضل من غيره من الصحابة وقد توفرت فيه الشروط التي تشترط في إمام المسلمين.

الرأي المختار:

هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ. وذلك لما يأتي:

أولا: إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ذلك.. ولم يتخلف عن هذا الإجماع إلا شخص واحد لغرض في نفسه وهوسعد بن عبادة حتى إن أبا بكر رضي الله عنه توفي ولا يوجد أحد يمانع في خلافته للمسلمين.

ثانيا: أن العباس بن عبدالمطلب وعلي رضي الله عنهما قد بايعا أبا بكر بها. ولو كانا أحق منه لما بايعاه ولا يمكن أن نقول إنهما بايعاه (تقيه) لما يلزم على ذلك من ضعف في الإيمان. أو ضعف في الحال. والأول باطل بالإجماع والثاني باطل لما قد علم من شدة بأس علي وكثرة ناصريه. ولو لم يكن ناصرا له إلا بنو هاشم لكفى بهم ناصرا.

ثالثا: مما يمنع أن تكون المبايعة منهم تقيه ما روى أن أبا بكر رضي الله عنه لما تمت له البيعة خيّر الناس سبع ليال فلما كان اليوم السابع جاء علي رضي الله عنه وقال (والله لا نقيلك. ولولا أننا رأيناك أهلا لما بايعناك).

س- هل ثبت خلافة أبي بكر الصديق بالنص أم بالانتخاب؟

جـ- اختلف القائلون بأحقية أبي بكر بالخلافة على كيفية ثبوت الخلافة له:

أ- قال الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إنها تثبت بالنص الخفي والإشارة.

ب- وقال آخرون إنها ثبتت بالنص الجلي.

جـ- قال بعض أهل الحديث والمعتزلة والأشاعرة إنها ثبتت بالاختيار. أدلة كل قول:

أ- استدل الأولون بما يأتي:

١- ما روى عنه ﷺ قال: (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا. لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت. إلا خوخة أبي بكر)[١] قالوا: وفي هذا إشارة إلى أن أبا بكر أفضل الأمة بعد رسول الله. وفي هذا إشارة إلى إمامته بعد رسول الله ﷺ.

٢- ما روى أن النبي ﷺ قال «مروا أبا بكر فليصل بالناس وقد روجع في ذلك مرات فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس»[٢]. فقد صلى أبو بكر بالناس عدة مرات. ففي تقديمه بالإمامة الصغرى إشارة إلى تقديمه في الإمامة الكبرى.

٣- ما روى عن جابر رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول «أُرِيَ الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ. ونيط عمر بأبي بكر. ونيط عثمان بعمر». قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ. وأما المنوط بعضهم ببعض فهم ولاة الأمر الذي بعث الله به نبيه»[٣].

استدل القائلون بأنها تثبت بالنص الجلي بما يأتي:

١- ما أسنده البخاري إلى جبير بن مطعم رضي الله عنه قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧) ومسلم (٢٣٨٢) وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨) ومسلم (٤١٨ - ٤٢٠) وغيرهما.

(٣) ضعيف، رواه أبو داود (٤٦٣٦) وابن أبي عاصم في السنة (١١٣٤) وغيرهما.

«أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه. فقالت: يا رسول الله أرأيت أن جئت فلم أجدك. كأنها تريد الموت - فقال أن لم تجديني فأْتي أبا بكر»[1]... قالوا في الحديث: الحديث صريح على أن أبا بكر سيكون خليفة لرسول الله ﷺ.

٢- ما روى عن عائشة قالت: دخلت على رسول الله في اليوم الذي توفي فيه فقال: (ادع لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتابا. ثم قال يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)[2].. وفي بعض الروايات.. فلا يطمع في هذا الأمر طامع..

استدل القائلون بأنها تثبت بالاختيار لما يأتي:

١- ما روى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال عمر: إن أَسْتَخْلِف فقد اسْتَخْلَفَ من هو خير مني يعني أبا بكر. وإن لم أَستَخْلِفْ فلم يَسْتَخْلِف من هو خير مني يعني رسول الله ﷺ[3]. فقال عبدالله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله لن يستخلف.

٢- ما روى عن عائشة أنها سئلت «من كان رسول الله ﷺ مستخلفا. لو استخلف»[4] فهذا يدل على أن رسول الله لم يستخلف.

٣- ما روى عن عبدالله بن مسعود أنه قال: «ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو سيء»[5]..

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٩) ومسلم (٢٣٨٦) وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٨٧) وغيره.

(٣) أخرجه البخاري (٧٢١٨) ومسلم (١٨٢٣) والترمذي (٢٢٢٥) وغيرهم.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٨٥) وغيره.

(٥) سبق تخريجه وهو أثر صحيح.

الرأي المختار:

الذي يفهم من كلام الشارح أنه يجعل أن خلافة الصديق تثبت بالنص والذي يظهر (والله أعلم) أنها تثبت بالاختيار لما يأتي:

أولاً: اختلاف الصحابة بعد وفاته ﷺ فيمن يتولى الأمر من بعده. ولو كان هناك نص ما اختلفوا.

ثانياً: قول أبي بكر رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة «بايعوا أحد هذين الرجلين عمر بن الخطاب أو أبي عبيدة» ولو كان هناك نص على إمامته لم يقل ذلك.

ثالثا: أما ما استدل به القائلون بأنها تثبت بالنص فغاية ما ذكروه هو الإخبار والإشارة إلى أنه سيكون خليفة بعد رسول الله ﷺ. وليس فيه تنصيص على أحقيته رضي الله عنه بالخلافة.

مبحث

ما يجب على المسلم تجاه أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه:

قال الطحاوي: «ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد بريء من النفاق».

س- وَضِّح ما الواجب على المسلم تجاه الصحابة رضي الله عنهم؟

جـ- عن أصول أهل السنة والجماعة:

أولاً: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾[1] وطاعة للرسول في قوله «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[2].

ثانياً: أنهم يقبلون ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل على الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا لقوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[3].

ويؤمنون أيضاً بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة وأن الله عز وجل قال: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[4].

---

(١) سورة الحشر: الآية (١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) وغيرهما.

(٣) سورة الحديد: الآية (١٠).

(٤) سورة الفتح: الآية (١٨).

ثالثاً: ويمسكون عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم. ويقولون في تلك الآثار التي ذكر فيها مساوىء بعض الصحابة أن من تلك الآثار ما هو كذب. ومنها ما زيد فيه وأنقص وغيّر عن وجهه.

رابعاً: وهم على هذا لا يدعون العصمة لأحد من أصحاب الرسول. بل قد يقع بعضهم في بعض الذنوب وإن كان لهم من السوابق الشيء الكثير.

س- ما الذي يجب على المسلم تجاه أهل بيته؟

جـ- من أصول أهل السنة والجماعة محبة أهل البيت وموالاتهم والحفاظ على وصيته ﷺ فيهم. روى الإمام مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم قال: قام فينا رسول الله خطيباً بماء يدعى خُمّاً ثم قال: «يا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم ثقلين أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا. فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «ألا وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»[(١)].. وأخرج البخاري لما روى عن أبي بكر أنه قال: «ارقبوا محمداً في أهل بيته»[(٢)] أي راعوهم.. وأزواج النبي ﷺ من آل بيته. فيوالون أيضا أزواجهم ويعتقدون أنهن أزواجه في الآخرة خاصة خديجة وكذلك عائشة التي قال رسول الله في بيان فضلها وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

ويعتقدون أنهن أمهات المسلمين والمؤمنين قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾[(٣)] أي في الاحترام والتقدير

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) وغيره.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٣ و٣٧٥١).

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٦).

وحرمة النكاح. ومعلوم أن هذه الأمومة لا توجب ميراثا أو حرمة نكاح لبناتهن..

س- قال ابن حزم بتفضيل أزواج النبي ﷺ على العشرة المبشرين بالجنة فكيف ترد عليه؟

جـ- يرى ابن حزم أن أزواج الرسول أفضل من العشرة ووجهته في ذلك أن أزواجه معه في درجته في الجنة. ودرجة النبي في الجنة أعلى من درجة العشرة. ولذا قال أن أزواجه أفضل من العشرة المبشرين.

الرد عليه:

وهذا القول شاذ مردود لما يأتي:

أولاً: أنه يلزم عليه أن يكون أزواجه ﷺ أفضل من غير محمد ﷺ من الأنبياء. لأن درجة الرسول محمد ﷺ أعلى من غيره ولم يقل بهذا أحد.

ثانياً: أن النبي ﷺ قال «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[1] ومن المعلوم أن أكثر أزواجه ﷺ لسن من هذا العدد القليل الذي كمل قطعا.

ثالثاً: قول النبي ﷺ في عائشة «فضل عائشة على النساء..» فهو إنما فضلها على النساء ولم يفضلها على الرجال.

رابعاً: ما روى عن علي رضي الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر بهذا يبطل ما قال ابن حزم.. ومما يجدر ذكره أنه لم يقل بهذا غيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٦٩) ومسلم (٢٤٣١) وغيرهما.

س- قال الطحاوي (ومن أحسَنَ القولَ في أصحاب رسول الله ﷺ فقد بريء من النفاق)..؟ لماذا قال الطحاوي ذلك؟ مع بيان أول من أظهر مذهب الروافض.

جـ- قال الطحاوي هذا القول مشيراً إلى أن القدح في أصحاب محمد ﷺ نفاق وطغيان وإشارة إلى أن أصل الرفض الذي أظهره منافق زنديق ملحد أراد في الإسلام وفي رسول الله ﷺ وفي صحابته فقد ذكر العلماء أن عبدالله بن سبأ لما أظهر الإسلام أظهر التنسك ثم تظاهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى توصل بذلك إلى قتل عثمان رضي الله عنه بأن أوغر قلوب الرجال عليه متظاهرا أنه بذلك يأمر بالمعروف وزين لهم قتل عثمان. ثم لما قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه الكوفة غلا فيه غلوا مفرطا فطلب عليٌّ قتله فهرب إلى جرجيس ومن هنا ندرك أن أصل الرفض إنما ظهر من ذلك المنافق. ولهذا قال العلماء (حب أبي بكر وعمر إيمان، وبغضهم نفاق، وحب آل البيت إيمان وبغضهم نفاق).

س- اتخذ كثير من الشيعة مذهب التشيع ستارا للزندقة. اشرح ذلك.

جـ- اتخذ الزنادقة التشيع ستارا لهم. فأخذوا يبثونه عن طريقه آراءهم الباطلة الفاسدة ذكر الباقلاني عن الباطنية وكيفية إفسادهم للدين أنهم كانوا يقولون للداعي إذا رأيت من تدعوه مسلما فاجعل التشيع دينك وشعارك واجعل المدخل من جهته ظلم السلف لعلي وقتلهم الحسن بن علي والتبرئ من تيم وعدي (قبيلتي أبي بكر وعمر) وبني أمية وبني العباس فإذا وجدت فيمن تدعوه استجابة لما تقول فأوقفه على مثالب علي وآل البيت.

قال الشارح تعليقا على هذا القول: «ولا شك أنه يتطرق من سب الصحابة إلى سب أهل البيت. ثم إلى سب الرسول ﷺ. إذ أهل بيته وأصحابه مثل هؤلاء عند الفاعلين الضالين».

مبحث: مذهب أهل السنة في علماء السلف

س- قال الطحاوي: (وعلماء السلف من السابقين.. ومن بعدهم من التابعين - أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر - لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل) وضح المقصود بالسلف لغة واصطلاحاً؟

جـ- السلف لغة، مصدر سلف. يسلفُ سلفاً. من باب نصر إذا مضى وتقدم والسُّلاف وَسَلفُ القومِ المتقدمون. والمراد بالسلف اصطلاحاً.. إذا أطلق لفظ السلف عند المسلمين أريد به صحابة رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان من العلماء والمتقدمين دون من رمى ببدعة.

وعلى هذا فعلماء السلف هم العلماء المتقدمون العالمون. والعاملون بسنة رسول الله ﷺ. وهديه.

س- ما هي أصناف علماء السلف؟

جـ- وعلماء السلف على أصناف متعددة منها:

١- رواة الأحاديث الذين حفظوا أخبار رسول الله ﷺ ونقلوها إلى مَنْ بعدهم بكل دقة وأمانة. وميزوا بين صحيحها وضعيفها. وما ثبت منها. وما لم يثبت.

٢- علماء أصول الدين. الذين ردوا على أقوال أهل البدع وكانوا شجى في قلوب الدهريين والاتحاديين. وغيرهم من طوائف أهل البدع.

٣- الفقهاء الذين بينوا أصول العبادات. وقانون المعاملات وميزوا الحلال والحرام وبينوا عقوبات الجرائم والجنايات.

٤- أئمة القراء وحملة التفسير. سواء منهم من فسر... بالرأي أو بالأثر.

٥- أئمة النحو واللغة والأدب. فإن كثيراً من المتقدمين ردوا على أهل

البدع. ولم يشتهر عنهم أقوال مخالفة لأصحاب الرسول ﷺ.

٦- أئمة التاريخ وحفظه السيرة. بما فيها من دروس وعبر.

س- وضح عقيدة أهل السنة والجماعة تجاه علماء السلف؟

ج: يرى أهل السنة والجماعة. وجوب موالاة علماء السلف جميعا وعدم ذكرهم بما يسيء إليهم. أو مخالفة طريقتهم لعموم قوله تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾(١) فقد توعد من خالف سبيل المؤمنين - ولا يتوعد بالنار إلا على أمر محرم... ولعموم قوله تعالى ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(٢) وإذا كانت موالاة عامة المسلمين واجبة. فإن موالاة العلماء منهم خاصة متأكدة الوجوب. وذلك لأن الله جعلهم كالنجوم يهدى بهم. ولأنهم ورثة الأنبياء وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم لأجل هذا تجب موالاة علماء السلف لأنهم كما قال الطحاوي (بهم نطق الكتاب. وبه نطقوا وبهم قال الكتاب. وبه قالوا.. فلا يذكرون إلا بالجميل. ومن ذكرهم بالسوء فهو على غير سبيل المؤمنين) وقد اتفق علماء السلف عموماً على وجوب التمسك بما ورد عن الرسول ﷺ والأخذ به وإذا وجد لأحدهم قول يخالف ما ورد عن الرسول ﷺ فلا بد له من عذر في ذلك.

س- قد يخالف بعض العلماء نصاً عن النبي ﷺ لعذر معين، اذكر هذه الأعذار؟

(١) سورة النساء: الآية (١١٥).

(٢) سورة التوبة: الآية (٧١).

ج : جماع ذلك ثلاثة أمور :

أولها : عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قائله .

والثاني : عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول .

والثالث : اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ .

س- ما هو موقف المعتزلة والأشعرية . من علماء السلف؟

ج : بعد أن ذكرنا أن أهل السنة يرون وجوب موالاة علماء السلف فإن كثيراً من المعتزلة يطعن في كثير من علماء السلف . . بل ويفسقونهم ويطعنون في كثير من الآثار التي عن علماء السلف التي تخالف آراءهم ومعتقداتهم الباطلة. أما الأشعرية فإنهم. وإن كانوا لا يطعنون إلا أنهم تارة يقدمون رأي السلف وتارة يقدمون رأي الخلف وتارة ثالثة يقولون (إن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم» . وهذه العبارة إذا دققنا النظر فيها وجدناها متناقضة إذ مقتضي السلامة وجود العلم والحكمة (العلم موجود الأسباب والحكمة في سلوك تلك الأسباب) وعلى هذا كان الواجب أن يقال : إن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم . . . لما ذكرناه من أن السلامة تستلزم العلم والحكمة .

النبوة والولاية

س- عَرِّف النبوة لغة واصطلاحاً؟

ج : النبوة في اللغة: مؤخوذة من النبأ. . وهو الخبر أو هي من النبوة وهي ما ارتفع في الأرض. يقل نبا الشيء إذا ارتفع. وفي الاصطلاح: هي اصطفاء الله تعالى لعبد من عباده يوحي إليه. فالنبي على هذا عبد اصطفاه الله تعالى بالوحي إليه وسمى نبيا.

١- إما لأنه يتلقى الأخبار من الله تعالى.

٢- أو لأنه يرتفع في المنزلة على غيره بسبب الوحي الذي أوحاه الله إليه.

س- ما موقف أهل الحق من الأنبياء؟

ج : يرى أهل الاستقامة وجوب محبة أنبياء الله وموالاتهم وطاعتهم. فيما يأمرون به لأنهم هم المبلغون للأحكام عن الله قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾[١] وقال أيضا: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[٢] وروى عنه ﷺ أنه قال «من أطاعني فقد أطاع الله. ومن عصاني فقد عصى الله»[٣].

س- ما هي نظرة غلاة المتصوفة إلى الأنبياء؟

جـ : غلاة المتصوفة على ثلاث طوائف:

الأولى: تظن أنه قد يصل برياضته واجتهاده في العبادة وتصفيته لنفسه إلى درجة الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم. .

الثانية: تظن أن الأولياء. . أفضل من الأنبياء. .

---

(١) سورة النساء: الآية (٦٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٣٧) ومسلم (١٨٣٥) وغيرهما.

الثالثة: تقول إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم من مشكاة خاتم الأولياء... ويدعى بعضهم أنه هو خاتم الأنبياء..

وهذه الطوائف الثلاث تنتقص الأنبياء والرسل حقهم مما جعل بعض العلماء يكفرهم.

س- ما مفهوم الولاية في اللغة وعند جمهور المسلمين؟

ج: مفهوم الولاية في اللغة: الولاية في اللغة ضد العداوة. وأصلها المحبة والقرب وأصل العدواة: البغض والبعد...

والولي: عند جمهور المسلمين اصطلاحا: هو الموافق لله والمحب لهم.. والمتبع له فيما يحبه الله وفيما يكرهه. وفيما يأمر به. وفيما ينهي عنه فلا يحب إلا ما أحب الله ولا ينهي إلا عما نهى الله عنه. ولا يكره إلا ما كرهه الله عز وجل...

س- من هم أفضل أولياء الله؟

ج: أفضل أولياء الله هم: أنبياؤه، وأفضل أنبيائه المرسلون وأفضل المرسلون أولو العزم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وهم الذين أشار الله عز وجل إليهم بقوله ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾(١) وأفضل أولى العزم من الرسل: هو محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمتقين وعلى هذا: فأفضل أولياء الله على الإطلاق هو نبينا محمد ﷺ.

س- اذكر ما تعرفه عن ابن عربي، مع بيان فكرته في مسألة ختم الولاية وبم ترد عليها؟

---

(١) سورة الشورى: الآية (١٣).

ج : ابن عربي: هو محمد بن علي الطائي يلقب بمحي الدين. ويكنى (بابن عربي) ولد سنة ٦٣٨هـ ويطلق عليه بعضهم لقب الشيخ الأكبر.. له تآليف في التصوف منها: الفتوحات المكية وفصوص الحكم. قال عنه الذهبي (ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر)[١].

مذهب ابن عربي في ختم الولاية:

١- إن النبوة ختمت، والولاية لم تختم، حتى جاء وختمها.

٢- إن الولاية أفضل من النبوة. وذلك لأن الولي يأخذ العلم من الله عز وجل مباشرة فهو يتلقى العلم. من المعدن الذي يتلقى منه الملك. أما الأنبياء وسائر الأولياء فإنما يأخذون العلم (العلم الباطن) من مشكاة خاتم الأولياء.

٣- إن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء.

٤- مثل خاتم الأولياء بلبنتين من حائط اكتمل بناؤه ولم يبق فيه سوى موضع هاتين اللبنتين إحداهما: فضه. ويرمز بها إلى علم الظاهر، والأخرى ذهب: ويرمز بها إلى علم الباطن فقد جعل ابن عربي نفسه في موضع اللبنة الذهبية. وجعل الرسول في موضع اللبنة الفضية.

الرد على هذا المذهب

وهذا المذهب مذهب باطل. فيه تحريف للشريعة الإسلامية - ويرد عليه بما يأتي:

أولا: المذهب باطل من أساسه لعدم وروده لا في الكتاب ولا في السنة فنقرأ الكتاب ونتبع السنة. فلا نجد فيها ذكرا لختم الولاية.. وكذلك

(١) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨) والميزان (٣/ ٦٥٩) واللسان (٥/ ٣١١).

لم ينقل عن سلف هذه الأمة ما يشير إلى هذه الفكرة «ختم الولاية».

ثانياً: إنه معارض للقرآن والسنة وإجماع الأمة.

١- فهي معارضة القرآن حيث قال تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[١] «فقد وصفت الآية أولياء الله بوصفين: بالإيمان والتقوى، فمن كان مؤمنا متقيا كان من أولياء الله. ويفهم من الآية أن الأنبياء أفضل من سائر الأولياء. لأن الأنبياء جمعوا الإيمان والتقوى.

على ذلك كان اصطفاء الله لهم بوحيه. وقال ابن عربي إن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء. فكان بقوله هذا معارضاً لنص الآية...

٢- وهو معارض للسنة فقد روى عنه ﷺ قال: «ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر»[٢].

وابن عربي يقول: بأن خاتم الأولياء أفضل من أبي بكر.. بل أفضل من سائر الأولياء فكان بفكرته تلك معارضا لنص الحديث.

٣ - وهو معارض للإجماع... فقد أجمع سلف الأمة على خلاف ما

---

(١) سورة يونس: الآية (٦٢، ٦٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٣٠٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٤٤) وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي وهو كذاب. قلت والحديث اخرجه عبد بن حميد (٢١٢) والخطيب في التاريخ (١٢/ ٤٣٨) وكلاهما من طريق ابن جريج عن عطاء، وابن جريج هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج قال عنه الحافظ في التقريب: ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل، وراجع تعليق الشيخ الالباني في السلسلة الضعيفة ح(١٣٥٧). وأما بالنسبة لعنعنة ابن جريج، قال الشيخ الألباني في تعليقه على الحديث رقم ٣٦) من الصحيحة ما نصه: ثم رأيت في ترجمة ابن جريج من «التهذيب» أنه قال: إذا قلت: قال عطاء: فأنا سمعته منه وإن لم أقل: سمعت» فهذه فائدة هامة ولكن ابن جريج لم يقل هنا: (قال عطاء) وإنما قال: (عن عطاء) فهل حكمهما واحد أم يختلف؟ الظاهر عندي الأول، والله أعلم.

روى من أن الأنبياء أفضل الخلق وأشرفهم على الله.

وباختصار:

فمذهب ابن عربي باطل لا ينبغي الإلتفات إليه. ولولا كثرة الذاكرين لابن عربي والمشيدين به. لما كان مذهبه جدير بالمذاكرة لمعارضته الصريحة لنصوص الشريعة.

س- ما هي آراء الناس في «ابن عربي»..؟

ج: اختلف الناس في ابن عربي على ثلاثة آراء:

١- رأى يقول بتكفيره وأنه منافق زنديق ملحد.. وقد أظهر من الأقوال ما يوجب كفره وممن يقول بهذا الرأي شارح الطحاوية.

٢- رأى من يقول أنه من الأولياء العارفين. والأئمة المجتهدين وما ورد من كلمات مشكلة في تأليفه فظاهرها غير مراد.. والمراد اصطلاحات اصطلح عليها الصوفية. وهي في حقيقتها خطرة وإن كان قد يظهر منها إذا أخذت بغض النظر عن تلك... الاصطلاحات. المراد بها - قد يظهر منها أقوال منكرة.

٣- رأى من يقول أنه ولي لكن يحرم النظر في كتبه على غير العارفين بطريقته لما فيها من عبارات قد يتبادر إلى ذهن من يطلع عليها أشياء. لا يريدها ابن عربي بتلك العبارات ونسب هذا إلى السيوطي.

مبحث المعجزات والكرامات

س- عرف المعجزة لغة واصطلاحا؟

ج : المعجزة في اللغة: مأخوذة من العجز. وهو ضد القدرة. والمعجز هو فاعل العجز في غيره. أو مظهر عجز غيره. وإطلاقها على الأمر الخارق إطلاق مجازي لأنه يسبب في إظهار المعجز. والهاء فيها للمبالغة كما زيدت في في راوية ونسابة وعلاّمة.

أما في الاصطلاح فالمعجزة هي: أمر ممكن عقلا خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد نبي من أنبيائه أو رسول من رسله لإظهار صدق نبوته وصحة رسالته.

ويلاحظ: أن المعجزة بمعناها اللغوي تطلق على أمر خارج للعادة سواء كان لنبي أو لغيره. وعلى هذا جرى عرف أئمة العلم المتقدمين أما المتأخرون منهم فقد جعلوا المعجزة للنبي والكرامة للولي كما في التعريف الذي سبق ذكره.

محترزات التعريف:

قولنا «أمر ممكن عقلا» يخرج المستحيل عقلا. إذا لا يمكن وجوده. قولنا «خارق للعادة» يخرج الأمر المعتاد المألوف فلا يعتبر معجزة. قولنا «يجريه الله تعالى على يد نبي» يخرج الأمر الخارق للعادة الذي جرى على يد غير الأنبياء والرسل كالكرامة وكما يجري على أيدي السحرة والكهان.

س- اذكر شروط المعجزة؟

ج : للمعجزة عدة شروط منها:

١- أن تكون أمراً خارقاً للعادة.

٢- أن تكون على يد نبي أو رسول يتحدى بها من وصلت إليهم دعوته وشملتهم رسالته.

٣- أن تعجز الأمة عن الإتيان بمثلها على الصورة التي كان التحدي بها.

٤- ألا يكون الأمر الخارق متضمنا تكذيب مدعي النبوة كما يحكى أنه قيل لمسيلمة الكذاب: إن محمداً بصق في عين أرمد فشفيت فأرنا مثل ذلك. فبصق في (عين أرمد فعميت) فحصول الشفاء بمجرد البصق أمر غير معتاد. وكذلك حصول العمى.

س- عرف الكرامة لغة واصطلاحا؟

ج: الكرامة في اللغة: اسم مصدر من كرَّم يكرّم تكريماً وأكرم وإكراماً. إذا أعطى بدون مقابل وفي الاصطلاح: أمر ممكن عقلاً خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد ولي من أوليائه غير الأنبياء.

س- اذكر أقسام الأشياء الخارقة للعادة؟

ج: الأمر الخارق للعادة: لا يكون إلا من أحد ثلاثة أمور:

١- إما أن يكون من باب العلم.

٢- أو من باب القدرة والتأثير.

٣- أو من باب الغني.

فمثال ما كان من باب العلم: إخباره ﷺ عن أحوال الأمم الماضية. وما جرى لأنبيائهم معهم. دون أن يقرأ تواريخ الأمم السابقة. وكذلك إخباره عن الأمور الغيبية المستقبلية فقوله في شأن الحسن بن على بن أبي طالب «أن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين مختصمتين. من المسلمين»[(١)] وإخباره عن انتشار الدعوة الإسلامية. وانقراض دولتي الفرس والرومان.

---

(١) صحيح، أخرجه ابو داود (٤٦٦٢) والترمذي (٣٧٧٣) وغيرهما.

مثال: ما كان من باب القدرة والتأثير ما كان لعيسى عليه السلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. وكذلك ما روى أن النبي ﷺ وضع يده في إناء فنبع الماء من بين أصابعه الشريفة. فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أتى النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء. فوضع يده في الإناء. فنبع الماء من بين أصابعه فتوضأ القوم جميعا.. قال الراوي: فقلت لأنس: كم كنتم يومئذ قال: ثلاث مائة أو زهاء الثلاث مائة»[1].

ومثال: ما كان من باب الغنى يمكن التمثيل له بوصاله ﷺ في الصيام واستغنائه عن الطعام والشراب.. فأي شيء خارق للعادة. لا يخرج عن هذه الأمور الثلاثة.

س: أمر الله نبيه محمدا ﷺ أن يتبرأ من دعوى هذه الأمور الثلاثة، فما السبب؟

ج: أمر الله نبيه محمدا ﷺ أن يتبرأ من دعوى هذه الأمور الثلاثة بقوله ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ﴾[2].

وذلك لأمرين.

أولهما: أن هذه الصفات الثلاث لا تصلح على وجه الكمال إلا لله عز وجل. فهو العليم مطلقاً. والقادر قدرة كاملة والغنى غنىً كاملاً عما سواه.

ثانيهما: أن المشركين تارة يسألون رسول الله ﷺ أن يخبرهم عن بعض الأمور الغيبية كسؤالهم عن ميعاد الساعة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ﴾[3] وتارة يطلبون منه التأثير في الأشياء ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٢) ومسلم (٢٢٧٩).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٥٠).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٨٧)، والنازعات (٤٢).

﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾[1]. وتارة يحتجون عليه بالأكل والشرب وفعل ما اعتاد عليه البشر. ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[2] فأمر الله نبيه محمداً أن يخبرهم بأنه لا يستطيع عمل شيء من تلك الأشياء إلا إذا أقدره الله عليه. فلا يعلم إلا ما أعلمه الله، ولا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه. ولا يستغني إلا عما أغناه الله عنه..

س- قارن بين المعجزة والكرامة؟

ج: المعجزة والكرامة متفقتان في أوجه منها:

أ - متفقتان في أن كلا منهما أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد بعض عباده...

ب- وتختلفان في أوجه عدة منها:

١- أن المعجزة تكون للرسول وللنبي.. والكرامة تكون للولي من غير الرسل والأنبياء.

٢- أن الكرامة تنال بالتقوى والمعجزة تنال بالنبوة.

٣- أن الكرامة أخف قدرا من المعجزة..

٤- أن المعجزة مأمونة العاقبة.. فيؤمن على صاحبها من المعاصي بعد فعل الطاعات.. بخلاف الكرامة.. فغير مأمونة العاقبة لأنه قد تكون من باب الاستدراج كما في قصة «بلعام بن باعوراء».

٥- إن صاحب المعجزة يظهرها ويتحدى بها بخلاف صاحب الكرامة.

س- ما الحكمة من اجراء الكرامة على يد بعض العباد؟

ج: يجري الله عز وجل الكرامة على يد بعض العباد لحكم متعددة منها:

١- الامتنان على الإنسان بتلبية حاجته كما حصل لأم أيمن رضي الله

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٩٠).

(٢) سورة الفرقان: الآية (٧).

عنها فقد روى أنها كانت مهاجرة من مكة إلى المدينة. وكانت صائمة فأصابها من العطش شيء كثير. فدعت الله عز وجل والتفتت إلى السماء فإذا دلو معلق شربت منه حتى ارتوت..

ب- حاجة الإنسان إلى ما يقوى إيمانه فقد يجري الله عز وجل الكرامة على يد بعض الناس فيزداد يقينا. ويتقوى عزمه على فعل الطاعات واجتناب المعاصي:

نصر المؤمنين وإحداث الرعب في قلوب أعدائهم. كما حصل لخالد ابن الوليد رضي الله عنه حينما شرب السم بعد أن قال «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء فلم يتأثر من ذلك السم فهابه الأعداء وهابوا جيشه. وحصل الصلح بين الطرفين».

ج : إنقاذ المسلمين من شَرَك وقعوا فيه. أو معصية ابتلوا بها. كما حصل لسارية وكان على جيش من جيوش المسلمين. فأحاط بهم الأعداء فسمع صوت عمر بن الخطاب يجلجل (يا ساريةُ الجبلَ) أي الزم الجبل فاعتصموا به وكان في ذلك عصمة للمسلمين من ذلك الشَرَك الذي أحاط بهم.

د- الاستدراج: أو الابتلاء والاختبار كما حصل «لبلعام بن باعوراء» وقد كان ببني إسرائيل وكان رجلاً صالحاً مستجاب الدعوة أكرمه الله بها. فطلب منه قومه أن يدعو على موسى وقومه. فأبى ذلك أول الأمر - ثم وافقهم بعد ذلك فكان كلما دعا عليهم بدعوة أصابت قومه. ثم اندلع لسانه على صدره ونزل فيه قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ﴾[1]

(١) سورة الأعراف: الآيتان (١٧٥ و١٧٦).

س- هل يدل إجراء الكرامة على يد شخص على كرامته عند الله تعالى؟

جـ : إجراء الله تعالى الكرامة على يد عبد من عباده أو إنعامه عليه بصحة أو غنى أو ما أشبه ذلك. وكذلك ابتلاؤه سبحانه للإنسان بالضراء لا يدل الأول على الكرامة ولا يدل الثاني على هوانه عند الله... ودليل ذلك قوله سبحانه ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾[1] الآية، فقد نفت الآية أن يكون الإنعام دليلاً على كرامته كما نفت أن يكون تضييق الرزق دليلا على هوان الإنسان عند الله. فإن الإنسان إذا أطاع الله وشكره على نعمه فهو يثاب على ذلك. أما إن عصاه مع إنعامه عليه وترك شكره فإن ذلك يكون مضرة عليه.

ولهذا: كان أصحاب خوارق العادات ثلاثة أقسام:

١- قسم ترتفع درجته بسبب تلك الخوارق، لما يكون من طاعة الله وشكره على نعمه.

٢- قسم تنخفض درجته بسبب عدم شكره لله سبحانه على تلك النعم واستعماله تلك الخوارق في معصية الخالق.

٣- وقسم لا تنخفض درجته ولا ترتفع - ويكون ذلك الإنعام إليه كسائر المباحات.

س- ما شبهة منكري الكرامات.. وكيف ترد عليهم؟

جـ : أنكر المعتزلة كرامات الأولياء.. وشبهتهم في ذلك أنهم قالوا. لو سلمنا بوجود الكرامات. وهي مشبهة للمعجزات في أن كلا منهما أمر خارق للعادة لأدى ذلك إلى التباس «النبي بالولي» ولذلك قالوا:

---

(١) سورة الفجر: الآيتان (١٥ و١٦).

أن الأمر الخارق للعادة لا يكون إلا للأنبياء.

الرد عليها:

هذه شبهة باطلة. ولا يسلم لهم ما ذكروه من أن القول بإثبات الكرامات يترتب عليه التباس النبي بالولي. وذلك لأن «الولي لا يدعى النبوة مهما كانت كراماته، والالتباس إنما يكون فيما لو سلمنا بأن الولي يدعى النبوة. أما من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ وكان معه أمر خارق فإن كذبه سيظهر لكل من تتبع أحواله. فلا بد أن يظهر عليه من الكذب والدجل واستحواذ الشياطين عليه ما يدل على كذبه.

س- اذكر أدلة ثبوت الكرامات؟

ج: أدلة ثبوت الكرامات عدة أدلة من الكتاب. والسنة. والآثار.

أ- من الكتاب عدة آيات منها ما يأتي قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1].

ب- ما ورد في قصة أصحاب الكهف ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ وكان في زمانهم ملك ظالم فهربوا منه، فأنامهم الله «٣٠٩ سنين» ثم أيقظهم بعد نومهم الطويل. وفيهم نزل قوله ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ إلى أن قال ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾[2].

ما ورد من قصة مريم حينما ذهبت إلى محراب بمعزل عن الناس فكان يأتيها رزقها من غير أن يقدمه لها أي إنسان. ونزل قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا

---

(١) سورة الطلاق: الآيتان (٢ و٣).

(٢) سورة الكهف: الآيات (١٣ - ٢٥).

زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾[1].

ج : أما من السنة فأحاديث كثيرة منها:

١- قوله ﷺ «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[2] ثم تلا قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾[3] وقوله ﷺ في الحديث القدسي (من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة. وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به. الحديث[4].

٢- خبر (الثلاثة الذين كانوا في سفر فأدركهم المبيت بالقرب من غار. فدخلوا فتدحرجت الصخرة فسدت عليهم الغار. فدعوا الله عز وجل بصالح أعمالهم فارتفعت عنهم الصخرة)[5] من غير وجود أي سبب عادي.

أما من الآثار فكثيرة منها:

١- ما روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام بخطب الناس وفي أثناء الخطبة قال: يا ساريةُ الجبل. يا سارية ثم أتم خطبته. فظن بعضهم أن عمر قد أصابه شيء وكان عمر قد أرسل جيشا تحت قيادة سارية بن زنبي فأحاط به الأعداء وكادوا يوقعون بهم فكان لاكرام

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٣٧).

(٢) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣١٢٧) وغيره.

(٣) سورة الحجر: الآية (٧٥).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٦٥) ومسلم (٢٧٤٣).

الله عز وجل له أنه رأى جيش المسلمين والموقع الذي فيه مع بعد المسافة فقال تلك الكلمات التي سمعها سارية تجلجل في السماء بالجبل وكان قرب أول الجيش وبذلك أنقذهم الله من عدوهم.

٢- ما روى عن اثنين من أصحاب رسول الله ﷺ وكانا عنده ساعة من الليل فخرجا من عنده وكانت تلك الليلة مظلمة فأضاءت عصا أحدهما لهما. فلما افترقا أضاءت عصا كل واحد منهما لصاحبها.

س- يتنوع الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله تعالى بين ذلك؟

ج : كلمات الله تعالى على نوعين أولهما: كلمات كونية قدرية. والكون كله داخل تحت هذه الكلمات وهي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»[1] وإليه يشير قوله عز وجل ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[2]. ثانيهما: كلمات دينية شرعية وهي القرآن وشرع الله عز وجل الذي أنزله على رسوله ﷺ. وهو أمره ونهيه وخبره وحظ العبد منها: العلم بها والعمل والأمر بما أمر الله به.

أما الكشف الأول: فهو العلم بالكونيات وتدبرها.

وأما الكشف الثاني: فهو العلم بالمأمورات الشرعية. وتأثيرها بالأمور الشرعية أما في نفس الإنسان متدبراً لها فيمتثلها، أو يعظ بها غيره فيتمثل ذلك الأمر.

س- ما هي أنواع الفراسة؟

ج : الفراسة في اللغة: مصدر فرس الرجل فلانا بعينه إذا دقق النظر لإدراك شيء من أموره الباطنة عن طريق النظر لظواهره وهي على ثلاثة أنواع:

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٨) وغيره.

(٢) سورة يس: الآية (٨٢).

النوع الأول: فراسة إيمانية. وسببها نور يقذفه الله عز وجل في قلب عبده المؤمن يعرف به الحق من الباطل. والصدق من الكذب وحقيقتها خاطر يهجم على القلب ينقي ما يضله ويعارضه والإيمان سبب لوجود هذه الفراسة. فهي تقوى بقوته وتضعف مع ضعفه.. وهذه خاصة بالمؤمنين.

النوع الثاني: فراسة رياضية: وتكون بالجوع والسهر والتخلي، وذلك لأن النفس إذا تجردت من بعض العوائق تكشفت لها بعض الأمور وهذه الفراسة: مشتركة بين المؤمن والكافر. ولا تدل على إيمانه ولا ولايته.

النوع الثالث: فراسة خلقية. وهي كاستدلالهم بصغر الرأس عن المعتاد على صغر العقل، ويكبره على كبر العقل، وبضيق الصدر على ضيق الخلق، وعلى سعته بسعة الخلق، وباستدلالهم بشدة بياض العين على الشجاعة، وبجمود العينين وكلال نظرهما على بلادة صاحبهما. ونحو ذلك.

الفرق بين الكرامة والفراسة:

بينهما عموم وخصوص: فقد تكون الكرامة فراسة. وقد لا تكون العكس والفراسة قد تكون كرامة وقد لا تكون.

س- هل عدم حصول الكرامة للمسلم يضر به أم لا؟

ج: عدم الخوارق علما وقدرة لا يضر المسلم في دينه فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ولم يسخر له شيء من الكونيات. لا ينتقص ذلك في مرتبته عند الله بل قد يكون عدم ذلك أنفع له فالخوارق النافعة تابعة للدين خادمة له كما أن الرئاسة النافعة هي التابعة للدين. وكذلك المال النافع كما كان السلطان والمال النافع بيد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فمن جعلها هي المقصودة وجعل الدين تابعاً لها ووسيلة إليها لا لأجل الدين فهو شبيهٌ بمن يأكل الدنيا بالدين وليست حاله كحال من تديَّن خوف العذاب أو رجاء الجنة فإن ذلك مأمور به وهو على سبيل نجاة وشريعة صحيحة.

الخاتمة

الحمد الله الذي أعانني على إتمام كتاب المصطلحات مع الأسئلة والأجوبة عليها فإن تعليم العقيدة الصحيحة للناس تدريساً ودعوة وتصنيفاً هو من خير أعمال المسلم في هذه الدنيا خصوصا بعد ما ضلَّ كثيراً من الناس عن وجه الصواب في كثير من مسائل العقيدة ودخلت عليهم عقائد باطلة وشبهات فاسدة فصرفتهم عن عقيدة السلف الصالح.

وأرجو أن أكون بهذا الكتاب قد يسرت لطلبة العلم فهم مراد المؤلف والشارح وعقيدة أهل السنة والجماعة. ولم أقصد استيعاب جميع الأسئلة في جزئيات ومباحث شرح الطحاوية. واسأل الله أن ينفع به من كتبه ومن قرأه ومن نشره.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.